ثقافة الهند

المجلد التاسع عشر — العدد الاول

مجلس الهند للروابط الثقافية

آزاد بهون ، دلهي الجديدة ١

يناير ١٩٦٨

طبعها ونشرها

إنعام الرحمن ،

سكرتير ، مجلس الهند للروابط الثقافية

آزاد بهون ، نيو دلهي – الهند

فى مطبعة نورى المحدودة بمدراس ١٣ .

ثقافة الهند

مجلة علمية ثقافية

المجلد التاسع عشر
العدد الاول
يناير ١٩٦٨

مجلس الهند للروابط الثقافية

يهدف المجلس — كما ينص دستوره — إلى إنشاء وإحياء وتعزيز الروابط الثقافية بين الهند والبلاد الأخرى بالوسائل التالية :

(١) التوسع في معرفة وتقدير ثقافاتها وآدابها وفنونها

(٢) إنشاء الروابط الوثيقة بين الجامعات والمعاهد الثقافية

(٣) اتخاذ جميع التدابير الأخرى لتنمية الروابط الثقافية

مجلة فصلية ثقافية
يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية مرة كل ثلاثة أشهر
يناير — ابريل
يوليو — اكتوبر

بدل الاشتراك عن سنة (ويدفع مقدما بحوالات أو شيكات) ٠ في الهند عشر روبيات في الخارج عشرون شلنا ثمن العدد في الهند روبيتان ونصف في الخارج خمس شلنات

المراسلات : باسم سكرتير المجلس اذا كانت تتعلق بارسال المجلة أو بدل الاشتراك وباسم رئيس التحرير : اذا كانت تتعلق باستعراض الكتب أو مادة المجلات

ثقافة الهند

رئيس التحرير
شمعون طيب على
لوكهندوالا

محتويات العدد

تاج محل

للاستاذ س . ن . قانون جو

لقد أكسب مهندس « تاج محل[1] » الامبراطور شاه جهان[2] شهرة خالدة بفضل روعة بناءه ودقة فنه ولكنه نفسه لم يستطع أن يحصل على شئ من الشهرة مع ان عمله هذا يحسب أعظم وأروع أثر فى فن العمارة الهندى ، لأن الايام التى تم فيها بناء « تاج محل » كانت أياما غير معروفة . ومما يؤسف له أننا لم نستطع أن نحصل على التفاصيل التاريخية التى تعطينا فكرة صحيحة عن شخصية مهندسه وبناءه .

وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، اقترح المستر سليمن (Sleeman) الحاكم البريطانى لمنطقة « أوده » فى سنة ١٨٥٣ ع بأن التصميم الحقيق لتاج محل ، قام برسمه المهندس الافرنسى « استين د . بوروكس » (Austin de Bourdeaux) ولكنه لم يأت بأى دليل يدعم زعمه بذلك ، كما ان زعمه يبدو غير علمى تماما وبعد ذلك قام المستر سليمن بتقديم الاستاذ عيسى « الذى يوجد اسمه بصفة مهندس تاج محل فى الكتب الفارسية كمهندس افرنسى . وهل تدعم كلمة « عيسى » الرأى القائل بكون الاستاذ الآنف الذكر مسيحيا افرنسيا ؟

واستتبع ذلك أن ابدى رجل آخر اسمه « بالفور » رأيا مماثلا على أساس ما كتبه اندرسون ، ولكنه أيضا رغم فحصه الكتب والمستندات التاريخية لم يستطع ان يعطينا جوابا صحيحا على هذا السؤال .

---

(1) Taj Mahal, one of the seven wonders of the world ·

(2) Emperor Shah Jahan ·

ان اقتراح سليمن القائل بكون المهندس الافرنسى مهندسا حقيقيا لتاج محل، فتح بابا جديدا فى تاريخ التحقيق. وقد زعم بعض الكتاب الاوربيين ان بناء عمارة فنية مثل هذه يتطلب مهارة هندسية وذوقا فنيا رفيعا ما لا يمكن ان يتوافر لدى الهنود وكان باعث زعمهم هذا فكرة تفوق الجنس الاوربى.

ولاحظ المستر سالدين (Saladin) ان مهندسا اوربيا فقط يمكن ان يحدث تناسقا تاما فى فكرة عظيمة وان يمزج بين روعة الرسم وعظمة الاخراج، وكان كل ذلك مجهودا مشكورا لو كانت آراؤهم تعتمد على شئ من الحقيقة

وكذلك زعم المستر فينسنت سمث (Vincent Smith) فى كتابه «تاريخ الفن الجميل» بأن مهندس تاج محل رجل اسمه «جيرونيمو فيرونيو» (Geronimo Veronco)، «كان رجلا عبقريا فى فن البناء». ولكنه رغم ذلك، يعترف بان المهندس الرئيس هو «الاستاذ عيسى» خلال المرحلة النهائية من البناء.

ان اسميث يحتل مكانا مرموقا كمؤرخ، ولكنه يؤكد تأييده لما كتبه سبستاين مانريك (Sebastian Manrique) من كون فيرونيو مهندسا لتاج محل الى حد انه لا يهتم بما سواه من الدلائل

كان مانريك برتغاليا من اوبورتو (Oporto) وقضى حوالى شهر فى مدينة آجرا (ديسمبر ١٦٤٠ الى يناير ١٦٤١) ولكنه لم يجتمع بفيرونيو الذى توفى قبل مجيئه. وأنه لم يسمع عن فيرونيو فى آجرا بل سمع من ... كاسترو (de Castro) حينما كان فى لاهور. من هنا يحدث السؤال،

ماذا كان يعمل هناك فى لاهور في الوقت الذى يجرى فيه بناء تاج محل؟ ويزعم اسميث ان فيرونيو دفن فى آجرا لانه كان رجلا ممتازا . ولكن اذا كان فيرونيو رجلا ممتازا ودفن فى آجرا فى احتفال رسمى، فلما لم يذكره المورخون فى بلاط شاهجهان، وأشاروا بدوره الرئيسى رسم تصميم «تاج محل» ؟

ان السياح افرنسى ثيمونت (Thevenot) الذى زار تاج محل فى ١٦٦٦ ع، لم يذكر شيئا عن فيرونيو . وهو يكتب:

«ان هذا الاثر الفنى العظيم يكفى دلالة على ان الهنود ليسوا بجاهلين للفن المعمارى . وان الطراز قد يبدو غريبا للاوربيين ولكنه طراز من ذوق رفيع .»

وهناك شئ واحد فقط الذى يدل على التأثير الغربى فى تاج محل، وهو زخرفة من طراز بيترا دورا (Pietra Dura) ولكن يزعم برسى براؤن (Percy Brown) ان مهمة اعداد بيترا دورا عهدت الى بعض رجال الفن الهندوكيين من قوم مثل «جريجى لال» و«چهوٹے لال» و«مولال» و«منوهر سنگه» فبناء على ذلك يمكن القول بان ما زعمه فينسنت اسميث من علاقة ماريك بهذا العمل ليس فى شئ من الصحة.

ان اسلوب بناء تاج محل يدل تماما على انه فى صميمه «هندى - ايرانى» ويستطيع احد أن يخالف المستر هويل (Havell) فى رأيه بان النموذج الاصلى لتاج محل يوجد فى معبد «جاندى سيوا» الذى تم بناؤه طبق التقاليد الهندية فى برامبانام فى جاوا (Prambanam in Java) فى سنة ١٠٩٨ ع . ولكن من المستحيل رفض التأثيرات التى جاءت من

شريحى «همايون» و «عبد الرحيم خان خانان» وكل هذه الادلة تقضى على القول بان نموذج تاج محل فى صميمه أوربى.

والجدير بالذكر هنا ملاحظة «مارشال» (Marshall): «ان تاج محل نفسه أكبر شهادة حية ورد على جميع المزاعم. ان تاج يبدو لكل ملاحظ ويظهر انه ابداع حقيقى فى الطراز، دون أى تأثير غربى على الاطلاق».

ولكن رغم هذا البحث الطويل ما زال تعيين مهندس تاج محل لغزا لم يحل. وكما يقول برجيس (Burgess) من الاغلب أنه قام بتصميمه لاجو فارسى على مردان خان. ولكن لا يمكن استخراج اى نتيجة من مثل هذه البيانات.

أما سر ج. ن. سركار (Sir J N Sarkar) يزعم فى كتابه «الدراسات فى الهند المغولية» بانه تم بناء تاج محل تحت اشراف «مكرمت خان» و «مير عبد الكريم» وهو يسند قوله ذلك الى كتاب «منتخب اللباب» لسيد خافى خان. ومما يجدر بالملاحظة أنهما عاصرا شاه جهان وكان يوجد مدير يشرف على شئون التعمير والانشاء ويلقب بـ «داروغة عمارت» وقد شغل مكرمت خان هذا المنصب لمدة وبعد ذلك ذكر السر ج. ن. سركار بعض أسماء المصممين من ديوان آفريدى (Diwan-i-Afridi).

(١) أمانت خان شيرازى - كاتب الكلمات من قندهار

(٢) ماستر عيسى - بناء وهو من اهالى مدينة آكره.

(٣) ماستر پيرا - نجار من دهلى.

(٤) بنوهر، جهات مل، زور آور، كلهم صانعوا التماثيل من دهلى.

(٥) اسماعيل خان رومى ـ صانع القبب .

(٦) رام لال ـ بستانى من كشمير .

ان ديوان افريدى من اهم الكتب الموثوق بها فى التاريخ، ونعرف ان صورة قبة تاج محل تيمورى. وفكرته اخذت من قبة الصخرة فى القدس الشريف . فيظهر ان صاحب « ديوان افريدى » قد أتى بمعلومات موثوق بها، عند ما قال بان إسمعيل رومى قد بنى قبة تاج محل .

فى الحقيقة ان تاج محل اثر فنى ، يحمل فى احضانه شهادة خالدة على أعمال الفن الجليلة التى قام بها رجال الفن العظماء فى مختلف نواحيه ، الزخرفة ، البناء ، الحدائق وما الى ذلك .

وعلى عكس أصحاب الفن فى عصر النهضة الايطالية (Italian Renaissance) كان رجال الفن فى العصر المغولى متفوقين وبارعين . ففى مثل هذه الظروف لايستبعد ان يطلب شاهجهان الفنانين من جميع انحاء الهند ، ولانشاء أروع بناء رمزا لمحبة « ممتاز محل[1] » وتخليدا لذكراها . وكان شاهجهان نفسه فنانا بارعا ، وكان يحظى بقسط وافر من العلوم والفنون .

ويلاحظ الدكتور ب . پ . سكسينه بالاضافة الى ذلك ، كان الامبراطور نفسه يعرف فن البناء جيدا ، وكان يحظى بقسط وافر من العلوم ، مما يستطيع به التمييز بين الجيد والردئ ، فى الحقيقة انه فحص ودرس

---

(1) Mumtaz Mahal, wife of the Emperor Shah Jahan, in whose memory the King ordered to erect the great monument.

جميع مراحل البناء لحصا دقيقا قبل اصدار أوامره بالتنفيذ (تاريخ شاهجهان ص ٢٦٢).

ولقد زعم المستر « چغتاى » فى مقال نشر فى عدد أكتوبر ١٩٥٣ ، لمجلة « ماه نو » التى تصدر فى كراتشى ، زعم ان « الاستاذ أحمد لاهورى » الذى منحه شاهجهان أعلى وسام الدولة ، كان مهندسا لتاج محل . ومصدر ذلك كتاب « ديوان مهندس » لحافظ لطف الله مهندس . والآن محفوظ لدى السيد محمود فى دجالور . » ويصف المستر چغتاى هذا الكتاب بوثيقة حقيقة لذلك العصر ، ولكنه لايعطى اى تفاصيل سوى ذلك

تعريب الاستاذ صبح الدين العلوى

ملامح الهند

(٣)

الهند عبر التاريخ

وحاول تشولاس تحت قيادة راجا راجا الاول ان تعلن السيطرة على الجنوب بمساعدة عسكر العساكر التى قادوها فى وادى نهر الجنج على ان النجاح لم يخالفهم ، وليست الحملة الآن فى التاريخ الا مغامرة مماثلة للمغامرات التى قام بها الامبراطور جبتا لفتح الجنوب ، على ان تشولاس استطاعوا بسط سيطرتهم لا على جنوب الهند فحسب بل على حكومة شرىوجيا فى جنوب شرق آسيا ، حيث حدثت حرب بحرية لاجل الدفاع عن المصالح التجارية القائمة لتشولاس ، فى جنوب شرق آسيا . وكانت تلك المصالح بكل الاعتبارات من المقومات الاساسية لثروة تشولاس .

وفى القرون التالية للعصر الجبتى حدثت تغييرات رئيسية فى الهند الشمالية . فاغار الهس على المناطق الشمالية الغربية ، غارات اجلت الشعوب المحلية فدخلت فيها القبائل الجديدة لتستقر وتوطد دعائمها ، كما بذلت محاولات لاقامة الامبراطوريات ونذكر منها هارشا على سبيل المثال ولكن المساعى الرامية الى اقامة امبراطورية موحدة واسعة لم يقدر لها النجاح ، وحل القرن العاشر الميلادى ليجد الهند قد انقسمت الى حكومات صغيرة محلية ، والجدير بالملاحظة هنا ان الوحدات السياسية فيما مضى كان عمادها الاستبداد والسلطة والقوة السياسية ، ولكن الآن نشأ شعور بالمنطقية ،

وهو يعتبر ملهما ثقافيا لإنشاء حكومات جديدة لـ سولا نيكس وبراماراس وبراثي هاراس وتشوهانس وتومارس وكلاتشويس وبالاس وغيرها، وهذه المشاعر الناشئة عن الولاء بالمنطقة دامت تعبر عن نفسها خلال القرون التالية بطرق واساليب شتى فمثلا عن طريق استخدام اللغات المحلية مثل الجيراتية والراجستهانية الهندية والبنغالية وغيرها. وتفضيل هذه اللغات على غيرها. وافضى الامر الى انماء اللغات المختلفة المحلية والى ايثارها على اللغة السنسكريتية، وكانت الديانة البوذية حتى هذا الحين قد سادت وانتشرت الى حد كبير، فاتخذ دعاتها من تلك اللغات المحلية وسيلة فعالة لنشر مبادئهم التى انتشرت بازدياد مستمر.

واحدى التغيرات الملموسة الهامة التى طرأت خلال هذا العصر هى تنسيق النظام الاقتصادى فى هذه الشمال وتنظيمه الى حد كبير. وكان قوام هذا النظام المنسق هو الاقطاعية وقد كان الملك يقطع العقارات الى البراهمة وغيرهم من الموظفين الحكوميين وكان هؤلاء الذكر مستحقين لدخل الاراضى دون ان يحظوا بحقوق امتلاكها او وراثتها. وكان الواجب عليهم ان يدفعوا الى الخزانة الملكية ضريبة نسبة مقررة من مجموع ما تعود عليهم من تلك الاراضى مضافا الى انهم كانوا يربون عددا من الكتائب العسكرية. وبدأ هذا النظام فى العصر الحتى ولكنه سرعان ما ساد فى كل مكان فيما بعد. ومن الناحية السياسية كانت سيادة هذا النظام تغييرا مرموقا ذا مغزى خطير. فانه ابعد الملك عن شعبه بعدا كبيرا، وقلل من سلطته، فلم يعد الملك يحظى بسلطة مباشرة على الاراضى.

واما الدخل الوارد عن طريق التجارة فكان حتى ذاك الحين قد انخفض الى حد كبير، لان معظم التجارة القائمة مع البلدان الاجانب كانت

تفلت من ايدى غير الهنود، وتسرب الى غيرهم، اذ التجارة مع آسيا الغربية كانت بتمامها فى ايدى التجار العرب الذين استقر بعضهم فى المواانى على الساحل الغربى للهند، ومع ان التجارة مع آسيا الشرقية الجنوبية بقيت فى ايدى التجار الهنود الى حد كبير، ولكنها كانت محدودة فى جنوب وشرق الهند.

وما زالت سواحل الهند الغربية تجلب شعوبا من آسيا الغربية منذ القرن الميلادى الاول عند ما وصل المسيحيون اول مرة فى مالابار. وفى القرن الثامن ورد البارسيون بعد نفيهم من فارس — ونشأت فى العصور التالية مستعمرة لليهود فى كيرالا. واخذ التجار العرب فى نفس الوقت تقريبا يتخذون سواحل مالابار موطنا لهم. وطلع فجر القرن الثالث عشر لاستقبال طبقة اخرى الى الاراضى الهندية وهم الملوك الاتراك والافاغنة الذين جاؤا فاتحين واطئين الممرات الواقعة فى الشمال الغربى حاملين معهم قوة ثقافية جديدة اى الاسلام.

وبدأ دخول الاتراك والافاغنة الى الهند بسلسلة من الغارات على الهند الشمالية التى استهدفت نيل الثروة على ان الهند اصبحت — شأنها — بالتدريج وطنا للحكام الواردين من الحدود الغربية الشمالية. ولاسيما بعد الانتصار المغولى. ولم يكد القرن الثالث عشر ينتصف حتى توطدت حكومة دلهى، وفى خلال المأة الاعوام التالية كانت الدكن ومعظم الهند الشمالية تحت حكم الاسر من سلالة الاتراك والافاغنة. واما كيف تيسر لهم ذلك خلال هذه الفترة القصيرة فلعله يرجع الى ان الحكام الجدد لم يخالفوا النظم السياسية والاقتصادية السائدة فى حياة الشعب، وانما

اكتفوا بالتغييرات عند الطبقة العليا الحاكمة وفى الاسر وفى بعض الامور الرئيسية فى النظام.

وبجلى نفوذ الافكار الجديدة فى ميادين الثقافة والاجتماعية وبالرغم من ان ايدلوجية الديانة الجديدة لم تؤثر تأثيرا فعالا على الدوائر الهندوسية الارثوذكسية على انها تأثيرها فى الطبقات الادنى للمجتمع مثل الصناع والزراع كان ملموسا مرموقا وكان عادة شبوا القديم لايزال متداولا، وكان ظهور الاسلام فى الاراضى الهندية مقويا ومغذيا لها، او بعبارة اخرى ان ما ساعد فى تعديتها وتقويتها هو فكرة التصوف الاسلامى، وفكرة الاسلام بمساواة البشر. وكانتا الفكرتين وجد فيهما الشعب مبدأ اعلى مما تعودها. وكانت النتيجة ان ظهر نوع جديد من التعبد المعروف بحركة «بهكتى» واستمد حياته من الصناع والزراع الريفيين واصبح بعض دعاة هذا المبدأ الجديد مثل كبيرونانك يتحدون الارثوذكسية تحديا جديا. هندوكية كانت او مسلمة، وبلغ الداعيان فى دعوتهما مكانة حتى اشتهرا كمؤسسين لطوائف دينية جديدة، اى طائفة كبيرة ينتهى وطائفة السيخ

ولم تكن الديانة هو الحقل الوحيد الذى جرى فيه التغيير فان القوة الجديدة التى دخلت الهند. فتحت ابواب البلاد من جديد للثقافة الفارسية كما حدثت قبل القرون فى العصور التى سبقت العصر المورى وتوافقت الاوضاع والطوابع الدراسية مع الحدود الاقاعة واثرت على الحياة فى الهند الشمالية فى كل ناحية تقريبا، اعنى من المبادئ الفلسفية والآداب التخليقية الى الطرق البسيطة للاكل والشرب واللبس. وسادت الكلمات العربية والفارسية فى دوائر البلاط والمحاكم مما ادى نهائيا الى

نشوء لغة جديدة اى اللغة الاردية ، وهى المزيجة من الاجرومية الهندية والكلمات العربية والفارسية ، ورمز خالد من عدة طرق لامتزاج الثقافتين ونذكر على سبيل المثال لهذا الامتزاج فى نواحى الثقافة الاخرى القباب والمحاريب التى تعد نماذج ممتازة فى فن العمارة للثقافة المزدوجة لهذا العصر .

وتأصلت حتى القرن السادس عشر جذور الاسلام فى الهند ، وبما ان الاكثرية من المسلمين الهنود كانت من الهنادكة الذين اعتنقوا الاسلام ، لم يظهر فى طابع العيش فرق واضح . وقد سبق ايام الحكومتين البهمنية ووجى نكر ان عرف المجتمع الهندى بالافكار الاسلامية الى حد بواسطة الاتصالات القائمة مع العرب .

وبدأ القرن السادس عشر ليزيد هذا الانسجام قوة ومتانة بورود اسرة جديدة من الخارج اى الاسرة المغولية . ومع انحلال حكومة دلهى فى مستهل القرن السادس عشر اقام المغول سلطتهم تدريجا فى الهند الشمالية . مواصلين محاولتهم لبسط سيطرتهم على شبه الجزيرة كلها . ولاشك فى ان المغول فى محاولتهم انجح من الاسرات السابقة مع استثناء الاسرة المورية ، على انهم لم يحظوا بالسلطة الملكية المباشرة على جميع البلاد كما كانوا يريدون . والسبب فى ذلك ان نظام منح الاراضى كان سائدا كنظام اقتصادى رئيسى ، وثبت حائلا دون نيل السلطة المباشرة التى توخاها المغول .

وروج المغول نظاما مسقا للادارة ، يربط مختلف انحاء الامبراطورية برباط واحد ، فقاموا بمنح الاراضى المزروعة وتقدير الضرائب بدقة وانتظام ، وادى هذه المهمة « تودرمل » . ومن الطبيعى ان الادارة تتطلب تحسين المواصلات والارتفاع بمستواها ، مما تمهدت السبيل بالتالى التجارة فنمت وازدهرت وزاد الطلب للانسجة فى اسواق الهند وخارجها .

ويعتبر الامبراطور أكبر شخصية ممتازة من بين الحكام المغول . ويذكر بصفة خاصة لدعايته الى ديانة جديدة والى انسجام بين الثقافتين . واراد اكبر ان يدين الشعب كله لمبدأ جديد اخترعه هو نفسه واشتهر بالدين الالهى . واشتمل على معتقدات ماخوذة من جميع الديانات ، ولعله كان الى حد ما ورثه من تجارب أشوكا . وكان الهدف المنشود وراء هذه الديانة الجديدة هو الانسجام بين المعتقدات المتضادة للديانات المختلفة السائدة فى شبه القارة . ومن بين الانجازات الباهرة التى حققت فى العصر المغولى - ومعظمها يرجع فى الاصل الى عهد اكبر - ما تتمثل فى العمارة والرسم والادب الخلاق فى اللغة الفارسية واللغات المحلية الاخرى ، ودام السلطة الفعالة للامبراطورية المغولية اكثر من قرن ثم انبعث الولايات المنطقية وظهرت قوات تتمرد على الحكم المغولى مثل المراهتا والسيخ وغيرهما ، وحاول الحكام المغول قمع هذه الحركات فكانت هناك حروب ومقاتلات ، مضافا الى الاخطار والغارات الجديدة التى هددت البلاد من الشمال الغربى فى الايام الاولى من القرن الثامن عشر . مما ادى الى فقدان الامن الى حد كبير . وكان هناك مثالا آخر للاضطراب الطارى فى آسيا الوسطى ، وله صدى فى شمال الهند وبجانب ذلك جابه البلاد خطر جديد آخر فريد فى نوعه وهو خطر التجار الاوربيين الذين كانوا يشيدون اركانهم فى سواحل جنوب الهند ، ووصل البرتغاليون الى الهند قبل المغول بثلاثة عقود وكان هدفهم توطيد الروابط التجارية المباشرة مع بلدان آسيا ، ليتغلبوا على التجار العرب الوسطاء فى تجارة الانسجة والتوابل وكانوا ناجحين فى سعيهم كما نجح غيرهم من الشركات الاوربية الاخرى التى تلتهم مثل

الهولنديين والدانمركيين والشركات الفرنسية والانكليزية . وكان البحث الاوربى عن اسواق جديدة فى آسيا قد بدء فى القرن الرابع عشر ، وكانت مكانتهم الآن قد استقرت وتوطدت ووجدوا اسواق الاستهلاك وبنوا مراكز وموانى للتجارة حتى امتلكت بعض هذه الشركات الاراضى فى تلك الموانئ ، وبعث السفراء الى البلاط المغولى والى الامراء المحليين المسيطرين على الطرق البحرية ، وانتهزت البعثات المسيحية التبشيرية فرصة من التجارة الاوربية مع آسيا ، فتوافدت .

(يتبع)

تعريب : ص . عامر الانصارى

الموسيقى الكلاسيكية اللطيفة

للاستاذ دى . ني . جوشى

تتوزع الموسيقى الكلاسيكية اللطيفة إلى ثلاثة أنواع فى الهند الشمالية :

(١) «طومرى» (٢) «دادرا» (٣) «طمة»

وإن قبول «طومرى» ورواجها يتوقفان على ما أحرزت لها من مكانة خاصة محترمة عن التقاليد الكلاسيكية القديمة. لأن أحل أساليبها الكلاسيكية، وقد ازدهرت طومرى فى البلاط الملكى تحت ظلال ملوك «أوده» (الولاية الشمالية فى الهند المعروفة بأترابرديش فى هذه الأيام) وأخص بالذكر منهم الملك واجد على شاه الذى أفاض عليها من حبه وتقديره المتزايدين دائما، وفى العهد نفسه تقدمت طومرى أيضا وبلغت ذروتها مع «الرقص الكاثوكى» وقد ثبتت طومرى - أداء الخيال - تكنيكيات محظورة فى الموسيقى الكلاسيكية على سبيل الاطلاق

وفى «طومرى» يستبيحون ألحاناً لاترتبط أصلا مع الأنغام التى تتضمن معنى من المعانى، ولكن مغنى طومرى - رغم هذا التحرر - يضطر إلى ان يقدم صياغة منه تحت عدة من المناهج المقررة من قبل. ولايمكن له ان يتجاوزها، وهذا هو الاختلاف الأساسى بين طومرى وبين الموسيقى اللطيفة، ومن أجل ذلك تدخل طومرى فى حلقة الموسيقى الكلاسيكية، وإنها موسيقى أهلية محضة، تأصلت جذورها عميقة فى هذه الأرض، بدون أى تأثير خارجى.

وقد احتلت «طومرى» مكانة عالية مرموقة فى فن الموسيقى من حيث الجدة والابتكار، وهى نوع من الموسيقى التى تنطوى على كثرة العواطف، وتتمثل فيها روابط غرامية جيدا.

ومما تمتاز به «طومرى» أن مغنيها يؤدى الكلمات كلها واضحة بينة، كما يمكن له أن يظهر عواطفه فى أسلوب مؤثر جذاب، إن فى طومرى حداء خاصا يتسم بالخفض والعلو، والهدو والترتيل، وذلك ما يبعث روحا وحرارة خاصة فى نفس مستمعيها، ومن أروع مزاياها ـ أيضا ـ أن مستمعيها لايضطرون إلى ان يتعبوا أذهانهم كثيرا ليتمتعوا بها، والألحان التى تغنى فيها طومرى تسمى «چاچر» بوجه عام وتكون فيها أربع او ست عشرة لغات، وإذا أتم المغنى تقديم مختلف وجهات طومرى متنقلا مفاهيم الكلمات نجاح، يرفع بوجه عام صوت غنائه البدائى رويداً رويداً، وهناك يتنهز الطبالون هذه الفرصة لعرض فنهم وبراعتهم.

وهناك أسلوبان لأغنية طومرى على وجه عام (١) الأسلوب الشرقى (٢) والأسلوب البنجابى، ومن خصائص الأسلوب الأول أن فيه ركوداً وسكونا طويلين، بينما تستعمل ألحان كثيرة صعبة فى الثانى ـ مثلا «طومريات بنت» تغنى فى ألحان سريعة قليلا وفيها لهجات مختلفة معقدة كثيرة، فلا يصاحبها إلا طبال بارع ذو تجارب واسعة.

واستفادت طومرى كثيرا من ثروة النغمات الأهلية الساحرة، التى توفرت فى بلادنا هذه ـ وقد تعددت أنواع كثيرة مختلفة للنغمات الأهلية فى الهند الشمالية مثلا «كجرى» و «چيتى» و «هولى» وغيرها ونتجت منها طومرى وهى فى الحقيقة ـ صورة متغيرة لهذه النغمات الأهلية التقليدية، ولما أخذت

النغمات الشعبية الريفية صورة طومرى الحضرية تغيرت حالها وطبيعتها كثيراً واتخذت صورة أنيقة رائعة أكثر من قبل ، وان بعض المغنين والمغنيات قد برعوا جدا فى غناء طومرى بأسلوب رشيق متقدم ، وهم «أفضل حسين» و«الآنسة اختر» ، و «رسولن بائى» و«سوريشوى ديوى» وغيرهم .

إن أغنية دادرا التى هى أقرب نوع إلى «طومرى» وأشبه بها تدخل أيضا فى الموسيقى الهادئة الكلاسيكية ، وهى أيضا غناء خفيف لطيف ، ولكنها تغنى بلحن أسرع بالنسبة إلى طومرى وتكون أكثر النغمات ذات ست لغات فى لحن دادرا ، ولكن بعضها تكون فى ثمان لغات أيضا فى اللحن الكهراوى .

ولم تحظ «طبة» بقبول أكثر بالنسبة إلى طومرى ودادرا وهى تنبع من الأغانى الأهلية البنجابية ، التى كانت تستخدم فى سوق الابل ، وهى تغنى فى لحن وسيط سوى وأكثر كلماتها من اللغة البنجابية وهى تنسب إلى «شورى ميان» ومن أظهر خصائصها أن المغنى يمد فيها صوته إلى مدات صغيرة .

وإن كان أصحاب الآراء القديمة يعتقدون بأن هذه الصناعات والفنون ، قد آن انحطاطها ، ولكن الذى يسر الجميع أن كثيرا من مغنى «الخيال» لايرون عيبا لانفسهم فى تغنى طومرى ودادرا ولايزال غلام على خان الكبير ومن يضارعونه من الموسيقيين البارعين على قيد الحياة وقد عرفوا ببراعتهم فى الموسيقى الكلاسيكية والكلاسيكية اللطيفة على السواء .

الموسيقى اللطيفة فى مهاراشترا

يحمل فى موسيقى مهاراشترا عنصران بوضوح ، أحدهما الموسيقى الكلاسيكية وثانيهما الأغانى المحلية التقليدية .

وقد اتخذت مهاراشترا أسلوب الهند الشمالية فى الموسيقى الكلاسيكية فان كبار المغنيين فى مهاراشترا الذائعين صيتهم أمثال بالاكرشنا بلوا اجل كريحكيرا، وتلاميذه وشنو وبكر بلسكرا، راماكرشنا بلواوزايا، وشنونارا بابهاتاكهندای بهاسكرا ناوا بكهلای وملك الغناء الله داياخان مع تلميذيه كوند ار اوتمبای وعبد الكريم خان كلهم قد تلمذوا على أساتذة موسيقى الهند الشمالية وهؤلاء الأساتذة هم الذين قد أسسوا الموسيقى الكلاسيكية الحديثة فى مهاراشترا ولايزال تلاميذهم يرفعون رأية الموسيقى فى مهاراشترا اليوم وقد نال غير واحد منهم صيتا بالغا فى أقاصى الهند.

وبناء على تلك الموسيقى الكلاسيكية نشأت بعض الأنواع الأخرى من الموسيقى اللطيفة وبرع أكثر مغنى الأغانى الكلاسيكية فى نوع خاص من الموسيقى اللطيفة التى تفرعت من الموسيقى الكلاسيكية، ومن مختلف أنواع الموسيقى اللطيفة أصبح الغناء التمثيلى حد مألوف لدى الجمهور.

الغناء التمثيلى

نشأ الغناء التمثيلى مع المسرح «المراتهى» قبل مئة عام تقريباً وقد استفاد المسرح المراتهى لتمثيليات من أصناف اوبرا للتمثيليات السنسكريتية، فلم ينقلوا التمثيليات السنسكريتية إلى المراتهى فحسب بل اتخذوا تقاليدها أيضا، حتى أصبح الغناء التمثيلى شيئا مستقلا له صورته وتقاليده، وكان الغناء التمثيلى قد انطبع فى بداية الأمر من الغناء الكرناتيكى أيضاً لأن كثيرا من ممثلى مهاراشترا كانوا يرتبطون بروابط قريبة مع كرناتيك، وتمثيليات ذلك العصر لاتزال تعرض حتى يومنا هذا ويرغب فيها الناس، وغناؤهم أيضا يحمل تقاليد قديمة لم يتغير منها شئ.

وقد كان هذا الغناء التمثيلي - من مهاراشترا - وجي پورا وباجن آبتك ، وغيرها كالغناء المحلي التقليدي ولأجل ذلك لم يزل هذا الغناء التمثيلي - رغم اتباعه أسلوب الموسيقى الكلاسيكية - حبيبا لطيفا عاطفياً .

من خصائص الغناء التمثيلي أنه — وإن ارتبط بالايقاع والألحان الخاصة طبقا لقوانين الموسيقى الكلاسيكية — اتسم بالطاقة أسلوب «طومري» ورقة «هذا» ويساير، كذلك، الحركات التمثيلية على المسرح، لكونه غناء تمثيليا ولا يعرض عن مبادئ الموسيقى الكلاسيكية . ومما يدل على كماله أنه يحمل روحا كلها تأثير وتفاعل ، والتقييدات الفنية . لها محل آخر . ولذلك يمكن الغناء التمثيلي ان يمثل الملاحم والحبيب والأصناف الشعرية الأخرى أحسن تمثيل ، وهذا مما يفسر حدا للموسيقى الكلاسيكية المحتة ولأجل ذلك يساير هذا الغناء الكلمات أيضا لا الألحان وحدها ويزداد تأثيره وتفاعله .

وطالما شهدت مهاراشترا روابط قريبة جدا بين الغناء التمثيلي والموسيقى الكلاسيكية ، وقد استفاد كل واحد من الآخر أكثر الأحيان . فالموسيقى الكلاسيكية قد أنشأت الغناء التمثيلي على أسس راسخة ، كما سهلها الغناء التمثيلي وجعلها رقيقة ممتعة حقا ، فما زال غير واحد من الموسيقيين الكلاسيكيين يساهمون في الغناء التمثيلي . ومن المغنيين التمثيليين من يثبتون براعتهم في الموسيقى الكلاسيكية . وفي حفلات مهاراشترا ، طالما نستمع إلى أغاني متنوعة لطيفة ودينية أيضا مع الموسيقى الكلاسيكية ، كما خدم الموسيقيون الكلاسيكيون المعروفون مثل « بهاسكر باوابكهلاى » و «رامكرشنا باوا وزاتي» و «كوفندا راو تمباى» كأساتذة الغناء التمثيلي ، وقد ذاع

صيت تلاميذهم على المسرح ، والفنانون المعروفون مثل «سرى نارايانا راو راج هنس» (بال گندهرو) والأستاذ «كرشنا راو كهلمبريكرا» يغنون على المسرح ، وكان المرحوم عبد الكريم خان يغنى الغناء التمثيلى برغبة وافرة وكثير من الأغانى التى غناها المرحوم عبد الكريم تلقت خلودا وبقاء بعد التسجيل ، وكان «راما باؤ كندا كوند لكارا» (سوائى گندهرو) المغنى التمثيلى الشهير تلميذا له ، و «بهيم سين جوشى» الموسيقى الشهير كان تلميذا «لسوائى گندهرو» كما أن «كيشورا بوسلاى» «بادراؤ كولهاتكرا» و «الماستر ديناناتهه» والد المغنية المعروفة الذائعة الصيت فى الآفاق «لتا مونكيشكرا» أسماء لايكاد ينساها التاريخ الغنائى المسرحى ، وان لم يقدر للجيل الجديد اليوم ان يكون قد استمع إلى غنائهم . فان البانديت «وناتك راو پتودهنا» «وهيرا بائى برويكرا» ، وغيرهما من أساتذة الفن قد خدموا الغناء التمثيلى خدمة غير يسيرة ، وفى عصرنا هذا لايزال أمثال «راما مراتهے» و «حيوتسنا بولاى» و «راما مراتهاى سريش هلداناكرا» من الفنانين المشهورين يغنون على المسرح أيضا كما ظلت تساهم السيدة «مانك ورما» والمغنية «آسابوسلاى» فى الغناء المسرحى ، وما زالت الموسيقى الدينية (بهجن) والغرامية «گوالن وابهنگ» تحل محل الموسيقى الخفيفة فى «مهاراشترا» وقد تضمنها الغناء القومى الدينى ، ولكن الفنانين وضعوها فى إطار الموسيقى الكلاسيكية ، وقد اشتهرت السيدة «لكشمى باى كيلكركر» كولينس و «سدير فدكاى» بفضل تسجيلات الموسيقى الدينية للموسيقى المشهور «وى جى باثيكر».

أما بال كندهرو فلا يغنى فى هذه الأيام إلا الأغانى الدينية، وقد بدأ المسرح يتخلف يوما فيوما، مع تقدم السينما بعد الحرب الثانية الكبرى، ولكن الغناء التمثيلى لم ينعدم بعد. بل لاذ بالموسيقى الكلاسيكية، وانتقل من المسرح إلى الحفلات وأصبحت متعة للذين يتذوقون الغناء، وكذلك احتضن الغناء المسرحى كل أو جل ما ألف من الأغانى الجديدة فى العشرين سنة الماضية. وأصبح أداة متعة وتسلية للناس بأسلوب لم يألفوه من قبل وبسبب ذلك أنهم بذلوا جهودا قيمة لانعاش المسرح من جديد، ولكن إطار الحياة بأسرها قد تبدل جملة مع الحرب الكبرى كما تغيرت معها صورة الغناء المسرحى أيضا. وقد تأخر الغناء المسرحى وفقد أصالته أيضا. وإن هذا الغناء قد أخذ أساليب حديثة شاعت فى هذه الأيام.

وإن الأساليب الجديدة التى ظهرت فى مهاراشترا فى السنين العشرين الماضية قد نال الغناء التمثيلى أوفر حظ منها. وحظى لدى الناس، وأنه لأحب من الغناء المسرحى. ولاحتياج إلى القواعد الأساسية للموسيقى الكلاسيكية أنهم يشددون فيها على كلمات الغناء ويرفعون الصوت طبقا لمعانيها، إنه يتفق أحيانا مع السيب و ⁽¹⁾ التقوبل، ولا فارق بينهما إلا أن ألحان السيب تكون محدودة بينما تتنوع ألحان الغناء التمثيلى تنوعا كثيرا وتنال إعجاب الشعب.

وذلك ما جعل الغناء التمثيلى مألوفاً لدى الجمهور. وقد انتشر وعم إلى أن نشأ فيه نوع من انحطاط الفن، وفقدت الكلمات مهمتها لتدخل العناصر التجارية فيه، ولم يبق إلا بعض الألحان العامية السوقية. ونوع من

---

(١) ذلك ما يسمى فى هذه البلاد «قوالى».

عدم الاعتناء أو التهاون ويسجل اسم «جى. اين. جوشى» فى رأس قائمة المغنيين الكبار الذين يغنون الأغانى التمثيلية، وذلك لانه نجح فى ترويج الأغنية التمثيلية عن طريق تسجيلات «الفراموفون» نجاحا كبيرا، ويأتى بعده اسم «كجانى واتواى»، وان أسماء «جيوتسنا بولاى» و«مانك ورما» من مغنى الأغانى التمثيلية معروفة لدى الجميع فى هذه الأيام.

وقد تبع الغناء الفلمى الأغنية التمثيلية وفاق هذا الغناء سائر اقسام الغناء حتى لقى رواجا مدهشا فى أوساط الناس، وقد رغب الشعب فى الاستماع إلى الأغنية الفلمية أكثر من رغبتهم فى الأغنية التمثيلية وسبب ذلك ان الغناء الفلمى أحرز جميع التسهيلات والوسائل للوصول الى الشعب.

ولا ينبغى ان يعتبر الغناء الفلمى كنوع جديد للموسيقى فان الأفلام وسيلة لعرض كل نوع من الأغانى. وبالرغم من أن ابتدأت الصناعة الفلمية فى مهاراشترا طول عناؤها - مع كونه حفيفا لطيفا - قائما على أساس الموسيقى الكلاسيكية ونفس الأسلوب أنشد «امرت منتان» و«بهكتا پرهلادا» أغانى الأفلام القديمة، وفى عصرنا هذا أيضا لا يزال الاسلوب الكلاسيكى شيئا ملموسا فى عدة أفلام يساهم فى عرضه الفنانون البارعون مثل الأستاذ «أمير خان».

ومع ذلك فان هناك خصائص ومميزات للأغنية الفلمية، إذ تكون ألحانها خفيفة جدا لا يستلفت انتباه الناس إلى قواعد الغناء، وقد أثرت عليها اركسترا الغربية تأثيرا بينا واضحا لا صلة لها بتقاليد الموسيقى الهندية. وبناء عليه فليس هذا الغناء خفيفا طريفا فحسب، بل هو سخيف وضيع عن المستوى الفنى أيضا، والغناء الفلمى متقارب بالغناء التمثيلى، فانه أجل

الأغانى التمثيلية مثل «ما زاهوشلكا» لا تمثل أمامنا إلا فى صورة الغناء الفلمى، ومع ذلك إنها تنفصل من الغناء التمثيلى فى نواحى عدة لأن مجال الأغانى الفلمية تتسع لكثير بالنسبة إلى الغناء التمثيلى.

أما الفن الموسيقى الفلمى فى ولاية «مهاراشترا» فيختلف عن الفن فى المناطق الأخرى إلى حد ما. ولا ينحصر هذا الاختلاف فى اللغة أو اللهجات، بل فى الأنغام الموسيقية أيضا. فيمكن التمييز بين النغمة البنجابية والبنغالية وبين أخواتها فى «مهاراشترا»، فان الموسيقى فى مهاراشترا ذات النغم الساذجة المستقيمة. بحيث لا يؤثر عليها معنى الكلمات التى تتألف منها هذه النغم. وذلك على العكس كليا من الموسيقى البنجابية، ولا توجد المماثلة والتناسق فى الأنغام البنغالية، أما النغمة «المراتية» فليس كذلك

وذاع صيت «لتامنكيشكر» ، «آشابوسلاى» و «مدهوبالا» و «جويرى مالتى باندے» فى الأغانى الفلمية الجميلة لمهاراشترا، كما اشتهر و «تاركوراكا» و «كارادانا اوجى كروس» و «راماچندرا» و «سرهيرا بهتكاى» فى توجيه تلك الموسيقى

النهضة الحديثة

وبالنظر إلى الثورة التى حدثت فى الموسيقى «المراتية» خلال القرن العشرين يمكن القول بأن النغمات الموسيقية قد شقت طريقها إلى كل ناحية من نواحى الحياة فى مهاراشترا. فقد دخل الفن الذى كان يختص بالفنانين الموسيقيين وحدهم فى بيوت الأميين، ولكنه يبدو أن الفن قد انحط إلى حد ما، وأصبح مما يردده كل الناس من الطبقة السفلى.

ومع ذلك ينبغى أن نقول: إن ذلك الانقلاب الذى طرأ على الفن الموسيقى يبشر ببارقة أمل فى المستقبل. فيرى المستر «بى. آر. ديوكركر» انه مهما انحط ذوق المستمعين إلى الغناء فليس من شك فى ان اهتمامهم بالغناء يتزايد يوما فيوما حتى استطاع العامة معرفة الأنغام الموسيقية، وهذه بادرة حسنة بدون شك ولا بد وان يسئموا ذلك العنصرى الردئ المنحط بعد زمن قصير. وهكذا يزول أثره. أما اهتمام الناس بالأنغام وبمعرفة الفن فلا يزال فى تقدم مستمر وسوف يتمكنون من تميز الفن ونقده وفهمه أكثر فأكثر، والدليل الآخر فى هذا الصدد ـ هو أن المثقفين بدؤا يهتمون بالموسيقى الكلاسيكية بصورة متزايدة مع تمتعهم بأغانى الأفلام المعاصرة، فيحضر عدد كبير منهم فى حفلات ساهرة للاستماع إلى أساتذة الفن الموسيقى الكبار. حتى يتمتع به الذين لم يكونوا يفهمون هذه الأنغام قبل ذلك.

وجملة القول: أن ولاية مهاراشترا تسير قدماً مع الولايات الأخرى نحو تقدم ثقافى حديث. وأن هناك آثاراً لدورة جديدة فى الفن المراقى بكامل أنواعها. ولا يزال عدد طلبة الموسيقى الكلاسيكية يتزايد كل يوم والأغانى التى يتغنى بها المراهقون بمناسبة عيد «گنيش اتسو» والأعياد العامة الأخرى طوال الثمانية أو العشرة أيام، تتحسن ويرتفع مستواها الفنى باستمرار، حيث، بدأ الناس يتعرفون على الموسيقى الشعبية والمسرحية الشعبية والتمثيليات الكلاسيكية التى لم تزل مقبولة لدى عامة الشعب. عدة قرون فى مهاراشترا. وتتمتع هذه الحركة بتشجيع من الحكومة.

الموسيقى الشعبية فى پنجاب

ما هذه النغم التى تترنم بها

تعيش فى أغانى الجبل ويسرى فيك جمال كشمير (أغنية ماهية)

أنت هنا و «دهولا» في الغرب

وسكك الحديد تمر على رؤوسنا . ولكن

لاتزال تتحمل كل ذلك

ليعيش دهولا !

صولجانات حديدية هناك يا «دهولا» على قلبي

رفقا بقلبي فما أرق رجاحة يا «دهولا» (أغنية دهولائية)

هذا صوت يمكن القول بأنه صوت الشعب . فإن أغاني الآلام ونغم رغيد العيش تقدم صورة كاملة لطائفة أو طبقة خاصة .

قد استمع «والت هويتمان» (Walt Whitman) صوت أمريكا قبل ثمانين أو تسعين سنة من يومنا هذا حين استمع إلى قصار وطنه يترنم على الشاطئ . وكانت ربة البيت أيضا تترنم أثناء عمل الخياطة وقد رن ذلك الصوت أيضا في آذان «هويتمان» . وكان ذلك حينما شق «لنكن» و «كارفيلد» (Lincoln and Garfield) طرقا لتقدم الأمريكان وقد وضعت الحرب أوزارها في الولايات الشمالية والجنوبية وكانت أمريكا تتغنى بأغاني الحب والسرور والبهجة . وفي مثل هذا الجو الساحر تزداد الأغاني الشعبية جمالا وروعة ويشعر الانسان كأن الجنة تحت أقدامه وتفرعت الأغاني الاجتماعية من الأغاني الشعبية ما لا يتحمل استماعه كل واحد . ومن الصحيح أن الأغاني الاجتماعية ، يحتاج الانسان للاستماع إليها إلى قلب اجتماعي وفكر اجتماعي .

---

(1) «I hear America singing» - (Walt Whitman)

إن النغم قد شاعت فى طول البلاد وعرضها وأوجدها القلب الاجتماعى للشعب ونشأت بعد سفر طويل خلال هذا القرون العديدة .

وتتمثل الأغانى الشعبية البنجابية فى أغنية « ماهية » بكل رقتها وجمالها ، فعند ما يتغنى بها سكان الجبال ويضربون على أوتارها يشعر المستمع نفسه كأنها فى مكان يبهج لا تقل روعة من « كشمير » .

وتنبعث نغمة رقص « جدها » من سحر نأى المغنى ، وحفلات رقص « جدها » تعقد عموما فى فصل المطر من الموافق الملائم جداً أن تتبلل السماء ، وبعبارة أخرى ان يتغيم الجو ، من أثر أنغام الرقص ، وكذلك حقيق على العشيقة أن تشتكى لمعيب حبيبها من بيتها ، وتقول إنها اضطرت إلى ان تشعر كأن سكة محراث يمشى على رأسها ، كما ان اقتراحها ل« دهولا (الحبيب) أن يموت عرقا يمثل شده يأسها وقنوطها ، طالما قاست بلادنا ذل العبودية ولم يزل اقتصاد شعبنا المسكين ينحط يوما فيوما ، وقد عرضت صورة ذلك العصر على اساس « دهولا » بايجاز كامل ، إن بنجاب منطقة زراعية ولأجل ذلك طابقت محاورة كأن سكة محراث يمشى على الرأس طبقا كاملا مع الحال ، وهكذا أثبت شاعر النغم الشعبية براعته وفكرته الفائقتين حين استطرد تلك المحاورة بعد نزول « البلية » .

ان الآذان تتمتع بالاستماع الى النغم الشعبية لأنها تكون ساذجة جدا وإن حلاوة هذه الأنغام وشعبيتها وجمالها يضمن لها القوة والحياة ، والأسلوب الواضح البين يمنح الأنغام قداسة ومكانة رفيعة مهما كانت الأنغام تافهة ، ومن لم يعترف بقداسة النغم الشعبية فكأنه لا يستطيع ان يستمع إلى نداء الشعب الاجتماعى ولا يشعر بحيوية القلب والفكر الاجتماعى .

ويختلف أساليب فنى «دهولا» و «ماهيا» وكلتاهما أغنيتان تمثلان الشجن والحزن، ولكن تأثير النغم ينحصر على كلماتها. والحديث عن اللهفة والحيرة واليأس موضوع «دهولا» و «ماهيا» الخاص.

وقد قال العلامة محمد إقبال رح فى سنة ١٩٣٠م لدى زيارة صحفية، «ان الشعر البنجابى شعر بليغ رائع جدا مليئ بالعواطف حاصة. واللغة التى تستعمل فيها تمتاز بالسذاجة والرقة والحلاوة كما تختص بصدق العواطف والوضوح أيضا. وإن كان التشبيه يسقط أحيانا عن المستوى. أما رموز العشق فتعرض جيدا فى البنجابية. ولكنه لايدل على أن الشوق والحب لايعدوان حد المجاز فى الشعر البنجابى أبدا فا أكثر ما يشاهد فيه الحب الحقيق. وإن الشعر البنجابى مملو بالتصوف حتى يتراءى للناظر أحيانا ان الشعر البنجابى بكل ما فيه ليس الا تصوفا محضا وهناك صفة أخرى فى الشعر البنجابى وهى إنه يوجد فيه أغان كثيرة تحمل روحا ثورية عن حب الوطن ولا يعوزها اغان قومية ايضا. اما الأغانى الشعبية والأغاريد العامة فلا تعد ولا تحصى

<u>كلمات «جدها»</u>

انتشرت لآلى الندى

كنت أرقص مثل البلبل الشادى

مستمعا إلى أغاريد الأشجار

استثار فؤادى.

هلم نزر محل عيدك.

سأحمل صيدك.

أتيت كالهواء فاتحة خمسة شبابيك وخمسة وسبعين بابا

يتعاقبك أصحاب البنادق .

فرى . . . . . حمامة . طيرى فى الجو !

تعالى هنا (الوطن) يوماً ما .

يا قاطعة الحبال .

هذه هى بعض نماذج لأغانى رقص « جدها » وتسمى أغنية «جدها» بوجه عام لكلمة « بولى » معناه القول أو المقال .

فان مقال « جدها » يعرض حالة تامة كبيت من الغزل .

وقد يكون مقال من رقص جدها طويلا لايمتع النظر شجرة « بيپل » بغير ثمرها « تهوڑے » .

كما لاتتحسن أشجار « مولاهى » بغير أزهارها .

ومجوهرات الأعماق تبدو جميلا .

كالأسورة » ـ تقول «بيپل» ما أجمل حظى ، فقد لعبت البنات والفتيات على حبال شددنها بفروعى .

وقد أشار الدكتور العلامة اقبال إلى أقوال رقص « جدها » حينما قال : « إن الأغانى الشعبية لايأتى عليها الحصر ، ولكن تمتاز أقوال «جدها» فى الأنغام البنجابية الشعبية ، لأنها تمس أوتار القلب وتنزل إلى الأعماق » .

ولاتزال الأم البنجابية تغنى بأنغام تذكر فيه القطن الأهلى والأثواب المنسوجة به فى البيوت .

« سوف يأتى الآن لموك ويأتى بحقائب القطن ، والجدة تمد خيوط القطن والحائك ينسجه . الجدة تقتنيه لتملأ بها الصندوق وليبقى الخزينة ملأنة ، هناك كومة من الذهب والفضة ولكن يطلب الصبى لعبا جميلة .

وقد عرضت الحياة الأهلية بما فيها من تفاصيل وصورت فى أغنية واحدة ، « واخذت السكر من العلبة والسمن من الدولاب ، وصنعت منها الحلوى على الفور

والصبى يلعب فى حجرى

حضر من الخارج غاضبا ولطم على رأسى لطمتين

لماذا أبكيت الصبى ؟ لماذا ضربت الصبى ؟

والصبى يلعب فى حجرى

إن لروحى أربع أخوات ، لاتتحمل واحدة منهن بأمرى

« بريمى » « ديالو » « آسو » « وبهاكهو » لاتأخذ أى واحدة منهن ولدى وهو يلعب فى حجرى .

من لى بأعز من هؤلاء الصغار

نم يا حبيبى قليلا ، نم يا عينى حينا من الزمان »

نشوء الأنغام الشعبية وتقدمها

وقد كتب أستاذ الأنغام السيد « اونكار ناتهـ تهاكر » أن الشجرة تنبت من البذرة ثم تنمو وتتطاول وبناء على هذه القاعدة خرجت سنة

ايقاعات من ايقاع واحد يسمى «ستترج» وذلك لأنه ينتج ستة الحان وان نغمة «سام ويدا» تبدأ بهذه الألحان الثلاثة .

١ — اودارا

٢ — حدات

٣ — سورت

والنغم الشعبية تعرض أسسا للنغم الأهلية، وكلما اضطر الشاعر دو الحس المرهف إلى تعبير عواطفه انشق لحن من حلقه، ولما انضبطت الألحان والايقاع بقواعد أصبحت نغمة قومية، ولو بحثنا فى هذه الناحية لوجدنا ان منتج سائر الألحان العصرية هى النغم الشعبية ليس غير، إن النغم الشعبية أحسن خليط للحب والتصوف والدين، والألحان المختلفة الكثيرة وتمثل كرحرى سوراشترا «تيك» «كندهارى» «لوهالى» «ملتانى» «بنك بهيرو» «كنز» وما إلى ذلك من الألحان ذات النغم الشعبية فى مناطقها الخاصة طبقا لأسمائها المختلفة للنغم الشعبية وإذا اجتهدت حكومتنا الجمهورية لتوسيع نطاق الألوان المختلفة للنغم الشعبية لأمكن بسهولة مدهشة تدوين تاريخ للثقافة الهندية مما تتمتع به الانسانية جمعاء.

ونحن نستطيع ان نشيد صرحاً شامخا للمودة والصداقة والوحدة والانسانية بفضل هذه النغم الشعبية».

وكما أن الرقصات الشعبية لكل بلد هى نماذج واضحة لرقصات البشر البدائية، كذلك يمكن لنا ان نعتقد بأن النغم الشعبية حاملة الصور البدائية لغناء الانسان .

لقد شهد التاريخ أن الانسان فاز بمكانته هذه بعد ما قطع مسافة طويلة من تقلبات الزمان، وإن سذاجة النغم والرقصة الشعبيتين وصفاءهما تقليان حيوياً على ميول الفن الطبيعية في بلاد ومناطق عديدة.

ولم تزل المقاييس المختلفة للفنون اللطيفة توضع في مختلف البلاد ولم يشاهد أبداً أي كلفة او اصطناع في الرقصة او النغمة الشعبيتين كما ورث الفن الطبيعي التصوير الصادق الحقيقي للعواطف الانسانية في شتى أنحاء العالم، وقد انتقل هذا الارث من جيل إلى آخر وقد ازدهرت ازدهارا جميلا متنوعا في الفن الشعبي في بلاد مختلفة بفضل الحب والجمال

والجماهير في العالم — أجمع — يفتخرون بالفن الشعبي. وأهل كل بلد يعتقدون أن الحفاظ بتقاليد الفن الشعبي من واجبهم الأصلي. ونرى في هذه الأيام قسما جديدا من روعة الأسلوب ورشاقة الفن يساهم في تطريز النغم الشعبية، وكلما تصحو أمة من عبودية طويلة وتستعيد قوة الفن الشعبي تلتجئ أيضا إلى تطريزات من جديد. لكي يمكن مراعاة الميول الطبيعية والوجدانية إن قلب الشعب وفكره الاجتماعيين تنوران شموع الاعتداد بالذات في الفن الشعبي.

وإن أغاني الزواج تغنى في كل بيت من بيوت الفتاة قبل الزواج في كل قرية من ولاية بنجاب إلى يومنا هذا. والتي تغنى في بيوت الفتى الخطيب بهذه المناسبة تسمى بـ «كهوڑى» ويكون لكل أغنية من هذا النوع نغمة خاصة كما تمتاز أغنية «كهوڑى» باعتبار الايقاع في نغم بنجاب الشعبية.

وإن النساء في بعض قرى بنجاب يتغنين بأغاني الفرح والسرور لميلاد الابن وهي تسمى بـ «هولرا» وألحان تلك الأغاني تكون في

غناء كامل عن تزيينات أغاني الأفلام والأغاني الخفيفة الأخرى، وإذا سنح لك يوما ان تستمع إليها فلابد من أن تشعر بأنها تتسم بطابع أو... اكتشاف للانسان.

لايمكن ان تفقد النغم الشعبية وجودها فى أى حال بل وستبق مع بقاء الكون، والناس فى البلاد الراقية المتحضرة يرون من واجبهم ان يحتفظوا بالرقص الشعبى والأنغام الشعبية، وقد جمعت النغم الشعبية فى المجلدات الضخمة ولايزال يستمر هذا العمل حتى اليوم، وكما يحتفل العلماء خصوصا بنشر خطوط الألحان للانغام الشعبية فى البلاد المتقدمة. قام العلماء فى بنجاب بتدوين الأنغام الشعبية فى المجلدات كما فى مناطق الهند الأخرى ولكن لم يكترث أحدهم بتدوين خطوط الألحان للانغام وإن كان هذا الأمر أكثر أهمية من ذى قبل.

وفى البلاد الراقية يسجلون الأنغام الشعبية بالمسجلات الجديدة إنهم يستخدمون تسجيلاتها كما تستخدم المكتبات الضخمة.

وأما فى الهند فلا يوجد هذا الطم على المستوى البدائى فضلا عن المستوى الأخير العالى.

وتهتم المحطات العديدة لاذاعة الهند بالنغم الشعبية فى الأفلام و... ينجحون فى تجاربهم وقد يفشلون، وهذه الأنغام الفلمية لم تنحصر فى المدن الكبيرة فحسب بل إنها غزت القرى والأرياف أيضا، وهذا خطر مكشوف تعرض له الأغانى الشعبية الريفية الساذجة الرائقة، مثل ماجاء فى الأغنية التالية:

يقطن بيلا «عبر» «جناب» تمتع بالمزامير يا شيخ
فالكون بأسره عيد لحظة لا أكثر

هذه أغنية الرقص الشعبي الخاص الذى يسمى «بهنكرا» يضع الشيخ يده اليمنى على الدف واليسرى على أذنه والفتيان الآخرون يقومون حول الشيخ فى دائرة ـ ويبتدئ الشيخ ثلاث ضربات على الدف «ذك ذك ذك» يقول فتى آخر بصوت يملوه حلم ووقار

اضرب الدف يا شيخ ضربا شديداً .

فيضرب الشيخ على الدف ثلاث ضربات بشدة محكمة «ذك ذك ذك» ويصيح الفتى فى أسلوبه الخاص . السكون عند لحظة لا أكثر ، وتشتد الآن حركة الشيخ ويأخذ الآخرون يدقون الدف بشدة ولحن خاص .

ذك ذكا ذك ذك ذك ذكا ذك ذك

ويبلغ الرقص ذروته

وإنهم يهتمون برقص «بهنكرا» فى أول شهر «بيساكه» شهورهم الريفية الأهلية .

ولما هاجر سكان كوجرانواله وكجرات وسركودها إلى سحاب الشرقية بعد انقسام الهند جاؤا معهم برقص «بهنكرا» أيضا

وقد أعجب الناس بهذه الرقصة بمناسبات «عيد كن راج دن» التى تنعقد فى دلهى كل عام .

وينتقد النساء على الذين لايحسنون رقص جهومر أو يحطئون فى خلال النغم الشعبية فتقول «لاجهومرا ولا تاڑى» (الصفقة) .

أى : لاتقدرون على رقص جهومرا ولاتصفقون بأيديكم أشباه النساء إنكم لاتستطيعون أن تطلقوا اللحى على وجوهكم .

واللاجئون الذين هاجروا من شباب القرية قد [illegible]
برقص «جهومرا» أيضا ولكنهم ما كادوا يظاهرون بحماس جهومرا
فعلوا مع رقص «بهنكرا» أما نغمة «جهومرا» فليس أقل أهمية في
الحفلة، إن النساء لايساهمن في هذا الرقص وإنما يتمتعن به ويفرحن حينما
يستمعن إلى شباب القرية يتغنون بأغاني «جهومرا» ويترا قصون، والدفاف
في أسرة «بهراتي» يقبض على الوتد في يده اليمنى ويضرب ضربتين ثم
يضرب ست ضربات بعصاه، وما أن وقعت العصا على الدف سابقة إلا
يقع الضرب من الوتد الذي يكون في اليد اليمنى وتنبعث منه نغمة.

ذهن ذهن تناتن تناتن ذهن ذهن.

ويطير الدفاف الوتد في الفضاء طربا ثم يقبض عليه بأسلوب
لاينقطع به رنين الدف فيسود الطرب على المجلس ويبتدئ لحن آخر يسمى
«بچيا چهڑنا»، ولايزال يرتفع صوت الوتد والعصا والرقاص يصفق ويرقص
على الأعتاب ويشتد الرقص ويغني الجميع بصوت واحد ويقولون:

هكذا يدق الحمص — هكذا يدق الحمص.

وفي أغاني جهومرا تذكر قرصات الأذن تقول عذراء في أغنية:

في يدي حلقات من الزجاج كيف أحمل الجرة.

ولو حملت فسأحملها لدلال، هنيئاً لك يا عريس هنيئاً.

وفي أغنية أخرى من أغاني «جهومرا» تخاطب فتاة حبيبها [illegible]
عليها:

أماقلت لك.

(١) صاحب الدف الذي يشرف على ضربات [illegible]

... في الصحرا .

واصنع فيه شبابيك صغيرة .

لتستقبل نفحات الشمال والهوا. العليل .

ويحفظ رقاص « جهومرا » تقاليد رفع الايدى أولا ثم يشدون بهاليهم وهكذا يطرزون الرقص . ثم يضعون أيديهم على صدورهم ويحركونها حركة خاصة . ذلك هولون « جهومرا » الخاص بأن ترتفع الأيدى وتتراقص في الهواء ، وتصل إلى الصدر وتترجرج الأكتاف بارتعاش . ثم تنقطع الأغنية ، ويفتتح الرقص ويستمر مع ضربات الدف وألحان المزامير ، وتتضايق الحلقة وتتسع خلال التقدم والتأخر . ويقوم المتفرجون بشكل قوس ، الرجال على حدة من النساء . وقد تتقدم فتاة على الراقصين لكى تبعث فيهم روحا ونشاطا فتقول :

لا « جهومرا » ولا « تلاى » (صفقة)

ولابد إذن من أن يبدأ الراقصون بالأغنية الآتية :

لاتصبوها صغيرة بابل

زوجوا شادان

هو هو او او او او

وهناك قصة طريفة حول هذه الأغنية ، وهى أن والد « شادان » كان ابنه شادان حتى عشقها فتى لها. ذلك الفتى عند والد شادان مرارا أن يتزوج مع شادان ولكن والدها لم يزل يأبى ويقول « ابنتى ... حلقة « رقص جهومرا » ذات ليلة خرجت شادان من

زحام المتفرجين ودخلت فى حلقة الراقصين بما كان فيهم
محمد شادان بدأ سوى أن تنادى باسم عشيقته .

إن هناك روابط قريبة جدا بين الموسيقى الشعبية والرقص الشعبى
وترقص نساء «اسكيمو» فى وطنهن فى رهط ثمانى نسوة، وهذا الرقص
يتفتح كالأزهار (فى الجمال) على حركات الأكتاف للأذرع والاعناق، وتمتد
هؤلاء النساء الثانى بسحر الرقص إلى حد لايمكن تصور وجودهن علاجية
وإذا بلغ الرقص ذروته تتصلب الأنامل ثم تنعطف كالقوس ويتراءى للناظر
ان العظام لانت فى أذرعهن وتترجرج أكتافهن ترجرج الزئبق، ويبدو
العنق كأنها انفصلت عما فى الجسد، وتحلق فى الفضاء، وهكذا تنادى موسيقى
رقص «اسكيمو» البيئة فكان المحيط كله يتراقص بما فيه، والكلمات تترنم :

«تعالوا إذا قدرتم على إزالة أقدامنا، نحن بشر كسائر الانسان
تعالوا نحن بشر»
تعالوا لاتخافوا

وكذلك ترقص نساء بنجاب رقصة «سمى» فى الليالى المقمرة، كأن
أتراب «سمى» يدعونها، وكانت «سمى» فتاة جميلة، ولما حضر الأمير «دهولا»
وهو ابن ملك إلى وطن «سمى» تعاشق كل واحد منهما الآخر ونشأت بينهما
علاقات غرامية ولما غادر «دهولا» إلى وطنه أظلمت فى عينى «سمى» الدنيا
وأقفرت، وقد انشئ هذا الرقص بطراز لايحتاج فيها إلى موسيقى
بل وإن صوت الراقصات يبدو كأنه يرقص طبقاً لألحان الموسيقى

«سمى» يا صديقتى،

لقد حل كهيد على الابل ، صديقتى

[illegible] يا صديقتي

إن الإبل ذوات أحمال تسافر إلى جهتك صديقتي «سمى»

وقد تلون «جهتك» يا «سمى»

الموسيقى الشعبية البنجابية وألحانها

إن هناك أغاني يتغنى بها الناس على الدف. وهناك نغمة شعبية شهيرة في بنجاب يهتم فيها المغنى «تومبا» اهتماما كبيرا.

كما أن هناك نوعا آخر من ألحان بنجابية يسمى «كاتو» وينبعث هذا اللحن من حبل يشد بعصا. وكلما يسرع الحبل تتحرك العصا وتنبعث الألحان ويستعمل فيها مزماران أحدهما مشدود بوتر وثانيهما بوترين.

إن النغم الشعبية سرمدية لن تموت أبدا وتترنم معها هذه الألحان، الأغنية - في الحقيقة - ترقص على الأوتار. وقلب الشعب يرقص على الأغنية

إن الأغنية هي من أشغال الحياة التي تناغمت معها، وإن أوتار القلب التي لا تصمت ولا تبكم أبدا هي في الحقيقة منبع كل لحن ونغمة وموسيقى فـ«تومبا» لا تزن بغير الأوتار. والحياة لا تترنم بغير الحبيب.

معرب من الأردية

ابوعطاء السندى

(شاعر سندى متعرب فى القرن الثامن للميلاد)

الدكتور حافظ غلام [illegible]

ابوعطاء السندى على ما اقتضت هذه النسبة فى نفسها كان منحدرا من سلالة سندية ؛ هو معدود فى شعراء العصر الاموى ولعل معظم مشاهير الكتاب فى تاريخ الادب العربى وفى التراجم والطبقات فوهوا به فى مؤلفاتهم وان نجح مسعاهم قليلا جدا فيما حدثونا عن حياة هذا الشاعر وآثاره.

نما وترعرع ابوعطاء فيما يظهر فى اثناء السنوات الاخيرة للدولة الاموية ولقد عاش بعد ان استحكمت الدولة العباسية نحو خمس وعشرين سنة تماما ولكنه فى اثناء تلك المدة لايعرف شئ يدل على ميادين نشاطه يبد انه قضى حياته فى عزلة الى ان مات حوالى سنة خمس وسبعين وسبعمائة للميلاد.

كانت الثروة الشعرية لابى عطاء فيما يجب غنية ضخمة فقد كان شديد الولع بالشعر مع ما أتيح له من مقدرة واسعة على قرض الشعر ولكن لسوء الحظ اتصل بنا اليوم من قريضه قسم يسير جدا. فليس ديوان شعر فيما انتقل الينا من التراث العربى القديم وذلك لاحد السببين فإما انه لم يتفق لاى واحد من الرواة المغرمين بمخضرمى الدولتين ان يضم شعره فى تاليف خاص واما اندثر هذا الديوان تماماً فلايرجى بعد ان [illegible] الينا الفلك الدوار. ولكن هنالك كتب عديدة تحتوى أشتاتا من [illegible] وشوارد اياته، غير ان اصحابها بوجه العموم ينقلون عن [illegible] القديمة مادة فيكررون نقلها ومن هنا لايكاد يوجد فى الكتب [illegible] ما طريفا فيها.

... جزء كبير من بقية الشعر لابى عطاء مصونا مودعا فى كتاب ... على هذا المرجع الاصيل مع ما يضاف اليه من المصادر الاخرى ... المراجعة أيضا وقع منذ عهد قريب فقط أن تؤلف من شعر ... الاشتات المبعثرة بترتيب حسن وانما عنى بجمعها وتأليفها السيد نبى ... بلوج السندى فهكذا انحدر ديوان شعر أبى عطاء على صغر حجمه الى حيز الوجود وظهر الى النور لأول مرة على صحائف المجلة الربعية الشهيرة، الثقافة الاسلامية الصادرة من حيدرآباد الهند (المجلد الـ ٢٣ ص ١٣٦-١٥٠ تموز ١٩٤٩).

هذا العمل الشاق اخذه السيد بلوج على عاتقه باشارة من الاستاذ والعلامة عبدالعزيز الميمنى ولا مجال للشك فى انه افرغ جهده المستطاع فى البحث عن شعر هذا الشاعر واقتصاص ما يروى له ويعزى، وهو أيضا جمع فأوعى قسما كبيرا من المستندات كما هو نفسه يقول: انى لأجل ألا يزدوج اى مجهود إضافى بهذا الخصوص، تعهدت بهذا العمل اعنى التدليل على الشواهد المتوافرة فى الحواشى الضافية ــ ولكن هذا الديوان لايزال لسوء الحظ صغيرا جدا حتى ان فذلكة الابيات لم تجاوز مئة بيت وعشرين بيتا ولعل الارباع الثلاثة منها توجد فى كتاب الاغانى وحده.

مهما يكن فانى اظن ان بعض الابيات يمكن اقتصاص اثره فى طوايا المؤلفات الضخمة لكبار العلماء ولابد لذلك ان نتصفح صحائف هاتيك الكتب من اولها الى آخرها ولانتكل على الفهارس الملحقة وحدها ومثال ذلك البيتان اللذان هجا بهما ابوعطاء معاصره الشهير أبا دلامة الشاعر فقد ... السيد بلوج وهما كما يلى:

ألا أبلغ حيت أبا دلامة فليس من الكرام

اذا لبس العمامة كان قردا   وخنزيرا اذا وضع العمامة

كان الغرض الذى استهدفه السيد بلوج ان يوعى من شعر ابى عطاء ما تبدو فى شتى الكتب ومن هنا لم يتصد للبحث عن حياة الشاعر وشعره وقيمة شعره ببيان حقيق بالاعتبار . ومما يتوضح ان على أساس هذه المادة القليلة لا يمكن لنا ان ندلى اليكم بتحليل كلامه المنظوم بمزيد الافادة والتفصيل كما لا يمكن ان نقدم امام العيون صورة كاملة لحياة الشاعر بالاستناد الى عدة حوادث فقط ومهما كان فاذا انعمنا النظر فى الشئون العامة للحركات الاجتماعية والسياسية والادبية فى عصره لما كان مستحيلا ان نستنجح حتى من هذه البضاعة القليلة جدا بعض نتائج هامة وشيئا ذا بال .

هذا المقال ، ارجو من القراء انهم يعتبرونه فقط مجهودا متواضعا بالنظر الى نفس الاتجاه الآنف الذكر وليس من الممكن ان نقوم فى هذا الصدد بدراسة واسعة مسهبة وكيفما كان فانما يهمنى ان نوضح فى هذا الخصوص بعض نقاط هامة وفارقة .

كان اسم ابى عطاء بحسب بعض الروايات[٢] « أفلح » على ان البعض الاخرى تسميه[٣] « مرزوقا » وانما سمى ابوه « يسارا » فيما اجمعوا على ذلك

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج ٢ ص ٧٧ (ترجمة أبى دلامة) القاهرة ، ١٩٤٨ .

(٢) الاصبهانى ، كتاب الأغانى ج ١٧ ص ٣٢٩

(٣) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ص ٤٤٢

وعلاوة على ذلك استطعنا ان نعرف بمراجعة المصادر الاصلية ان اباعطاء تربى وتهذب بالكوفة ولكن فى أى زمان ومكان ولد ؟ ولماذا قدم الكوفة وكيف انتقل اليها ؟ هذه الامور كلها لاتزال غير معلومة تماما وان كان بعض المراجع المتأخرة تدل على ان الكوفة نفسها مسقط رأسه ولكن هذا الخبر غير جدير ان نعتد به او نركن اليه لان المصادر الاصلية التى احلنا عليها لاتذكر شيئا يؤازره . هذا الخبر ـ نجده البحث مسطورا فى تاريخ الأدب العربى لبروكلمان الألمانى ، لكن لايمكن له ان يقتص اثر شئ يضاهى هذا الخبر فى المراجع المذكورة هنالك[1]

وفى هذا الخصوص يبقى لنا ان نلقى نظرة خاطفة على تاريخ الصلات الوثيقة فى ذلك العصر بين بلاد العرب وبين القطر السندى .

ان العلاقات التجارية بين العرب والسند فيما يبدو ظهرت على مسرح الوجود منذ عهد عهيد جدا[2] والعرب البحريون الملاح قبل فجر الاسلام بحقبة طويلة كانوا يرسون ببعض الموانى فى بلوچستان والسند باثناء اسفارهم البحرية على طول سواحل البحر العربى .كانوا اوقات ما يقيمون بهذه البلاد السندية ويتعاطون التجارة بمساعدة اهالى السند المواطنين . وكذلك هذا الامر يعد معقولا انه امكن لبعض الاشخاص المتحمسين الاشداء او الأسرات السندية ان يزور او تزور فى وقت من الاوقات العراق او بلاد العرب ثم أمكن لهذا الطارئ ان يتخذها مستوطنا ثانيا

(١) بروكلمان ، تاريخ الادب العربى ج ١ ص ٦٣ (بالالمانية) .

(٢) ابو حنيفة الدينورى ، الاخبار الطوال ، ص ٣٢٦ ، لائيدن ١٩١١ ؛ البلاذرى ، فتوح البلدان ص ٣٦٧ ، القاهرة ١٣٢٣ هـ .

وفضلا عن ذلك فكانت هناك منا شئ اخرى اساسية ايضا للمواصلات المتبادله فيما بين الشعبين فان ملوك الفرس منذ حين الى حين بسطوا أيديهم الى بعض النواحى السندية واستولوا عليها وحشدوا جحافلهم الجرارة رجالا مغاوير من طوائف السند الضارية بسفك الدماء كطائفتى الزط والميد[1] وبعض هؤلاء المحاربين ربما انتهزوا الفرصة للتحول الى بلاد العراق والعرب ثم انهم القوا بها عصا التسيار فيما بعد.

يجدر بنا ان ننتبه الى بعض الشواهد انما ورد فى الحديث ان عبد الله بن مسعود ذات مرة رأى مع النبى الكريم عليه افضل الصلوات والتسليم اشخاصا يمتازون بما لهم من هيئة خاصة وقد وصفهم عبد الله بانهم تراؤا له كرجال الزط[2]. وذكر البخارى بسنده ان عائشة ام المؤمنين اشتكت مرة فاستحضر ابن اختها طبيبا زطيا ليداويها[3]. وجاء فيما روى الطبرى فى تاريخه[4] ان على بن ابى طالب رضى الله عنه لما تولى الخلافة استخدم لادارة بيت المال بالبصرة رجالا من الزط.

بالنظر الى الامور الآنفة الذكر ربما لايعد مخالفا للعقل ان نقول، ولو بالحدس، ان بعض السنديين هاجروا الى العراق والقطر العربى حتى

---

(١) البلاذرى، المرجع السابق ـ ٣٦٨؛ ابن قتيبة، كتاب المعارف ٣٢٥، غوتنجن ١٨٥٠ م؛ چچ نامه، ١٦ ط. دلهى ١٩٣٩.

(٢) الترمذى الجامع ص ٤٦٥ لكنائو ١٨٧٦ (ابواب الامثال).

(٣) البخارى، الادب المفرد ٥١ القاهرة ١٣٧٥ (باب بيع الخادم).

(٤) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك ... ج ٥ ص ١٧٨ ط. الحسينية القاهرة، البلاذرى، فتوح البلدان، ٣٦٩.

قبل ان يتبلج النور الساطع للاسلام او على الاقل بعيد الاسلام فى وقت مبكر جدا.

أما جدود صاحبنا ابى عطاء فلا نحسب انهم خرجوا من السند فى هذه الايام المبكرة ولكن يهمنا نقرب هذه المرحلة ان نذكر نقاطا عديدة مما يتعلق بهذا الشاعر العربى لغة والسندى جرثومة فلابد من الانتباه لها :

نقول بادئ ذى بدء ان ابا عطاء تكلم دائما بلهجة مودحية لاهل السند ومن هنا لم يقدر قط على ان ينطق حروف عربية مخصوصة على وجه الضبط الصحيح فكان مثلا كلما تكلم بالعربية تلفظ بالزاى عن الجيم وبالسين عن الشين المعجمة وهلم جرا. ولاغرو ان هذا النقص المنطق كان فيما يبدو امرا طبيعيا رمى به كل سندى الجاد على الغالب فقد ذكروا كذلك عن ابى معشر نجيح بن عبد الرحمن — وهو محدث شهير سندى الاصل معاصر لابى عطاء — أنه كان ينطق بالعربيه نطقا مغلوطا فيه فكان مثلا اذا قال : حدثنا محمد بن كعب. نطق بالقاف عن الكاف وهكذا كان الامر مع مكحول الشامى وكان مواطنا ايضا لابى عطاء واكبر منه فى السن .

لعل هذه الأمور المتقدمة تكفى للاشارة الى ان صاحبنا امضى زمن الطفولية فى البيئة السندية والتحق بالناطقين بالضاد بعد ان اتقن لغة موطنه الاول بالضبط والدقة وبهذا الخصوص . وينبغى لنا ان نضع نصب عيوننا انه اولا وقبل كل شئ كان عبدا مملوكا وقبل ان يتحرر تملك رقبته غير واحد من الموالى واحدا بعد آخر . وفضلا عن ذلك فانه كان مطبوعا

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ج ٣ ص ٢٦٧ . بيروت ١٩٥٧ (السند) .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٦٨ .

على شجاعة جبلية حتى أنه ساهم مساهمة الجد والنشاط فى المناوشات [1] بين الاموية والمسودة العباسية.

فى ضوء هاتيك الاعتبارات امكننا ان نحرز بانه عند ما بدأت السند تفتح على يد القائد الشهير محمد بن القاسم الثقفي فربما اتفق فى اثناء ذلك ان سيق ابو عطاء الى الكوفة فى ضمن اسارى الحرب الذين جلبو اليها ولعله كان اذ داك غلاما لم يتجاوز العاشرة - وبناء على هذا التقدير يمكن ان نقدر سنه تماما نحو خمس وسبعين سنة وذلك ما لا يرفضه العقل

ومهما يكن فانما استوى ابو عطاء حظه من التثقيف والتأديب بالكوفة بين ظهرانى العرب الى ان تأتى له عن ذاك جودة السليقة ونهاية المعرفة باساليب اللغة العربية وآدابها لا جرم انه اتصف من جهة الفطرة بقوة العارضة فى نظم القريض وبناء على ذلك نجح فى تنمية تلك الملكة المودعة فيه فى وقت غير طويل حتى اخذ يقرض من الشعر باللغة العربية ما اكسبه الدسائع المتوافرة والجوائز المتكاثرة

وبعد ذلك وقع ابو عطاء عملا فى صفطة وارتباك فيقال انه لما حاز أموالا جمة كجائزة على قصائده الى ان فى وقتى هناك ادعى عنبر بن سماك احد مواليه انه لا يزال قنا لابن سماك هذا وعندئذ ضاقت الارض على صاحبنا بما رحبت. واخيرا اشار عليه اعوانه المرافقون ان يتصالح مع ابن سماك على شروط يرتضيان بها فصنع ابو عطاء كذلك ووقعت المكاتبة بينهما على ان يؤدى ابو عطاء اربعة آلاف درهما الى عنبر بن

(١) الاصبهانى، كتاب الاغانى ج ١٧ ص ٢٤٥-٢٤٨ بيروت ١٩٥٩.

(٢) البلاذرى، فتوح البلدان، ٤٢٠.

سماك لتحرير رقبته رسميا . ثم ان حلاته لم يألوا جهدا فى جمع هذا المبلغ الضخم ولكن ابا عطاء لم يرض بذلك فارتحل مستقيما الى حرب بن عبد الله القرشى ومدحه بقصيدة زهراء ولعله على هذه القصيدة اصاب من الممدوح مالا بقدر ذاك المبلغ الخطير فادى المال الى عمر وتحرر[1] حسب الرسوم والنظامات .

والآن انه نعلم مقطوعة يهجو بها عمر بن سماك . ولحسن الحظ أصدر الينا من هذه المقطوعة عدة ابيات تمثل امامنا نموذجا ناصعا للشعر العربى وهى حقيقة ان تتلى عليكم وبما يلى .

اذا ما كنت متخذا خليلا فلا تثقن بكل اخى اخاء
وان خيرت بينهما فالصق بأهل العقل منهم والحياء
فان العقل ليس له اذا ما تذكرت الفضائل من كفاء
وان النوك للاحساب غول له تدوى الى داء عياء
فلا تثقن من النوكى بشئ ولو كانوا بنى ماء السماء
كعنبر الوثيق نماه بيت ولكن عقله مثل الهباء
وليس بقائل ابدا فعيلا ولكن منه تستطع الرجاء[2]

ولعل صاحبنا فى اثناء هذه الايام احس بعد واهتمام انه لا يسلم من الخطأ فى النطق بحروف معينة يمر بها لدى تسميعه و نشاده القصائد

(١) الاغانى، ج ١٧ ص ٢٤٥-٢٤٦ .

(٢) هذه الابيات وما يتلوها وفيما بعد مع بيان المناسبات راجع الاغانى ج ١٧ ص ٢٤٥-٢٥٧ ؛ مجلة الثقافة الاسلامية (الدكنية) ج ١٨ ، ٢٤٥-٢٥٧ ، أيضا ج ٢٣ ص ١٣٦-١٥٠ يوليو ١٩٤٩ م

وبسبب ذلك لا يفهم الناس كلامه تماما بل ويضحكون عليه ويهزأون به، هذا من جهة وأما من جهة أخرى فكان ابو عطاء شديد الولوع بالشعر طبعا فما استطاعت هذه العراقيل على كثرتها ان تكبس على غطامط نزعته الشعرية ثم انه لم يكن قانطا حائر النفس قط فمازال يفكر فى اختيار خطة تساعده على مجاوزة ذاك الحاجز فصمم على اتخاذ راوية فصيح اللسان يصحبه وينشد روائع قصيدة وبقصد ذلك نظم ابو عطاء قصيدة مدح بها سليمان بن سليم وهى قصيدة سلسلة سائغة ولكنها فى الوقت نفسه عميقة التأثير نهائيا ومليئة بالتحريكة العاطفية ولا بأس بأن نمر ههنا بابيات عديدة منها فدونكم ما نقول

اعوزتنى الرواة يا ابن سليم وأبى ان يقيم شعرى لسانى
وعلى بالذى احمجم صدرى وجفانى بعجمتى سلطانى
وازدرتنى العيون اذ كان لونى حالكا مجتوى من الألوان
فضربت الامور ظهر البطن كيف احتال حيلة للسانى
وتمنيت اننى كنت بالشعر فصيحا وبان بعض بنانى

بعد هذا التمهيد العاطفى الذى لا بد ان يتغلغل فى قلب كل رجل مرهف الشعور، تقدم الشاعر الى ان يعرض حاجياته الماسة على الممدوح بأروق اسلوب وانما طلب منه غلاما طلق اللسان يقدر على انشاد القصائد بطلاقة وذلاقة وعندئذ اعطاه الممدوح فتى حدثا مصقعا وهو ذاك الفتى الذى سماه صاحبنا «عطاء» وتبناه ومن هنا اصبح يعرف بكنية أبى عطاء، ومنذ الآن فصاعدا خدمه هذا الفتى عطاء كالراوية له فكان ابو عطاء كلما اراد ان ينشد شيئا من قصيدة فى بعض الحفلات ظل هو ساكتا بنفسه وتقدم راويته عطاء فانشد القصيدة بالنيابة عن مولاه.

... وعلى ذلك يبدو انه كيف احس ابوعطاء بنوع قرابة وسلالية منه
ازداد على الارجح فى توثيق علاقات حارة مع اسرة ابن هبيرة الى ان
وجد نفسه فى بلاطه كما انه كان من ظهرانى عشيرته. وابن هبيرة هذا
كان بلا امتراء من رؤس شيعة بنى امية وكبار انصار البيت الاموى. ومن
هنا لم يستطع ابوعطاء ايضا الا ان يتحزب للاموية طمعا وما كان ابوعطاء
نصير الامويين وانتصر لهم بسوغه فى الشعر فقط ولكنه فى الواقع حارب
عنهم وربما اتفق فى اثناء بعض هذه المحاربات ان ابا عطاء وجد نفسه خلف
رجل من بنى مرة اسمه ابويزيد وكان هو ايضا مع ابى عطاء فى الصف
فبينما يقتتلان عثر فرس ابى يزيد فى معمعة القتال فالتجأ هو الى ابى عطاء
قال له: اعطنى فرسك حتى ادود عنك وعن نفسى معاً والا هلكنا جميعاً
فهنالك نزل ابو عطاء عن فرسه وقدمها الى ابى يزيد المرى الذى ما ان
ركبها الا انفلت وحده تاركا ابا عطاء خلفه مخذولا عديم الحيلة

حول هذه الحادثة قال ابوعطاء قصيدة فيما بعد ولا تزال عدة ابيات
منها توجد الآن، وحسبنا منها ان ننقل البيت التالى فقط الذى ينطوى على
حكمة سامية:-

رأيت مخيلة مطمعت فيها ... وفى الطمع المذلة للــــرقاب

ويضاف الى ذلك ان ابا عطاء نصح ايضا للجمهور ان يظاهروا بنى
امية ولا يخالفوهم.

وفى عصر مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية قويت شوكة الخوارج
تحت قيادة ضحاك الخارجى بحيث انهم استولوا فعلا على الكوفة وكان

(١) البستانى، دائرة المعارف ترجمة الضحاك، مصر ١٩٠٠ م.

عن تبع الخارجى هذا عبيد الله بن عباس الكندى الذى قتل اخوه من قبل على يد ضحاك الخارجى هذا، ومن ثم قال صاحبنا لعبيد الله يحرك فيه مشعر الآنفة:

قل لعبيد الله لوكان جعفر هو الحى لم يجنح وانت قتيل
ولم يتبع المراق والثأر فيهم وفى كفه عضب الذباب صقيل
الى معشر اردوا اخاك واكفروا أباك فماذا بعد ذاك تقول

ومهما يكن فالمجموعة الباقية من شعره تحتوى ايضا على قطعة قالها فى هجاء بنى امية والظاهر انه لما سدت عليه الابواب كلها بانقراض الدولة الاموية فلم يبق احد يكمله صامما بمعاشه ومسعما بمرامه ولعله فى هذه الفترة قاسى ايضا ضيق اليد فاصطر للخروج من الظروف القاسية الى البلاط العباسى وبناء على ذلك ورد عنه ان العباسية لما استولت على الخلافة فانه نظم قصيدة فى مدحهم وكان هذا المديح غير تام طبعاً مالم يكن مقرونا بهجاء اعداء الأسرة العباسية (أى بنى امية خاصة) ولذلك هجا ابو عطاء بنى امية بعد ان كانوا معضدين له بنوع خاص ولعله هجاهم كرها واضطرارا ثم أنه قدم الى الخليفة العباسى ما قال فى مديحه غير ان اتصاله الوثيق ببنى أمية كان اشهر من نار على علم فمازال اخلاصه لبنى امية امرا مشبوها ولم يؤذن له بالدخول على الخليفة فى البلاط.

عندئذ، فيما يبدو، تراجع ابوعطاء وقال فى هجاء بنى العباس مقاطع عديدة والبيت التالى بقية من بعض هذه الأهاجى:

فليت جور بنى مروان عاد لنا وليت عدل بنى العباس فى النار

اشرنا من قبل الى هذه الحقيقة ان المسلمين من الجنس العجمى عوملوا فى عصر الدولة الاموية كرعايا الطبقة الثانية فما كادوا يستمتعون من الحقوق

العقلية نفسها التي استمتع منها مواطنوهم من الجنس العربي[1] فانتهزت العباسية فرصة الانتفاع بهذه الحال ولاجل ان يكتسبوا معونة الرعايا كلهم وعدوا الجمهور باقامة النصفة الكاملة في المعاملات كلها اما في الحقوق الاجتماعية واما في الحقوق السياسية. ومن هنا لقب بنو العباس انفسهم بحماة العدل ونبذوا الامويين بالجائرين القساة. والبيت المتقدم هزأ فيه الشاعر بدعوى العباسيين واعلن بالجهر ان عصر الامويين حتى مع جورهم كان اكثر توفيقا من عصر هولاء العباسيين

(للمقال بقية)

---

(١) فيليب حتى، تاريخ العرب ٢٣٢

الجمال الضائع

الاستاذ ابو الفضل صدقة ابراهيم نصر

ذهبت للمستشفى للتغيير على جرح تسبب بعد خلع ظفر قدمي اليمنى وهناك رأيت حسناء هندية تمرض شيخا عجوزا ظننته والدها، ولما دنوت منها وتحدثت اليها عرفت انه روحها. انه في الواقع لم يكن مسنا ولكنه بدا لي هكذا اذ اعياه المرض واستلب منه شبابه. وقبل ان تركتها كنت اردد هذه الابيات :

من ذا اراك تمرضين الشيخ والسدك الابر
واى داء لمه حتى اكتوى هذا الضرر
قالت وفي العين أسى لاهم يوحى الشرر
لا وربي انه روحي وقد شاء القدر

وما ان وصلت غرفتي حتى قاطعني احد الاصدقاء بحديثه وجلوسه الطويل معي وبعد ان انصرف فكرت بالنوم ولكن كيف لي ان انام وهي تشغل كل افكارى - كيف لي نوما وانا اشعر أن هنالك جرعة تصبر وحيلة تندمر. فافقت ونفسي كانت تردد البيت الاول من القصيدة.

وجريمة والله لم أر مثلها ابدا وليس بمثلها ما يغفر
في ذات يوم اذ ذهبت اعالجن قدمي وقد جرحت لظفر يعقر
ابصرت، اذ ابصرت، شيخا طاعنا في العمر تسعون وزد ما قدير
ورأيت من ذات الجمال وربه حسناء تبدو كالملاك وتسحر

فى عقدها الثانى تسير كأنها ... حل يطوقها حرير أخضر

كانت تراقبه . لكنها قصدت ... لما رأتنى واقفا أتبصر

والت الى وفى العيون اشارة ... صرت لها سحرا لما لا اقدر

دارت بحولى مرة وتنهدت اخرى ودارت عشرة او اكثر

جاءت مسرعة قد كنت اعرفها ... احلت تعالجى وجرحى يسعر

جاءت اليها تسأل عاجة الماء ... تحمل كأسها او تنطفر

والماء كان عوص حينما وقعت ... لكن عيناها لصوتى تنظر

غفلت وعادت ثم عادت عندنا ... ماسوه بالعطف كادت تجهر

اخذت تناجينى ولكن كيف لى ... ادرى لسان الهندكى استظهر

وبقيت فى صمتى ولكن كيف لى ... صمتا وكانت للسؤال تكرر

قالت مسرعة . عفوا ألا تدرى ... هى عن جراحك قد اتت تستفسر

فصبت صمتوا انى للسانها ... لم احدق وليت لى ان اعذر

فهمت الى بصوت وجد حامت ... هل انت من بلد غريب تصدر

فاجبتها حسا وقلت هويتى ... عربى اصلى لاشوائب تذكر

عدنان جدى والجزيرة موطنى ... فى بيت لحم ولدت انى افخر

سألتها قلوا ومن ذاك الذى ... فى تحته من عيشه يتنكر

يبدو لى بانه لك والد ... اوجد فى اجلاله او اكبر

قالت وفى العين دمع تحدر ... فيهما لمست جريمة تتصبر

زوجى الذى تدعوه بوالدى ... فانظر هذا الظلم حقا يعمر

عمرى ثمانية من بعدها عشر حتى وانى ذو شهور اصفر
والله انى فى حياة مذلة لاحب يهوى او حياة تزهر
الله اوهبنى الجمال لارتوى بالحب فى عيشى ولو ذا يقصر
لكن ظلم العد اودعى الضنا والمال كان السر وهو المعثر
صدمت من وقع الكلام بطبلتى وسألتها احرى لكى استفسر
لكنها صمتت واوحت روحها بالصدق فيما قد تلت لاتسخر
عجبت كيف المال اعمر حسنها ولما عدت للمال كبشا ينحر
ورجوتها اذ كنت المس حزنها «لاتدمعى انى بدمعك اصهر»
ما المال فى قيم الجمال وقد ارى ورد الجمال على خدودك يزهر
والله ابدع فى عيونك سحره سحر الجمال لكل نفس ياسر
ولقد غدا رب الجمال مكبلا فى غصن بانك ناسكا يتفكر
انى سحرت بذا الجمال وليس لى غير التفكر فى جمال يبهر
الله ارسلك الملاك لامة كفرت بحسن الله وهى الاخسر
فامضى الى أمرك انى عونا لمن ظلموا ولا اتكبر
قالت نشأنا فى حياة كريمة والمال فيها كان لى يتوفر
لكن أعطاف الزمان تحولت عنا وقاسينا حياة افقر
هذا ابى هجر الحياة لقبره وارتاح عن عنت يذل ويحقر
وآلام من شجر الفجيعة قد جرت نفس السبيل ونفسها تتحسر
وغدوت لنى اذ اختى الصغيرة طفلة فى بيت عمى قاعدا لا اعمر

ووقفت في حب لغصن يانع   من غصن جيلي حامل يتبختر
كم كان ينشدني قصائد حبه   فاحدت في ركب المحبة أبحر
لكن والده تداعى سائلي   اذ ليس لي ما لا لديهم احضر
طلب الكثيرين الالوف كمهره   والمال عندي حيثما قد يصدر
حتى تقاصر ان يفوه بدمعه   واذا يتيم ليس لي من ينصر
والمال اصل المحبة والهوى   ان يمحق فانه لا يثمر
فاتى ثرى المال شيخ طامع   لا مال يعني بل جمالا يسحر
هو فيلسوف في العلوم كما بدا   وله مشاغل لا تعد وتحصر
ذو شهرة في كل حفل سارة   ككل حفل الحب كان الاصغر
اجبرت اذ لا امر لي بزواجه   وعدوت تحت عبداته اتصغر
عامان قد مضيا ليوم زفافنا   وكما تراه بدائه لتقهقر
ما زلت عذراء شفتاي موردة   لم تقطف اثمارها او تهدر
وقطوف صدري لم تمس فاذه   الله اني طفلة لا تدعر
فارحم بحالي قد هويتك فاقترب   خلف الحجاب فرصتي لا تخسر
قبل شمامها اينعت بربيعها   وادرك قطوفا صدرها متحجر
ولكم عطشت لمثلها من ساعة   سحت فغص حيرا ولا تتجبر
فيما احلى الشباب وطيبه   ان الحياة هي الشباب المثمر
فالتف الى صدري والهبت الحشا   بالنار من صدر لها يتفور

لكنني اعطيت عين تجاهل　　وتركتها طرفا وصرت افكر
واشرت للكهل المريض تخته　　والموت يكمن تارة او يسفر
قالت، اذ دنت، بصوت مرارة　　من قلبها الهاوى وفاه يغفر
عامان قد مضيا وليس بنفسه　　امل الحياة وسوف لا يتغير
ودموعها سكبت بكل حرارة　　وعيونها حجبت نهر يعبر
فلمست اطياف المحبة والهوى　　وكسرت بالعادات اذ لا تشكر
وحزنت من قلبي بفكر صامت　　ورثيتها حيرا بما هى تسرر
لكنها اعتمت ايوته حانى　　وهوت تقابلنى بقلب يسعر
ودموعها غسلت وجهى تقبله　　بالنار من عطف لها يتفجر
فمسكتها وصرت كأس شفاهها　　وشربت من عسل بها يتخمر
وقطفت اثمار الصدور ووردة　　فى كل خد رسمها متصور
داعبتها حتى لقد دبت بها　　روح لها كانت تثور وتهدر
هجعت وصارت بعد سكر حواسها　　حما تبرجم كالهديل وتشعر
نامت على صدرى بخمر هوانها　　تالله ان الحب خمر يسكر
فتركتها فى السكر تنعم نفسها　　ولجأت حيث اقانها يتعذر
والله انني ما قصدت بها الاسى　　لكنما عطفا لكى هى تنصر
فالله أسأل رحمة ومتابة　　ان كان يذنب من يحن ويشعر

فى كل ما مضى كانت الفتاة فى مرآة خيالى وتصوراتى لها كانت
تداخل رأسى ، ولكننى فجأة شعرت بالنعاس ولطم رأسى بطاولتى وفى

تلك اللحظة شعرت بكوة انفتحت فى رأسى وخرجت من عالم الواقع المحدود وقد رأيت حولها الكون بأسره من مشرقه ومغربه وشماله وجنوبه . رأيتها تلبس ثوبها (سارى) ازرق سماوى اللون شفافا وترفع يديها للسما. وشعورها سودا. طويلة مسدولة . كأنها حورية من الجنة وسمعتها تقول

لكنه لا ذنب اذ ان الهوى   روح الهـــوى ورب قـادر

يا عالم الشرقين والغرب الشقى   هلا الكم بالروح يوما تعمروا

المال حولكم عبيدا لا ترى   فى العيش غير المال حبيا يدحر

ما المال والعادات الا بدعة   ،الافك ربها لكم كى تحسروا

ثوروا معى ثوروا على عاداتنا   ثوروا على ظلم بها وتحرروا

ثوروا لاجل الروح وهى كما ارى   اصل بجسده الكريم الثائر

الروح اصل للمفاصل والتقى   والروح اصل فى الهوى لا تنكر

الروح توهب كل نفس طيبها   وتريدها سلوى ومجدا يذكر

لكننا فى الشرق نكثر ذكرها   فوق اللسان ومن رؤاها نسخر

والغـــرب طلقها ولم يأبه لما   فى القلب من عطف لها يتصر

فى الشرق عادات السخافة حرمت   طوعا لقاء العاشقين ليسمروا

والغرب جرحها باسباب الثرى   اذ لا اقتران بلا ثراء يصور

والمال كم كسر القلوب وكم عرى   تلك القلوب مرارة لا تصدر

---

(١) لا اعنى التهجم على الهوى بل اعنى ارجعه هذا القول للذين أساؤا فهم الهوى وفسروه بغير علم .

يا ناسى كونى مخلصين لحبكم فالحب دين فضله لا ينكر
كيف البيوت تقوم دون محبة بين القلوب وكيف يوما تعمر

ولما أفقت وجدت نفسى على طاولتى وقد كتبت هذه الابيات ولم ار حولى سوى صور وكتب حبست فى غرفة صغيرة، وتمنيت ان لو اعود الى دلك الوحود الذى لا حواجز حوله، الى ذلك الافق الوسيع لابتعد عن عالم الانسانية أو أراقبه عن كثب.

عملية التطوير الاجتماعي في القرى

الاستاذ زين العابدين الصديق

ان التطور هو اولا عملية تقوم على العلم . وقوامها العمل مع الشعب وتعليم افراده الطموح الى ما هو افضل ، وحثهم على السعي الى تحقيق رغباتهم في الرقي والتقدم والنهوض في مختلف مجالات الحياة .. الاجتماع ، الاقتصاد ، التعليم ، السياسة ، الصناعة والثقافة ، وغير ذلك مما لابد منه في حياة شعب واع يتطلع الى الامام

ان فكرة التقدم او النهوض قد فكر فيها المفكرون واطالوا تفكيرهم في بلادنا منذ القدم . ولم يقتصر تفكيرهم على النواحي المادية وحدها بل شمل كذلك النواحي الاجتماعية والثقافية والاخلاقية وفي هذا العصر الذي تقدمت فيه العلوم أصبح من الضروري لنا ان نوضح فكرة التقدم او النهوض وذلك كي لانتعرض للضعف او الوهن بتركيز اهتمامنا على النواحي الاقتصادية فقط ، فنجني بذلك ثمار عدم الاتزان .

ان النهوض بالانسانية لا يتم عن طريق نبذ الآراء الديناميكية القيمة ، ولكن النهوض يتحقق بمواجهة تلك الآراء في شجاعة وجرأة ، وبذلك يتم تجنب ما في تلك الآراء من مضار فتصبح اداة صالحة لتحقيق الاهداف الانسانية النبيلة السامية .

ان الدلالة التعليمية لنظام اقتصادي اجتماعي (Socio-Economic) هي في تحقيق حياة رغدة من الوجهتين المادية والثقافية ، ان التطور اذا سار جنبا بجنب مع التطور الاقتصادي فاز بالنجاح .

وبينما كنا نحن قبل عام ١٩٤٧ نكافح من اجل الحرية السياسية فان علينا الآن ان نكافح من اجل اشياء اخرى هى اغلى قيمة وهى تخليص روحنا القومية من كل شائبة.. ان السعادة الحقيقة تأتى عن طريق التناسق الصحيح بين الروح وبين البيئات التى تجاورها، وهى البيئة الباطنة التى تمثلها القدرات والاحاسيس، والبيئة الظاهرة التى تمثلها العوامل الاجتماعية والجسمانية.

مما مضى يتبين لنا بما لايدع مجالا للشك ضرورة تعليم الشعب ذلك التعليم الذى يشمل الجسم والعقل والروح.. فاذا استطاع التعليم ان يعين على إحداث انقلاب فى المسائل الخلقية والعقلية والروحية كان مبعثا لأمل صادق فى تخليص الانسانية المعذبة فى كل مكان على وجه الارض.

رواسب الاستعمار

ان اثر الحكم الاجنبى طوال السنين المأتين او الثلاث مائة الماضية اضر ببلادنا ضررا بالغا، وخاصة باهل الريف، فتحطيم حكومة القرية وإدخال النظام المركزى فى الادارة وإزدياد عدد المدن والحواضر والعناية المتزايدة بتلك المدن والحواضر.. ثم اهمال الريف والقرى — كل هذا العوامل جعلت القرى واهلها بمعزل عن الحياة ومتخلفة عن ركب التقدم ظل اهل القرى محافظين على قيمهم وتقاليدهم العتيقة، ولما كانوا خلقا ذكياء فقد كانوا ينظرون الى كل ما يأتيهم من جديد نظرة الشك والريب اعتمدوا فى الاغلب على ما توارثوه من العلوم والمعارف جيلا بعد جيل. اصبحوا مقيدين بتقاليدهم القديمة التى انحدرت اليهم عن طريق المشافهة منها الامثال والعادات وما إليها مما جعل طاقاتهم وقدراتهم محدودة ن التقدم والنهوض، ولما أصبحوا اسرى التقاليد وأخذوا ينظرون شيئا

... الشك والريب الى كل ما يجيئهم من معرفة، وجدوا الامن
الطمأنينة فى اتباع العادات التى صيرتها التجارب محببة لديهم ، وهذا ما
قد جعل قبولهم للآراء الحديثة امرا محدودا .

حتى فى هذه الايام، ايام الطائرات الفائقة والسيارات ذات الاجهزة
الميكانيكية، والجرارات، والالات الممهدة للارض، والطرق المعبدة،
والبنايات التى تدعمها الخرسانة المسلحة، والفلاحين الذين ينتجون غلات
تمثل أرقاما قياسية، حتى فى هذه الايام التى وصفناها نرى من أكثر
الاشياء ذيوعا فى ريف البلاد الأكثر تقدما. نرى الثيران تجر العربات
نرى آلات الزراعة المصنوعة من الخشب . ونرى الطرق الموحلة، والاكواخ
المصنوعة من الطين، واعواد القصبة ونرى الفلاحين وهم ينتجون اقل
الغلات . ان المعرفة التى جعلت التطور واستخدام الوسائل الحديثة ممكنا
والتى جعلت العيش أرغد وأهنأ، لم يكن ميسرة للغالبية من سكان الريف فى
البلاد النامية، بل لم تكن معروفة ومعلومة لديهم. وفوق كل ذلك بات
الأكثرون من شعوب العالم معزلين عزلا تاما عن باقى العالم الذى يجنى
ثمار تقدمه فى العلم والتكنولوجيا، وهذا قد عوق خطى التقدم الى درجة
كبيرة لدى تلك الشعوب، وقد ادى الى اتساع فجوة بين المناطق الريفية
ومناطق الحضر .

ومن اجل ذلك قد اخذت الحكومات والمنظمات الاخرى فى اغلب
البلاد النامية على عاتقها مسئولية بالغة الاهمية وهى ان تجعل المعرفة التى
أنتجتها المعامل ودور الابحاث (Laboratories, Research Centres)
ميسرة للشعب الذى يريدها والذى هو فى حاجة الى الاستفادة من معرفتها
لتجعل الحياة أكثر رغدا وهناء .

ان اقوام الريف عندنا لا تنقصم الفطنة والدليل على ذلك أن القرى كانت فيما مضى غنية بكتبها، وفنونها الشعبية، وأمثالها، والغازها، وهذا يقوم كأكبر دليل على فطنة افراد شعبنا وذكائهم.

ان الاعمال العظيمة التى قام بها شعبنا فى بلادنا هذه فى العصور العتيقة وبخاصة فى ميادين الفنون الجميلة والفلك والعمارة، والنحت تبين بدون شك انهم ما كانوا يحيون حياة راكدة - بل الحياة يومذاك كانت تتسم بالغنى والحيوية وهذه البنايات بفنونها من مزارات واضرحة ونصب وتماثيل والتى قامت فى الماضى لتبرهن برهانا قاطعا على ان عضلات آبائنا هى التى قامت بتلك الاعمال الجليلة الخالدة وهذه الآثار الباقية من آثار شعبنا هى التى ثبت فى نفوسنا الايمان بقدرة الشعب.

كذلك، فان اهل القرى عندنا ليسوا معادين عداء كليا للتغيرات، انهم قابلون للتغير ولانتهاج المناهج الحديثة فى الحياة ولكنهم فى حاجة الى ان يقتنعوا بالمزايا التى قد ينالونها نتيجة اتباعهم للطرق الحديثة - وكذلك هم فى حاجة الى أن تطمئن قلوبهم الى انهم باتباع الطرق الحديثة لا يضرون بالامن الجماعى فى مجتمعهم الريفى الذى يعيشون فى ربوعه، والا تتزعزع اركان علاقاتهم الاجتماعية وبعبارة اخرى ينبغى ان يعلم اهل القرى ان حالتهم سوف ترقى وتتحسن.

أما وسائل التطوير الآن فتقوم على ان يستبدل المواطنون بطريقة تدريجية - بتقاليدهم التى ارتبطوا بها، تقاليد تقوم على البحث العلمى، وعلى التجارب الواسعة - وان تهيأ لهم الوسائل الضرورية لانتهاج المناهج المتطورة المبنية على البحوث العلمية. وهذه هى مهمة المنظمات التى تعمل على التطوير. وهذا قد يعنى التعريف بالمناهج المتطورة وانتاج الروح

فوائد تلك المناهج، وذلك عن طريق استخدام الطرق العملية وليس استخدام الضغط أو القسر.

وهناك كلمة مأثورة فى هذا الصدد قالها الدكتور رادها كريشنان (رئيس الجمهورية الهندية السابق) وهو فيلسوف جليل الشأن ورجل من رجال التربية البارزين وهى :

« ليس هناك شئ صالح ما لم يكن قد جاء عن طريق الاختيار الشخصى. »

« وليس هناك عزم او تصميم يكون عظيم القيمة ما لم يكن عزما ذاتيا. »

ومن هنا فان عملية التطوير تستلزم معاونة الناس على ان يتعلموا كيف يتخذون القرارات. وكيف يتحملون مسئولية نتائج ما اختاروه وما عقدوا عليه العزم.

ويؤثر عن مهاتما غاندى انه كان دائما يقول :

« سأعمل من أجل وطن هندى يحس فيه أفقر الفقراء أنه يعيش فى بلده الذى شارك فى بنائه وكان له فيه الصوت المسموع. »

إن كثيرا من الافعال التى يأتيها القرويون هى تبنى على المعارف التى انحدرت اليهم من جيل الى جيل. ان حاجاتهم تنبثق من تجاربهم العملية ومما يجب التسليم والاعتراف به، انه فى البيئة التى يعيش فيها القرويون، يستطيعون ان يحسنوا الحكم على الاشياء المناسبة لهم.

ان ما يراه العامل فى ميدان التطور نافعا ومفيدا للقرويين قد لا يكون نافعا وصالحا بالنسبة للبيئة التى يعيش فيها القرويون... وما لم

تتدبر هذا الامر فان ادخال معارف جديدة الى القرى قد يسبب اضطرابا في القرية وقد يؤدى الى ما هو اخطر من التطور والترقى والنهوض.

ولقد بين المستر جواهرلال نهرو، رئيس وزراء الهند الاسبق، هذا الامر فى وضوح بالغ عند ما قال مرة:

« يبدو لى ان المشروعات الجماعية هى من الشئون ذات الاهمية الحيوية لا من حيث النتائج المادية التى تتمخض عنها، بل من ناحية تفوق بكثير تلك النتائج. ذلك لانها قد تبنى الجماعة وقد تبنى الفرد، والفرد هو البانى لقريته، ثم للمراكز الجماعية، ثم للهند كلها بمعنى اعم واشمل. »

استخدام الوسائل الديمقراطية

ان مبدأ استخدام الوسائل الديمقراطية هى من اهم مبادئ التطوير، ان التطوير هو جعل الافراد قادرين على ان يختاروا ويقرروا فى كل الامور التى تؤدى الى اسعادهم - وهذا يستلزم اتاحة حرية العمل للافراد. وهى الحرية التى يمكن ان تنال بطريقة واحدة وهى استعمال الوسائل الديمقراطية وليس باستعمال القسر والقوة.

ان منهاج التطوير يجب ان يقبله الشعب طوعا واختيارا بعد المناقشة، وبعد تدبره تدبرا ايجابيا مقنعا من جميع وجهات النظر. ومن اجل ذلك فان الجماهير انفسهم وبخاصة زعماؤهم ينبغى توجيههم الى ناحية الوسائل الديمقراطية.

ان بعض عناصر التطوير التى ينبغى للقائمين بشئون التطوير ان يتمسكوا بها هى:

(١) المناقشات التى تدور بين المعنيين بهذه الشئون.

(٢) ادماج كل الافراد المختصين فى كل مرحلة من مراحل تطبيق المناهج .

(٣) تقييم القرارات التى تصدرها الجماعات بعد تدبر كل وجهات النظر .

(٤) تشجيع حرية العمل فى ضوء القرارات التى تتخذ .

ان المهمة الاولى للقائم على شئون التطوير هى ان ينظم وينفذ المناهج مع المواطنين الذين يقوم على خدمتهم . وفضلا عن ذلك ان المعرفة يجب ان تنمو دائما وان تقدم نتائج الابحاث والتجارب الى العاملين فى الميدان .

ومن اجل ذلك من الضرورى ان تكون هناك مناهج منظمة للبحوث ، وان تكون جماعة من المتخصصين فيما يكون من واجبها اعداد العاملين فى الميدان وفق آخر ما وصلته البحوث والدراسات .

ان كفاء العاملين فى ميدان التطوير تتوقف على معرفتهم بالتجارب المتطورة وعلى لباقتهم التى يستعملونها فى انجاز مهمتهم والعمل مع افراد الشعب .

ان على العامل فى ميدان التطوير ان يتعلم من افراد الشعب الذين يعمل معهم . ان الريفيين هم اكثر خبرة فى نطاق دائرتهم المحلية ، وفضلا عن ذلك فان لهم قيمهم الخاصة . ومهما يرتق العامل فى ميدان التطوير من حيث الخبرة فان لزاما عليه ان يدرس المواقف المحلية والآراء والتجارب التى يعرفها الشعب . واذا بدا على هذا العامل انه يقوم بوظيفة المدرب او المعلم فانه سيلقى المقاومة والمعرضة ، وذلك لان الناس يكرهون ان يتلقوا التدريب او التعليم على يد اجنبى لا يعرفونه .

ان الاتجاه الصادق للقائم على شئون التطوير هو ان يتعلم من الذين يعمل معهم، وهذا ما يمكنه من احراز ثقتهم .

ان التطوير والعمل التنظيمي يجب ان لا يجتمعا في يد موظف واحد ، ان التطوير هو نوع من التعليم . والقائمون على شئون التطوير يعملون مع افراد الشعب ويكسبون ثقتهم فعليهم ان لا يلجئوا الى وسائل القسر .

ثم ان العمل التطوير يجب ان يقام بصفة مستمرة ، وذلك بتبيين اهدافه وشرح الوسائل استخدمت في انجازه وينبغي ان يبذل المجهود لتحسين العمل في ضوء التجربة والمعرفة .

فعالية وسائل التطوير

ان الفعالية النسبية لمختلف وسائل التطوير التى تؤثر فى الناس ، فتجعلهم يقبلون التغييرات المرغوب فيها تتوقف على عوامل كثيرة مثل :

(١) مستوى المام افراد الشعب بالقرأة والكتابة .

(٢) التجارب السابقة فى استخدام وسيلة بذاتها .

(٣) ثقة افراد الشعب بالقائم على شئون التطوير .

(٤) فعالية القادة المحليين . .

(٥) عدد مرات العرض لوسيلة من الوسائل . .

(٦) عدد الوسائل المختلفة التى تستخدم مجتمعا .

(٧) كفاءة القائمين على شئون التطوير وثقتهم بالوسائل التى يستعملها .

ان الراديو والمواد المطبوعة والمكالمات التليفزيونية وغير ذلك من الوسائل المتبعة فى الدول المتقدمة هى اقل نفعا عندنا، ولكن وسائل التطوير بصفة عامة وهى الوسائل التى تمد الشعب الريفى بالتجربة المباشرة والتى تجرى عن قصد هى اكثر فعالية من تلك الوسائل التى تعمل عن طريق المشافهة والنظر .

وكذلك فان فعالية وسيلة بذاتها تتوقف على المرات التى يكشف عنها فيها وتعرض على اهل القرى . وبتعبير آخر ، فان الوسيلة ذاتها يمكن ان تستخدم لاكثر من مرة ، وكذلك فان استخدام وسيلة من الوسائل التى اجيد تخطيطها وبذلت العناية فى اختيارها هو اكثر نفعا وتؤثر تأثيرا اعم واشمل فى اهل الريف .

الانباء الثقافية

(الموسيقى والرقص)

تستحق جمعية الهند الثقافية ان نهنئها على تنظيمها حفلة للموسيقى والرقص واتاحتها الفرصة لاهالى العاصمة ان يرووا فى ربوعها فنانا جديدا. ففى مجال الرقص قدم كانك ريلى من بومبائى عرضا رائعا لفن الموهنى آتم وكاتها كالى، ومع ان النجوم الاخرى كن معروفات لدى اهل العاصمة، ولكنهم وجدوا متعة جديدة عند مشاهدتهم «سيتارا» ملكة كاتهك فهى بالرغم من كهولتها مازالت محتفظة بحماسها للرقص، فشعر الحضور بدورهم عند رويتها بحماس متجدد نحو الفن وتقديره كما شعروا باهتزازات شعرية فى نفوسهم عند رويتهم غيرها من الراقصات مثل يامينى، وسونل بركاش وككم داس.

واما فى الموسيقى، فظهر الاستاذ ولايت على خان بحماس جديد بعد عودته من ايران، ولعل العرب يجد فى العزف على سيتار متعة جديدة على اننا لسنا حديثوا العهد بها، بل لا نبالغ اذا قلنا انه اصبح قوتا لروحنا الفنى فنحتاج اليه احتياج الجائع الى الغذاء، وكلما نتغدى به نتقوى نشاطا وحيوية

لمحة من النشاط الوطنى

(السياحة)

ان استعراض تاريخ المعالم التاريخية بالصوت والضوء وجد قبولا حسنا فى معظم انحاء العالم، فهنا عدة مدن فى معظم البلدان المتقدمة التى اعدت العدة لهذه الطريقة الممتعة فالاماكن التاريخية الهامة مثل قلعة وادى لوار فى فرنسا وهمتن كورت ومنارة لندن فى انكلترا واركو بولست فى اليونان

والاهرام وابو الهول فى مصر ، تسرد للجيل الجديد تاريخها بالصوت والضوء وتحلو حذوها القلعة الحمراء فى دلهى ، فيأتى الزوار والمواطنون يستمعون الى تاريخها كل مساء ، ومما يسرنا ان حدائق شاليمار فى كاشمير ايضا تتمكن عما قريب من سرد التاريخ بنفس الطريقة الفنية ، فتعد العدة وترتب الماكينات اللازمة ، وعهد الى الشاعر الشهير على سردار جعفرى والمخرج السينمائى المعروف اعداد الحكاية ، فهما الآن عاكفان مع مساعدة لجنة من الجهابذة الكاشميريين على اعداد المسودة

° ° ° °

ولايشك شاك فى ان السياحة اقوى وسيلة لتنمية التفاهم المتبادل ، واسهل طريق لكسب النقد الاجنبى . والهند ايضا بدورها تعرفت على اهميتها ، فقامت تساهم بكل ما يسعها فى نشاط عام السياحة الدولية ، مدركة بان الطريق الوحيد للسلام المنشود هو التفاهم الودى وان الرحلات اهم وسيلة لنيل هذا المنشود ، وبناء على ذلك تعمل الهند حكومة وشعبا على تطوير التسهيلات للزوار والرحال ولتوفير اسباب الراحة ووسائل المتعة لهم اثناء زيارتهم للهند ، فنذكر على سبيل المثال بداية خطوط جوية مباشرة بين بومبائى وسرينجر كما تبذل الجهود لترقية مستويات الفنادق وتجهيزها باحسن وسائل الراحة .

وبما ان هذا عام السياحة الدولية ، تسعى الهند لجلب الزوار الاجانب وتشجعهم بطرق شتى على زيارة الحدائق العامة والامكنة الهامة ، ومما يذكر ان معظمها يتصل مع المطارات الدولية الهندية بالخطوط الجوية المباشرة .

وخصصت معظم الولايات الهندية فى هذا العام مناطق واسعة للحيوانات وهذه المناطق تطورت الى حدائق كبيرة تقوم على بقاء وتربية

انواع نادرة من الحيوانات التى يكاد ان يمحوها الدهر من الوجود اذا لم تقم بالحرس عليها لحديقة جير فى ججرات وكازى رانجا فى آسام نجحتا فى ابقاء الاسود الآسيوية والكركدن الهندى . والجدير بالذكر بهذه المناسبة ان بعض الولايات قامت باحصاء الحيوانات الوحشية الموجودة فى البلاد ، ونتيجة لهذا الجهد توجد الآن تفصيلات لازمة عن عدد الاسود والكركدن العائشة فى اجواء الهند ، ويوجه الاهتمام كذلك الى احصاء الحيوانات الاخرى ايضا مثل الافيال وغيرها ، ويتوقع ان تكون لدينا عما قريب معلومات مفيدة حولها ايضا .

تسلق الجبال

انشئ فى معهد نهرو لتسلق الجبال مخزن جديد لادوات التسلق ، وانشئ هذا المخزن الجديد لتخليد ذكر الميحرجان دياس ، وكانت بداية مخزن دياس التذكارى بعشرة طقوم من الملابس الجبلية وادوات التسلق ، التى منحها الموسسة الهندية لتسلق الجبال . والمتوقع ان هذا المخزن بدوره سيتلق - مثل مخزن جبال التذكارى الواقع فى معهد الهملايا لتسلق الجبال فى دارجيلنج - منحا وفيرة من المولعين بتسلق الجبال والمشجعين عليه . وهذا المخزن منذ ان انشئ منذ سبع او ثمان سنوات ثبت يعمل كالعمود الفقرى لمعظم المغامرات الهندية لتسلق الجبال ، فانه حتى هذا الحين هيأ الادوات لنحو مائة مغامرات لقاء اجرة مناسبة ، والمتوقع ان يودى المخزن الجديد خدمات مماثلة ، وان وقوع المخزن فى اتر كاشى ستجعل التسهيلات فى متناول منطقة جرهوال كلهن .

تطوير اللغات الآسيوية

بحث المؤتمر الملايوى للمستشرقين المعقد فى كوالالمبور مشكلة تطوير اللغات الآسيوية الوطنية .

واصر المؤتمر على اليونسكو لانشاء مركز ثقافى آسيوى لتعاون وتبادل متقاربين بين لغات البلدان الآسيوية المختلفة وآدابها ، ووصى المؤتمر كذلك بتأسيس بنك كتابى مكون من الكتاب الآسيوين على المواضيع الجديدة ، وبالعمل على اتحاد تراجم كتبهم كنصوص دراسية فى البلدان الآسيوية ، ولاعداد الجوائز للكتاب البرعة فى الفنون التكنولوجية والعلمية .

انباء المجلس

(التبادل الثقافى)

زار الهند البروفيسور لى تبح هوى نائب المدير لمركز الدراسات السياسية فى سنغافور ، وكان ضيفا على المجلس ، واستغرقت زيارته مدة اسبوعين ، اجتمع خلالها مع عدد من اساتذة السياسة فى المعاهد والجامعات الهندية .

° ° ° °

وزار الهند ضيفا على المجلس ، الدكتور ف كوسمال مدير متحف لندن فى ستت جارد المانيا الغربية . تجول الدكتور فى انحاء الهند لمدة ثلثة اسابيع زار اثناءها عددا من المتاحف والامكنة التاريخية فى مختلف المدن الهندية .

° ° ° °

استضاف المجلس المستر يوكيو مشوما احد الكتاب البارزين اليابانيين لمدة اسبوعين ، ورافقته فى زيارته قرينته . واجتمعا فى اثناء مكوثهما فى الهند مع كثير من الكتاب الهنود

واستقبل المجلس الدكتور محمد على اسلامى احد الكتاب البارزين
ن ايران، ونظم المجلس برنامج زيارته بحيث اشتمل على محاضرات فى
جامعة دلهى وفى المدرسة الهندية للدراسات الدولية.

وارسل المجلس بالنيابة عن وزارة التعليم للحكومة الهندية وفدا
يكونا من ١٧ عضوا من اهل الرقص والموسيقى، ليعرضوا فنونهم فى
ماتمندوا فى الاحتفالات التى اقيمت فى نيبال بمناسبة عيد الاستقلال،
قضى الوفد فى نيبال اسبوعا كاملا.

* * * *

واستقبل المجلس الدكتور عبد الجليل ب. ج. حسين مدير الكلية
الاسلامية فى ماليزيا، والمستر محمد زين بن عبد الحميد مسجل الكلية، واستضافهما
لاسبوعين، وزار الضيفان الكريمان - خلال مكوثهما فى الهند - مدن
مدراس، حيدراباد، دلهى، على جره، آجرا، وبومبائى، كما اجتمعا مع
عدد من الاساتذ الهنود فى عدة امكنة.

* * * *

ورحب المجلس الدكتور ج. انسلك البروفيسور فى معهد اللغة السنسكرتية
ى الجامعة الحكومية فى كورونجلتن، ومكث البروفيسور فى الهند لاربعة
اسابيع، وجمع خلال هذه المدة المواد المحتاجة اليها فى بحوثه التى يقوم
بها حول قصص واساطير «سوتا سوما» وكالما ساپادا.

* * * *

ونزل فى الهند ضيفا على المجلس وفد من الرهبان البوذيين من لاؤس
يمكث هنا لثلاثة اسابيع، ويشتمل الوفد على اصحاب الفخامة سومدت

[illegible]راجا، وفراقاتى سار الهو، وفراميما كانو برماوونج، وزار الوفد الاماكن الهندية المقدسة لدى البوذيين .

* * * *

وتبنى المجلس معرضا من رسوم وود بلاك للمستر كيوشى سيتو احد الفنانين اليابانين البرعة .

* * * *

واهدى المجلس آلة الكتابة اللغة الهندية الى بريطانيا، وعددا من الاسطوانات الموسيقية الى الاتحاد السوفيتى والى الولايات المتحدة الامريكية ونماذج من المصنوعات اليدوية الى الارجنتين وارسل المجلس جوائز للناجحين فى مقابلة كتابة المقالات المنعقدة فى الاتحاد السوفيتى وترينيداد وسيلان،

* * * *

اهد المجلس كتبا قيمة الى كل من العراق والاتحاد السوفيتى وفيجى وايران .

* * * *

وقدم المجلس علما هنديا الى الولايات المتحدة الامريكية كما قدم الاسطوانات لثلاثمائة روبية الى المانيا الغربية والعراق .

نظم المجلس شان حلقة للدراسات فى تشدى جره لتعريف الوافدين الجدد الهند تاريخها وثقافتها .

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

AZAD BHAVAN, NEW DELHI I

The objects of the Indian Council, as laid down in its constitution, are to establish, revive and strengthen cultural relations between India and other countries by means of:

(*i*) Promoting a wider knowledge and appreciation of their language, literature and art;

(*ii*) Establishing close contacts between the universities and cultural institutions;

(*iii*) Adopting all other measures to promote cultural relations.

Vol. XIX | January 1968

Editor:

S. Taiyebali Lokhandwalla

CONTENTS

ثقافة الهند

مجلة علمية ثقافية

المجلد التاسع عشر
العدد الثاني
ابريل ١٩٦٨

مجلس الهند للروابط الثقافية

الرئيس : الدكتور ح . ن . كهوسلا

يهدف المجلس – كما ينص دستوره – إلى إنشاء وإحياء وتعزيز الروابط الثقافية بين الهند والبلاد الأخرى بالوسائل التالية

(١) التوسع في معرفة وتقدير لغاتها وآدابها وفنونها

(٢) إنشاء الروابط الوثيقة بين الجامعات والمعاهد الثقافية

(٣) اتخاذ جميع التدابير الأخرى لتنمية الروابط الثقافية

مجلة فصلية ثقافية
يصدرها مجلس الهند للروابط
الثقافية مرة كل ثلاثة أشهر
يناير – ابريل
يوليو – اكتوبر

بدل الاشتراك عن سنة (ويدفع مقدما بحوالات أو شيكات) : في الهند عشر روبيات وفي الخارج عشرون شلنا. ثمن العدد في الهند روبيتان ونصف. وفي الخارج خمس شلنات

المراسلات : باسم سكرتير المجلس اذا كانت تتعلق بارسال المجلة أو بدل الاشتراك. وباسم رئيس التحرير : اذا كانت تتعلق باستعراض الكتب أو مادة المجلات .

ثقافة الهند

رئيس التحرير
شمعون طيب علي
لوكهندوالا

محتويات العدد

Statement about ownership and other particulars about Newspaper (Thaqafatul-Hind) to be published in the first issue every year after last day of February

FORM IV

(See Rule 8)

1	Place of Publication	AZAD BHAVAN, INDRAPRASTHA ESTATE, NEW DELHI-1
2	Periodicity of its publication	QUARTERLY
3	Printer's Name	INAM RAHMAN
	Nationality	INDIAN
	Address	AZAD BHAVAN, INDRAPRASTHA ESTATE, NEW DELHI-1
4	Publisher's Name	INAM RAHMAN
	Nationality	INDIAN
	Address	AZAD BHAVAN, INDRAPRASTHA ESTATE, NEW DELHI-1
5	Editor's Name	S. TAIYEBALI LOKHANDWALLA
	Nationality	INDIAN
	Address	AZAD BHAVAN, INDRAPRASTHA ESTATE, NEW DELHI-1
6	Names and addresses of individuals who own the newspaper and partners or shareholders holding more than one percent of the total capital	Indian Council For Cultural Relations

I, Inam Rahman, hereby declare that the particulars given above are true to the best of my knowledge and belief

New Delhi }
1-4-1968 }

(Sd.) INAM RAHMAN
Signature of Publisher.

غاندى ـ الرجل العظيم

لفضيلة الاستاذ الشيخ احمد حسن الباقورى
مدير جامعة الازهر

من حق الهند علينا ان نهنئها أخلص تهنئة بعيد استقلالها العشرين لانها دولة صديقة عزيزة .

ومن حق الهنود علينا حكاما ومحكومين أن نشاطرهم مسرة عيدهم هذا لانهم يساندوننا فى كل أزمة ويؤيدوننا فى كل موقف .

ومن حق الزعيم غاندى علينا أن نحيى ذكراه فى عيد الاستقلال لانه صانع الاستقلال .

وإذا كان الحديث عن الهند الجديدة فى هذه المناسبة الكريمة يلقى قبولا عند أبناء شبه القارة ، فان الحديث عن المهاتما غاندى يلقى احسن القبول عند أبناء الامم جميعا .

ومن أجل ذلك نمهد بكلمة عن هذا الزعيم الانسان .

والحديث عن غاندى ليس بالسهل اليسير ، فجوانب عظمته عديدة ، ومحافل امجاده كثيرة ، واساليب كفاحه فريدة .

والتاريخ لم يعرف سوى غاندى ، رعيما دان له بالحب فى حياته مئات الملايين من البشر

والهند لم تعرف سوى غاندى . رعيما اجتمعت به كل طوائف الهنود على اختلاف دياناتهم ومعتقداتهم ، ورغم ما بينهم من عداوات ضارية وتعصب شديد .

والبشرية لم تعرف سوى غاندى ، زعيما انتصر له العالم كله ، ونال عطف الناس جميعا .

فكيف تكونت شخصية هذا الرجل العظيم ؟

كان غاندى سليل بيت كريم . فأبوه كان رئيس وزراء اقليمه .

وكان غاندى خريج جامعة يعدها الانجليز عريقة . ويتيه بالانتساب اليها أبناء الخاصة وسلائل النبلاء .

وكان غاندى ربيب حضارة عريقة . هى حضارة الهند التى تميزت بالروحانية الاصيلة ، والسمو على الشهوات والجود بالنفس فى سبيل العقائد .

ومن هذه المقومات الثلاثة تكونت شخصيته الفذة وبتأثيرها تحددت امامه معالم الطريق حين بدأ رحلة الكفاح

فالى كريم منبته يرجع نفوره من الضيم حين هاجر الى جنوب افريقيا ورأى سوء معاملة البيض للملونين وفيهم كثيرون من بنى جنسه . فانحاز اليهم . وطالب برفع الظلم عنهم

وليس بعجيب أن يعنى غاندى قبل نيف وخمسين سنة بمشكلة الملونين ، والتى هى مشكلة العالم اليوم . فالعبقرى يسبق زمانه ، ويدرك مالا يدركه معاصروه .

والى معاشرته للانجليز ودراسته فى بلادهم يرجع فهمه لعقليتهم ، ومعرفته لطبائعهم ، ونجاحه معهم فى علاج الازمات .

والى روحانية الهند يرجع الفضل فى اجتنابه العنف واكتسابه القدرة على احتمال آلام النفس والجسم ، والصبر على البطش والقسوة ،

حتى يئس منه أعداؤه بعد اسرافهم فى ايذائه ، حتى أكبره مواطنوه فنعتوه بالقديس ، وبالروح العظيم او المهاتما فى لغة الهنود .

فلما قفل راجعا الى بلاده ، سبقته اليها شهرته ، وذاع فى أرجائها صيته ، واستقبل بالحفاوة والتكريم . فحفزه هذا على العمل لوطنه وحمل راية الكفاح .

وأقام غاندى كفاحه على دعامتين .

أ ــ عدم التعاون .

ب ــ عدم العنف .

والاولى تحرم المستعلين مكاسبهم .

والثانية تفرض على المكافحين التزود من المعنويات بما يكسبهم القدرة على الاحتمال والصبر على المكاره ، فيتعذر تسخيرهم عنوة للمستبدين .

ولما كان اكتساب الروحانيات يحتاج الى تربية وتدريب ، اتخذ غاندى صومعة له على غرار قرى الهنود . عاش فيها تلاميذه عيشة طهر وزهادة وتقشف . فكان يكتفى من الثياب بما يستر العورة . ومن الزاد بما يسد الرمق ، ومن الرياش بما يقتنيه فقراء الهنود . وبذلك اندمج بكل كيانه فى الشعب الذى كرس نفسه لخدمته . فأحبوه وعززوه واسلموه قيادهم . فعالج أدواءهم ، وآسى جراحهم ، وأخذ بأيديهم فى مدارج الروحانية فتآلفوا بعد تفرق ، وتماسكوا بعد انحلال . واصبحت شبه القارة الهندية على قلب رجل واحد خلف هذا الزعيم العظيم .

وقد زرت الهند مرتين أولاهما سنة ١٩٥٥ وأنا مع الرئيس جمال عبد الناصر فى الطريق الى مؤتمر باندونج . والثانية فى ١٩٦٥ ومعى أخى

السيد المهندس أحمد عبده الشرباصى ونحن فى الطريق الى مشاركة طائفة البهرة فى تنصيب سيدنا محمد برهان الدين سلطانا على طائفة البهرة .

ولقد لقيت فى الرحلتين أبناء الهند فرادى وجماعات ، وفى جلسات محدودة واحتفالات عامة ، كما لقيت كثيرا من وزرائها وتحدثت اليهم وتحدثوا الى ، فكنت دائما أرى فى شعب الهند شعب مصر ، وشعوب الامة العربية ، دقة حس ورقة عاطفة ونزولا على ادب الضيافة وبذلا لكل ما من شأنه ان يسعد الضيف ويعزه ويكرمه واقد أذكرنى ذلك بما قرأته وقرأه كثيرون غيرى فى كتب المسلمين وخاصة ما أشار اليه الشهرستانى فى كتابه « الملل والنحل » فقد قسم شعوب العالم الى قسمين : قسم تقوم حضارته على الروح وهم العرب والهند وقسم ثان تقوم حضارته على المادة وهم العجم والروم

فكذلك يرى السائح فى بلاده العرب وفى بلاد الهند هذه الحقيقة ماثلة لعينيه فى الوجوه الضاحكة بالطمأنينة والسكينة والكلمات المطوية على الادب الجم والحس الدقيق

وانت حين تجلس الى الهندى المثقف تستمع اليه تحس كأن الحديث يطوى لك السكون الواسع فى كلمات

وقد يدرك محدثوك السؤال الذى يجول فى نفسك من غير ان تجشم نفسك عناء السؤال وعند ذلك تلقى الجواب الكريم الصادق العميق .

واذكر بهذه المناسبة أنى سعدت بمولانا أبو الكلام آزاد وجلست معه فى قاعة فسيحة الجوانب تحمل صور كبار الحكام الهند من الانجليز . وكان معنا فى هذا المجلس سفير مصر الاسبق المرحوم اسماعيل كامل وقد ادرك مولانا أبو الكلام آزاد أنى ضائق بهذا المنظر الذى أراه ماثلا أمام العيون وهو

فيما كنت أتصور منظر يوحى بالذلة والخنوع والتصاغر أمام الحركات الثورية التى كانت تلتهب نارا يومذاك ضد الاستعمار والمستعمرين . ثم ما لبثت ان استمعت الى مولانا أبو الكلام آزاد وهو يقول : هذا الذى تنكره هو جزء من تاريخنا ولن يزول هذا الجزء من التاريخ اذا نحن نحينا هذه الصور عن الحيطان . ولان يبقى ماثلا امام العيون غيرة لنا يسوقنا الى التماس احسن الاوجه لصيانة حريتنا وينهنه الغرور عن نفوسنا ، خير من ان نزيله ونغمره فى التراب فنكون بذلك قد خدعنا انفسنا وخدعنا التاريخ .

ولم أشأ يومئذ ان اناقش هذه القضية وان كنت فيما بعد سلمت بها ورضيت عنها ولم احد من الضرورى انها تحتاج الى مناقشة وجدال .

تلك كلمات قصار أحببت ان اتحد منها تحية للهند فى عيد استقلالها راجيا أن يصون الله وحدتها وان يتم عليها نعمة الرخاء والطمأنينة والحرية والاستقلال .

الرسول المعظم

مهداة الى سيد الانام ، محمد ، رسول الله . عليه الصلاة والسلام
منقذ البشر من الظلام الى النور ومن الضلالة
الى الهدى . وذلك بمناسبة عيد ميلاده الشريف
(مع ارق التهاني واصدق الاماني للامة
الاسلامية عامة والعربية خاصة)

سلام على الهادي الرسول المعظم ... سلام محب بالحبيب متيم
تغلغل حب المصطفى في حشاشتي ... وفي مهجتي في اللحم والعظم والدم
تعلق قلبي في هواه من الصبا ... سبيت به عشقي لسامي ومريم
أحنّ الى ارض بطيبة علّني ... اقبل فيها موطن القدس بالفم
فيا حبذا لو فزت بالوصل مرّة ... فوصل الذي ارجوه غاية مغنمي
ويا فرحتي لو بت في الحي ليلة ... اناجي بها المولى مناجاة مسلم
فاني مشوق للديار واهلها ... فواهاً لقلب بالصبابة مفعم
نبي الهدى بحر سواحله الندى ... ورحمة هذا الكون من عهد آدم
شفيع الورى كن لي على الدهر ناصرا ... فقد ذقت من اهواله كأس علقم
الهي يا رب العباد ورحمهم ... ومبعث خيرات ومصدر انعم
يوحي بالهام بآيات مصحف ... بمعراج مبعوث باسراء معلم
تلطّف بعبد سامه الدهر ذلة ... فذاق من الاهوال مرّاً على الفم

وصن امة العرب الكرام تكرما فبعض الذى تشكوه افدح مؤلم
دهاها من الاعداء ما لا تطيقه فيا ويلهم من حرّ نار جهنم
وباعد عن الاسلام همـا مهدما اطاح بقلب بالكروب محطم
واول رجال الحق عزا ومنعة وتحميهموا يارب من كيد مجرم
وكن لبنى قومى نصيرا ولا تكن عليهم مع الدهر الشقى الملثم
سلام على طه سلام معطر يهب شذاه نفح مسك مختم
سلام محب « هائم » متعطش للثم ثرى ترب زكى مكرم

ابراهيم عبد الفتاح الرافعى
طرابلس ـ لبنان

الروح العظيم

(مسرحية)

الاهداء

الى الشعوب الآسيوية والافريقية
المكافحة لتحقيق استقلالها
ووحدة اراضيها .

« المؤلف »

اشخاص الرواية

شخصيات تاريخية

المهاتما غاندى	:	زعيم الهند الروحى
السيدة كاستوربا	:	زوجة المهاتما غاندى
سامبايا	:	احد البراهمة وقد تحول الى مسيحى
ساروجيني نايدو	:	شاعرة الهند
قريشيبهاى	:	احد المناضلين الهنود

شخصيات موضوعة

سوشيلا	:	خادم المهاتما
كابور	:	خطيب سوشيلا
ماسوما	:	طباخة المهاتما
نايو	:	مرافق المهاتما الخاص
داس	:	احد اصدقاء المهاتما وهو يؤمن بالعنف
اندرس	:	احد قادة الحزب الشيوعى البريطانى
اندرانى	:	شابة هندية تعتنق افكار المهاتما
الدكتور ستانلى جوردن	:	استاذ الفلسفة فى احدى الجامعات
مارى هدسن	:	مندوبة احدى الصحف البريطانية
الدكتور هولم	:	احد زعماء الزنوج فى امريكا
باتريشا سامسون	:	مندوبة احدى الجمعيات الخيرية البريطانية

نكرات مسرحية

مجموعة من الرجال والنساء، شرطى، احد الاجانب .

الفصل الاول

(ترفع الستارة عن غرفة الكتابة فى منزل المهاتما غاندى البسيط المتواضع. تبدو قطع الاثاث المتناثرة هنا وهناك. كما تبدو ايضا الوسادة الصغيرة الرقيقة البيضاء التى اعتاد المهاتما ان يجلس عليها. قرب الوسادة الى اليمين طاولة منخفضة عليها ادوات الكتابة الخاصة بالمهاتما غاندى، مع مقعد صغير ومصباح. وفى احدى زوايا الطاولة تظهر بعض الكتب والهدايا، خصوصا تلك المصنوعة محليا. الوقت قبل الغروب بقليل. تبدو سوشيلا وهى تنظف الغرفة بعناية، مدندنة لحنا هنديا شائعا. يدخل كابور، وهو شخص لا يكون حظيب سوشيلا وتدور بينهما المحادثة التالية)

سوشيلا — كابور، بالله من اين جاءك لى زيارتى فى هذا الوقت بالذات ؟

كابور — وهل ثمة مدعاة للعجب ؟

سوشيلا — نعم، لأن المهاتما على وشك الحضور

كابور — وهل الامر كذلك. ان المهاتما كما سمعت رجل رقيق الشعور، طيب الاحساس

سوشيلا — هو ما تقول. ولكن لكل شئ وقت.

كابور — هل افهم من ذلك أن زيارتى غير مرغوب فيها ؟

سوشيلا — الآن فقط

كابور — متمتما بعض الشئ، اذن أذهب.

سوشيلا — على ان لاتكون غاضبا

كابور — ولم الغضب اذا كانت هذه ارادتك يا مليكة القلب.

سوشيلا — أرجو أن تفهمى جيدا .. ان المهاتما قادم بعد قليل ، وسيحضر بعض علية القوم للسلام عليه طبعا.

« يخرج كانور .. تدخل ماسوما قائلة »

ماسوما — أصحيح أن المهاتما قادم الليلة ؟

سوشيلا — نعم . ولهذا السبب طلبت الى كانور أن ينصرف ، وكنت الى حد ما قاسية معه

ماسوما — انك لتلامين على تصرفك هذا . فكانور يحبك لدرجة العبادة ، ويتمنى اليوم الذى تصبحين فيه زوجته ليضع بين يديك كل ما يملك .

سوشيلا — أعرف ذلك . ولكن هناك ما هو اهم منى واهم من كانور .

ماسوما — من ؟ المهاتما غاندى ؟

سوشيلا — كلا . وان كنت احترم المهاتما لدرجة لايمكن تصورها .. ان هناك مستقبل الهند

ماسوما « مندهشة » ومادا تستطيع فتاة فى مثل سنك أن تصنع ؟

سوشيلا — أعلم انى أنثى لاحول لى ولاطول . ولكن حركة المهاتما السياسية وكفاحه الاجتماعى اجتذبانى اليه وجعلانى اشعر ان المرأة فى الهند يجب ان تكافح جنبا الى جنب مع الرجل . من اجل تحقيق الاستقلال وجلاء البريطانيين عن شبه القارة .

ماسوما — مرحى .. مرحى . أو تحسبين أنك رانى لاكشمى باى التى لعبت دورا بارزا فى كفاح الاستقلال عام ١٨٥٧ ؟

سوشيلا — لاتهرأ يا اختاه، فلقد علمني المهاتما الصبر على المكاره، وروض نفسي على احتمال الالم بطاقة روحية دونها الحدود والقيود.

«جلبة في الخارج.. يدخل ناير معلنا»

ناير — لقد وصل المهاتما. فهل كل شئ على ما يرام؟

سوشيلا وماسوما «بصوت واحد» نعم «تخرجان»

«يدخل المهاتما بلباسه التقليدي وهو عبارة عن مئزر قطني يصل بالكاد الى الركبتين. وقماش قطني يلف كتفيه. وبيده عصاه بينما يتدافع الناس للسلام عليه. يتخذ المهاتما مجلسه ويلوح بيده للمهنئين بهدوء والابتسامة لاتفارق شفتيه».

غاندى «مخاطبا ناير» ما هي الاخبار. يا ناير؟

ناير — سيدي، وصلت اخبار غير سارة مطلقا.

غاندى «بهدوء» حسنا. وما هي؟

ناير — بوصولكم من انكلترا، بادرت سلطات الاحتلال البريطاني الى اعتقال السيدين خان عبد الغفار خان وجواهر لال نهرو.

غاندى — حقا «ثم متهكما» ان هذه ألطف هدية لعيد الميلاد يقدمها نائب الملك لدى عودتي من مؤتمر المائدة المستديرة.

«يخرج ناير.. تدخل السيدة كاستوربا قائلة»

كاستوربا — لقد حان الوقت يا عزيزي لتناول كأسا من الحليب.

غاندى — «متجهما» لا اشعر بالرغبة في ذلك.

كاستوربا — انك لم تتناول شيئا من الطعام منذ أن كنا في الباخرة هذا الصباح.

غاندى — صحيح

كاستوربا — اذن ؟

غاندى — وصلتنى اخبار مزعجة حول بعض الرفاق .

كاستوربا — وماذا يعنى ذلك ؟

غاندى — انى افكر فى . . .

كاستوربا — « مقاطعة » أرجو ان لا يكون تفكيرك هذا حول اعلان الصيام .

غاندى — فى الواقع ان هذا ما كنت افكر فيه للتو .

كاستوربا — صبرا يا عزيزى . . صبرا فلعلها شائعة لاتمت الى الحقيقة بصلة .

غاندى — انها حقيقة وليست شائعة ، لأن من نقل هذه الاخبار الى هو ناير ، وهو كما تعلمين لايمكن الا ان يتحرى الصدق فيما يقول ويفعل .

كاستوربا — اعود فأسألك يا عزيزى هل اجلب لك كأسا من الحليب ؟

غاندى — بعد قليل .

« تخرج كاستوربا » .

غاندى « مرددا بصوت مسموع » يا اله العباد المقيمين فى اكواخ المبنوذين الصغيرة ، ساعدنا على البحث عنك فى تلك الارض الجميلة التى يسقيها الغانج وبراهما بوترا وجامنا . امنحنا يا الهى قوة التقبل ورحابة الصدر وامنحنا القدرة والرغبة فى معرفة انفسنا لنستطيع التكيف مع الجماهير فى الهند . يا الاهنا يا من يساعد الانسان العابد ، امنحنا نعمة الالتصاق بالشعب الذى نرعى مصالحه كخدم واصدقاء . دعنا نجسد التضحية بالذات حتى نستطيع ان نتعرف الى الارض ونحبها اكثر .

اصوات — عاش الاب الروحى للهند . عاش القائد الملهم . . عاش المهاتما غاندى .

• يخرج الجميع . يدخل داس ويهب المهاتما لاستقباله ، ويعانقه قائلا .

غاندى — اهلا . اهلا بالزميل المناضل

داس — اهلا بك ايها الزعيم العظيم . لقد علمت بوصولكم فاحببت ان اقدم السلام عليكم

غاندى — مرة اخرى اهلا وسهلا بكم

داس — هل لكم ان توجزوا لنا ما تم فى مؤتمر المائدة المستديرة ؟

غاندى — لقد ذهبنا على امل التوصل الى حل لقضية الهند . ولكن تعنت البريطانيين واصرارهم على موقفهم ادى الى فشل المفاوضات وعودتى على جناح السرعة . ولم يكتف البريطانيون بذلك . بل اغتنموها فرصة واعتقلوا بعض الزعماء الوطنيين

داس — اعتقد يا سيدى أنه لامناص هذه المرة من استخدام العنف .

غاندى — العنف ؟ وهل تعتقد ان العنف يمكن ان يولد غير العنف ؟

داس — لابأس يا سيدى . انما اصحاب حق وانما نحارب الدخيل المستعمر انا لا أطلب أن نذهب الى انكلترا لنحارب الانكليز فى عقر دارهم . ولكنى اقول يجب استخدام العنف لارغامهم على الجلاء عن شبه القارة

غاندى — مع احترامى لرأيك فانى اخالفك . صحيح اننا نتوق الى حرية الهند ، ولكننا ندعو ايضا الى الاخوة الانسانية .

داس ــ واية اخوة هذه يا سيدى ؟ هل ترجى اخوة الثعالب والدجاج او اخوة الذئاب والحملان ؟ دعنا يا سيدى نلجأ الى اللغة الوحيدة التى يفهمها المستعمرون ، الى القوة .. الى العنف .

عاندى ــ انى لا اوافقك على ذلك مطلقا . فان المعارك والحروب لايمكن أن تحل اية معضلة .

داس ــ اذن كيف السبيل الى استعادة حقوقنا المهضومة ؟

غاندى ــ مقاطعة الانكليز فعلى كل فرد من افراد الشعب الهندى أن لايعمل لدى البريطانيين على هذا الشعب ان يغزل وينسج ثيابه بنفسه وأن يستغنى عن المصانع الاجنبية وعند ذلك سيجبر البريطانيون على الانسحاب

داس ــ وماذا اذا لم ينسحبوا ؟

غاندى ــ بل انى على يقين تام بأنهم سوف ينسحبون .. أتعرف لماذا احتلت بريطانيا الهند ؟ لقد فعلت ذلك لتنمية ثروتها الاقتصادية لأنها تعلم أن الهند بلد الخيرات فاذا اجمع الشعب فى شبه القارة على مقاطعة انكلترا . لم يعد هناك مبرر لوجودها . ان علينا ان نشعر بريطانيا أن احتلالها للهند سيكلفها أموالا طائلة ويرهق ميزانيتها .

« تدخل الخادم بالشاى فتقدمه الى داس الذى يبدأ فى شربه على مهل تخرج الخادم » .

داس ــ ولكن ، الا تعتقد معى يا حضرة الزعيم . ان هذه العملية . عملية المقاطعة قد تستغرق وقتا بل وزمنا طويلا ؟

غاندى ـــ نعم ، ولكنها طريقة تجنبنا سفك الدماء .

داس ـــ لتسفك الدماء في سبيل قضية الحرية .

غاندى ـــ لا يا عزيزى ، لست من رأيك .

داس ـــ « يسكت على مضض ثم يجرع الشاى فى جوفه ويستأذن بالانصراف » اتسمح لى يا سيدى بالانصراف ؟

غاندى ـــ كما تشاء ، على ان لنا لقاءات اخرى بعد اليوم لتنظيم صفوف الشعب .

داس ـــ « مغادرا » الى اللقاء .

« يخرج . تدخل كاستوربا وبيدها كأس الحليب فتناولها للمهاتما وتخرج ، بينما يجلس غاندى الى مغزله ويتناول جرعة من الحليب بين الفينة والفينة . . فترة صمت . يدخل سامبايا فيسلم على غاندى على الطريقة الهندية ويأخذ مكانه » .

سامبايا ـــ ياسيدى .

غاندى ـــ « وقد بدأ يغزل » نعم .

سامبايا ـــ دعونى اولا أهنئكم بسلامة العودة .

غاندى ـــ شكرا .

سامبايا ـــ علمت من كتاباتكم انكم تشعرون بقوة ضد الارتداد .

غاندى ـــ هذا صحيح .

سامبايا ـــ هل تعترضون على تغيير انسان لمعتقده . ؟

غاندى — كلا .

ساميايا — انى اعتقد ان الحقيقة وقيمة دين الرجل تتوقفان على اختياره لذلك الدين لنفسه .

« تدخل الخادم بالشاى فتضعه على الطاولة وتنصرف ويبدأ ساميايا فى شرب الشاى

غاندى — « مستطردا » أوافق على ذلك ، فان لكل انسان الحق فى اختيار العقيدة التى يريد . غير انى اعترض على اية محاولة منظمة لفرض نوع معين من العقيدة من قبل احد الاشخاص على شخص آخر .

ساميايا — لماذا تدعون سيادتكم الى العيش مع المسودين ؟

غاندى — لازالة الفروق بين الطبقات

ساميايا — ولماذا تعترضون على اعمال ونشاط البعثات التبشيرية .

غاندى — لو كان قصد هذه البعثات دينيا محضا لما اعترضت على ذلك ، ولكنها مع الاسف الشديد تحولت الى اداة بيد سلطات الاحتلال بحيث اصبحت تحاول تبرير وجود هذه السلطات فى شبه القارة الهندية

« هنا يدخل اندرس فينهض ساميايا مودعا وينصرف . »

اندرس — « متخذا مكانه » أهنئكم بالعودة يا سيدى .

غاندى — « وهو يغزل » اشكركم جدا .

اندرس — يبدو لى انكم ما زلتم مصرين على المقاطعة ؟

غاندى — نعم .

اندرسن – ولكن هذا سوف يؤدى الى انتشار البطالة فى بريطانيا بشكل فظيع .

غاندى – أعلم ذلك وآسف له . . والجواب هو ايحرج البريطانيون من الهند فتسوى الامور ، وتعود المياه الى مجاريها ويعود التعامل بيننا وبينهم الى سابق عهده . اندرسن « مغيرا مجرى الحديث » سيدى ! يبدو لى ان دستور حرب المؤتمر الجديد يهدف الى ابعاد الاشتراكيين عن حرب المؤتمر .

غاندى – عند ما توجهت الى بومباى ، لم تكن لدى اية فكرة عن الدستور الجديد . ولقد كان الاشتراكيون ممثلين فى اللجنة الفرعية التى قدمت المسودة النهائية . واشعر ايضا أنه لما أن جواهر لال نهرو لايزال فى السجن فعلى ان احتفظ بهذا العمل له .

اندرسن – لقد كان اللاعنف سلاحا مفيدا فى جنوب افريقيا ، حيث الهنود قلة ، ولكن هنا فى الهند حيث يشكلون الاكثرية ، فيمكن اللجوء الى العنف .

غاندى – لم يستخدم اسلوب اللاعنف فى جنوب افريقيا بسبب ضعف الهنود ، ولكن لأننا نعتقد أنه الشئ الوحيد الصحيح . وهو سلاح ينبغى ان لا يستخدمه الضعيف فقط بل القوى ايضا . أن ساتياغراها تعنى اكثر من المقاومة السلبية ، رغم انها ايضا تتضمن الرغبة فى المكابدة .

اندرسن – اعتقد ان التصنيع ضرورى لجعل الشعب غنيا ، ولكن ربما كنتم لا تؤمنون بالغنى ؟

غاندى — أنا اومن بنفس المعنى الذى استخدمه (رسكين) ، فاذا أنا اكلت خمسين رمانة دفعة واحدة ، فان ذلك ليس ثروة . ان واحدة فقط هى الثروة ، بينما التسعة والاربعون الباقية هى من الاشياء التى يجب توزيعها .

اندرسن — وكيف يمكن للمستغلين أن يقتنعوا بتسليم ثرواتهم ؟

غاندى — وديا . . وأنا اعلم أن هناك من الاغنياء من قدم ثروته ويعيش الآن فى منتهى البساطة بعد الاقتناع بجدوى توزيع الثروة . على أن الالآف من الطبقة المتوسطة قد اعتنقوا هذه الفكرة الآن .

اندرسن — الا تشعرون معى فى بعض الاحيان أن مثاليات اللاعنف والحقيقة يمكن أن تتناقض . على سبيل المثال ، مع حالة جنود غاروالى[1] الذين كان عليهم أن يحرقوا قسم الطاعة كجنود ؟

غاندى — اللاعنف والحقيقة التامان لا يمكن ان يتناقضا ، رغم انه قد تكون هناك حالات استثنائية عند ما يمكن ان تجعل المعرفة المتزايدة للحقيقة . من الضرورى حتى تجاهل قسم قد اتخذ سابقا . ان هذا الباعث الداخلى والتمسك بالحقيقة الذى احاول تشذيبه هو شئ رائع ويمكن التوصل اليه فقط عن طريق النظام الدقيق والاستعداد لتحمل نتائج ما قد يبدو فى نظر معظم الناس انه تناقض .

---

(١) الكتيبة الهندية التى رفضت اطلاق النار على العزل .

اندرسن ــ هل لكم ان تعطونا رأيكم فيما يتعلق بتقديرنا حول سيكولوجيتكم .
أظن أنك يا سيدى (أ) انعزالى و (ب) من اولئك الذين يسيطر شعورهم على تفكيرهم .

غاندى ــ الجواب على (أ) نعم والجواب على (ب) كذلك نعم ، علما بأن الشعور لايسلب بطبيعة التفكير كلية . أنا اومن بالله لأنى اشعر بأنه موجود ولأن مطالعاتى اثبتت وجوده وبنفس الوقت اشعر بأنى لايمكن أن اتشاجر مع جواهر لال نهرو عند ما يظهر عدم الايمان واعل نفس النظرية تنطبق ايضا على المسائل التى تعاقب بها اولا استجابة للعاطفة ، ولكنى درست المسألة ملها فيما بعد ، اصبحت مؤمنا بجدواها

اندرسن ــ هل يسيطر الشعور على قراراتك السياسية ؟

غاندى ــ نعم ، اعنى انى استجيب لدعوة الصوت الداخلى الذى يقول لى ماذا افعل

اندرسن ــ اليست هذه ميزة لا يمكن تبريرها بالنسبة لقائد مثلكم ؟

غاندى ــ ربما كانت كذلك ، ولكن ماذا استطيع أن اصنع ؟

اندرسن ــ الست مكتئبا الى حد ما ؟

غاندى ــ ثق تماما انه ليست لدى رغبة فى ايذاء أى مخلوق حى ، وانى اطلب اليك مخلصا ان لا تصدق ما تكتبه الصحف حول معاملتى لبعض اتباعى

اندرسن ــ بماذا تفسر سوى الحس عند ما تهرب والنصر ملك يمينك ، كما حدث فى باردولى ؟

غاندى — صحيح انى جبان وانى اخشى النصر اكثر من خشيتى الهزيمة . واظن مبعث ذلك هو أن هدفى يصبح دائما اكبر . لا استطيع أن اكتفى بالحصول على نصر صغير عندما يقدم الهدف الكبير نفسه . ولعل السبب فى انى ادرت ظهرى فى باردولى والنصر على مرمى النصر هو شعورى بأن التقدم اكثر كان يعنى اشتباكا طائفيا

اندرس — أنت متهم بالانانية والصلف فى بعض الاحيان ، كما حدث على سبيل المثال عند ما قلت فى مؤتمر المائدة المستديرة انك الممثل الوحيد للهند

غاندى — أعرف ان الكثير من الناس اتهمونى بهذا . ويمكن ان يكون الامر كذلك ، وعلى كل فلست داريا به ، ففى مؤتمر المائدة المستديرة كان كل الممثلين معينين من قبل حكومة الاحتلال البريطانى . لذلك شعرت بأنى الممثل الحقيقى للامة .

اندرس — جميل جدا منك أن اجبت على اسئلة كثيرة اعترف بوضاحتها ، الا انى وجهت هذه الاسئلة لشعورى بأن تكوينى السيكولوجى يشبه تكوينك . ولذلك اردت الحصول على بعض الايضاحات .

غاندى — أرحب بالاسئلة واجيب عليها بصدر رحب وروح رياضية ، اذ انه من العدل أن تتاح للناس فرصة الفهم الكامل لعقلية شخص يحاول الاصلاح مثلى .

« ينهض اندرس فيودع غاندى ويخرج . يدخل نايد قائلا »

نايد — سيدى . . سيدى !

غاندى — « بقلق » ماذا . . ماذا ايضا ؟

ناير — لقد قررت الحكومة اجراء انتخابات منفصلة للمنبوذين . وهاك الصحيفة فيها تفصيلات حول الموضوع .

« يأخذ غاندى الصحيفة . يخرج ناير . فترة صمت يجول اثناءها غاندى ببصره فى الصحيفة ثم يقرع الجرس فتدخل سوشيلا فيقول لها . »

غاندى — اطلبى الى سيدتك الحضور فورا .

سوشيلا — امرك يا سيدى « تخرج »

« تدخل السيدة كاستوربا قائلة . »

كاستوربا — هل هناك ما يضايقك يا عزيزى ؟

غاندى — نعم ، اقرأى « يعطيها الصحيفة »

كاستوربا — « متأملة الصحيفة قليلا ثم قائلة » اذن لقد قرروا ذلك .

غاندى — نعم ، والآن لا احد امامى الا الصيام حتى الموت احتجاجا على هذا العمل الذى يقصد به عزل المنبوذين عن بقية الطوائف .

كاستوربا — ولكن .

غاندى — « مقاطعا » هذا قرارى الاخير . لم اعد استطيع أن اتحمل اكثر من ذلك . لقد اعتقلوا خان عبد الغفار خان وجواهرلال نهرو واعتقد انهم بهذا العمل الجديد يريدون التحدى لجعلى اعيد النظر فى موقفى من نتائج المائدة المستديرة . ولقد اعلنتها صريحة ، اننى ارفض بشدة سياستهم العوجاء ، وانى لواثق من النصر فى النهاية .

(ستار)

(يتبع)

نهرو العظيم

للاستاذ احمد الجندى

حين هممت بالكتابة عن نهرو العظيم كنت كمن يقف امام البحر الخضم لا يعرف مداه ، او كالناظر الى الجبل الاشم لا يدرك سموه وعلاه. فالرجل الكبير صورة واضحة عن الانسانية جمعاء ، انه يمثل الانسان الذى يريد ان يعتق عن قيود المادة وأن يخلص الى عالم الروح الذى لا حدود له ولا نهاية .

وتصفحت حياة الرجل العظيم فتذكرت شوقى شاعر العرب يوم وصف الرجال الذين يعملون من اجل وطنهم الكبير والصغير ، اما الوطن الكبير فهو الدنيا بأسرها . انهم يعملون من اجل الانسانية المعذبة ، واما الوطن الصغير هو تلك الرقعة التى نشأ الرجل فيها وعاش . قال شوقى :

كأن الله اذ قسم المعالى　　لاهل الواجب ادخر الكمالا
ترى جدا ولست ترى عليهم　　ولوعا بالصغائر واشتغالا
وليسوا ارغد الاحياء عيشا　　ولكن انعم الاحياء بالا
اذا فعلوا فخير الناس فعلا　　وان قالوا فاكرمهم مقالا
وان سألتهم الاوطان اعطوا　　دما حرا وابناء ومالا

كان نهرو العظيم تلميذا لغاندى وكان وريثه ، تسلم الراية من يده ليتم الثورة الانسانية فكان تحقيقا لرأى غاندى وتصديقا لما قاله فيه نبي الهند الكبير : انه نهرو وريثى السياسى والذى سينطق بلسانى وكلامى اذا امضى الى العالم الآخر .

لم تكن ثورة الهند التى بدأها غاندى واتمها نهرو ثورة فى سبيل الحرية فقط بل كانت ثورة فكرية وروحية . ولهذا فقد لفتت الانظار بنوعها وطريقتها الروحية الجديدة . وكانت وحيدة فى نوعها بين الثورات السياسية الاخرى التى كانت متعددة متشابهة .

ونشأ نهرو فى بيئة غنية غاية الغناء وعاش فى انكلترا بين هارو وكمبردج ، واتقن اللغة الانكليزية اتقانا غلب على لغته الاصيلة العريقة ، ورأى ثورة غاندى فوجدها غريبة فى العالم ، ولكنه احس للوهلة الاولى انها تجذبه اليها بما فيها من خصائص روحية ولمحات انسانية . فنسى اسرته وذهل عن تاريخه وماضيه وانساق نحوه لم يعرف [illegible] غاندى ليكون معينا له ومساعدا وخليفة . ووجد نهرو نفسه وجها لوجه امام الشعب المتدافع . الشعب الذى سعى اليه ليسمع كلامه . ولم تكن له تجربة الخطابة الشعبية . ولكنه حين اندفع فى الكلام لاول مره كان كالنهر العميق الذى يسير بهدوء ، هو هدوء القوة والحراره والخصب كأنه نهر الجنج المبارك . ووجد اعجاب الناس يكاد ينتزعه من مكانه . ولقد كان هذا الاعجاب موزعا بين لغة نهرو الجميلة المحببة ، والملايين الفقراء لأنه فهم الانسانية وادرك عمقها ومداها .

وهاجم نهرو الديمقراطية الغربية كما هاجمها استاذه قبله لانها منشقة عن الرأسمالية الغربية ولأنها مجردة عن عامل الروح عزلاء من النفحة الانسانية وكان يدعوها ديمقراطية البورجوازية فقد كان نهرو ينظر الى المجتمع كوحدة يحكمها قانون التعاون وأن ما يسود المجتمع اليوم من تنافس وتطاحن انما يرجع فى سببه الى خلل روحى وهو خلل لايمكن أن يعالج سياسيا وليس له من علاج الا الروح .

لقد احب نهرو السلام وسعى اليه ، واحب كل ما يوحى بهذا السلام ، احب الطفولة الخالدة واحب الحنان العميق عند الابوين واحب الطبيعة التى يبثق عنها العطف على كل شئ ، والحجارة التى رآها مؤتلفة فى بناء واحد منسجمة فى اثر فنى رائع ، لانها اجتمعت على المحبة والوئام ورأى فى هذا الكون الفسيح انشودة موسيقية متسقة النغمات متناسبة الالحان .

ولقد وصفه اندريه جيد الكاتب الفرنسى الكبير فقال ان شخصية نهرو تعلمنا اى جمال تنطوى عليه النفس البشرية .

كانت آراء نهرو تنبع من قرارة الانسان ، فهو يرى ان اللاعنف اسمى من العنف وهو اقرب الى الرجولة ، وهو يعنى معاداة واعية للآلام ولا يعنى خضوعا ذليلا لمرتكب الشر . والقصد من اللاعنف هو النهوض بالروح ضد ارادة الطاغية وعلى هذه الطريقة تحدى نهرو القوة الكاملة لامبراطورية الانكليز الطاغية واستطاع انقاذ شرف شعبه وبلاده ، فدشن بذلك انهيار تلك الامبراطورية الغاشمة .

ان الرجل العربى ليجد فى نهرو رجل زعامة ورأى وفكر ، ويرى فيه صفحة ناصعة من صفحات الانسانية خليقة بأن تلهب خيال المرء وان توقظ فيه الاحساس بالمثل العليا ، ولقد كان كفاح نهرو متجها الى ايجاد عالم افضل ، عالم مثالى يفيد منه كل ابناء البشر .

ان العرب عرفوا فى شخصية نهرو العظيم صديقا وفيا مخلصا كما عرفوا فى الشعب الهندى رفيقا فى الدفاع عن الحق العربى وان الزمن فى تقدمه وتطوره ليعطينا كل يوم مثلا عن حب الشعب الهندى للعرب

وعن سير هذا الشعب الى جانب الشعب العربى فى سعيه الى امانيه ومقاصده الشريفة النبيلة فى الحرية والاستقلال والكرامة وما ذلك الا دليلا على اتساع النظرة الانسانية عند هذا الشعب .

فمن حقنا اليوم ، وفى هذه المناسبة الطيبة ان نذكر نهرو العظيم وان نحيى ذكراه انسانا خلف وراء عالما كبيرا تعمره المحبة والسلام .

بنى العرب ارفعوا الغار وحيوا بطل الهند
اخوكم فى المقاساة وعرك الموقف النكد
وفى التضحية الكبرى وفى المطلب والجهد
وفى الجرح وفى الدمع وفى النفى من المهد
اى مثل كونفوشيوس اذ من ذلك العهد
شبيه الرسل فى الذود عن الحق وفى الزهد

سلام على نهرو العظيم رمز السلام . وتحية الى البطل الذى علم القوى كيف ينحنى امام الانسان ، لأن الانسانية اقوى شئ فى هذا الوجود .

كيف تحكم الجمهورية الهندية

للاستاذ جميل الرحمن العطاوى

ليست الديمقراطية شيئا جديدا فى حياة الهند، بل هى ظاهرة قديمة كانت تراود الفكر الهندى منذ قرون عديدة، ففى ايام الآريين كان صوت الشعب يرتفع عن طريق مجامعه العامة للتعبير عن آرائه، وكثيرا ما كان يرتفع فوق أصوات الملوك أنفسهم. كذلك كانت مجالس القرى «البنشايت» (Panchayat) التى تقوم فى كل ركن من أركان البلاد احدى مظاهر الديمقراطية المتأصلة فى حياة الهند. وكان لهذه المجالس والمجامع نظمها ولوائحها التى تنظم سير العمل فيها، فهى تشبه فى ذلك اللوائح الداخلية للبرلمانات والمجالس النيابية الحديثة.

ومع ان الهند قد تعرضت خلال تاريخها الطويل لسلسلة من الغزوات والحروب ولكن التغيير الذى نتج عنها كان تغيرا سياسيا أكثر منه اجتماعيا وفى غالب الاحيان يتمثل فى تغيير فى الاسرة الحاكمة لافى حياة الشعب الاجتماعية ومقوماته.

ورغم هذه التقلبات والاحداث السياسية التى طرأت على الهند فقد ظل ايمان شعبها بالحرية راسخا لايتزعزع الى ان اشتعلت جذوة الوطنية بعد الحرب العالمية الاولى بزعامة المهاتماغاندى الذى قاد حملة التحرير فى طريق المقاومة السلبية وعدم التعاون (Non-Cooperation) وهكذا ظلت معركة الحرية تسير فى الاتجاه الذى رسمه لها غاندى، بعيدة عن كل عنف مبرأة من كل ما من شأنه سفك الدماء. الى ان كتب لها النجاح والنصر فى ١٥-٨-١٩٤٧ (١٥ اغسطس سنة ١٩٤٧)، وفازت الهند باستقلالها

اعلان الجمهورية

وفى ٢٦ يناير ١٩٥٠ اعلنت الهند دستورها الجديد الذى ينص على ان الهند «جمهورية ديمقراطية ذات سيادة».

وبعد ما عقدت الجمعية التأسيسية اول اجتماع لها بكامل سيادتها أقسم أعضاؤها بالحلف الآتى:

«فى هذه اللحظة الرهيبة التى فاز فيها الشعب الهندى بحريته عن طريق التضحية والعذاب اقسم بوصفى عضوا فى الجمعية التأسيسية ان اهب نفسى بكل تواضع لخدمة الهند وشعبها الى النهاية حتى تنال هذه الارض العريقة مكانها الحق فى العالم وتضطلع راضية مختارة بنصيبها الكامل فى تحقيق سلام العالم ورفاهية الجنس البشرى».

ثم خطب رئيسها الدكتور راجندرا براساد، فطالب بابراء المجتمع الهندى من نظام الطبقات حتى يصبح مجموعة متعاونة، وأشار الى ان وضع دستور لهذا الشعب المتجانس هو المهمة السامية التى يجب ان تضطلع بها الجمعية التأسيسية.

وقد وضع حجر الاساس فى بناء هذا الدستور حينما وافقت الجمعية التأسيسية على قرار «الاهداف الدستورية» الذى اقترحه شرى جواهر لال نهرو. وقد حدد هذا القرار الاهداف التى يجب ان تتوخاها الجمعية عند وضع الدستور وهى:

«ان يكون الشعب مصدر السلطات جميعها فى الهند المستقلة ذات السيادة، وفى الوحدات التى تتألف منها، وفى جميع نواحى الجهاز الحكومى.»

« ان يكفل الدستور لجميع اهل الهند العدل فى نواحيه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وان يصون حقهم فى ذلك ، وان يكفل لهم المساواة فى الاوضاع وفى تكافؤ الفرص ، وان يكون الجميع سواء امام القانون ، وان تكفل لهم حرية الفكر والتعبير ، وحرية العقيدة والعبادات ، وحرية اختيار العمل والمهنة ، وذلك فى حدود القانون والاداب العامة . »

« ان يشمل الدستور الضمانات الكافية للاقليات وللاقاليم المتخلفة التى يسودها النظام القبلى ، والطبقات المغلوبة على أمرهم ، وغيرها من الطبقات . »

« ان يحافظ الدستور على سلامة اراضى الجمهورية وعلى مالها من حق السيادة فى البر والبحر والجو طبقا لما تمليه العدالة وسنن الشعوب المتحضرة ، وان يكفل للهند مكانها الرفيع الجدير بها بين بلاد العالم ، وان يتيح لها ان تساهم ، بكامل حريتها وارادتها ، بقسط وافر فى المحافظة على السلام فى العالم وفى العمل لخير الانسانية . »

وهكذا حددت أسس الدستور واهدافه ، وبعد مناقشات ودراسات وبحوث طويلة دامت عامين واحد عشر شهرا ، وافقت الجمعية التأسيسية على الدستور وأقرته باسم الشعب الهندى . ذلك الدستور الذى يعتبر وثيقة الحرية ، والمساواة والعدل بالنسبة للهند

ان دستور الهند وثيقة شاملة ، تعالج بكل مايمكن ان تعترض سبيل حياة شعب ودولة حديثة الاستقلال ، وينطوى على جميع الاجراءات والتدابير التى تضمن سير الدستور فى سهولة وانسجام .

وقد اقتبس الدستور الهندى محاسن الدساتير الديمقراطية فى العالم ، وهناك شبه كبير بين ما جاء فى ديباجة دستور الهند ، وبين اعلان حقوق

الانسان الوارد فى الدستور الامريكى. فالدستور الهندى يكفل الحقوق الاساسية لجميع المواطنين دون تمييز بينهم بسبب العنصرية او الدين او العقيدة او اختلاف الجنسين (الرجل والمرأة) وكذلك الغى نظام المنبوذين وجعلت ممارسته جريمة بنص القانون. وكذلك يضمن الدستور الهندى حرية الكلام والتعبير والاجتماع وتكوين الهيئات والهجرة والتملك وحق اختيار الحرفة او المهنة

ولكل مواطن ان يباشر فى حدود حقه المطلق تعاليم ديانته، ونقدم اليك فيما يلى بعض ما جاء فى هذا الدستور:

«جميع الاشخاص سواء فى الحقوق الاتية، على ان لا يخل ذلك بالنظام العام او الاداب او يتنافى مع اعتبارات الصحة العامة.»

(١) حرية العقيدة وحرية الفرد فى اتباع دينه وممارسته والدعوة اليه.

(٢) انشاء المؤسسات ذات الاهداف الدينية او الخيرية وادارة هذه المؤسسات

(٣) تملك الاموال وحيازتها، سواء منها الثابت او المنقول، والتصرف فى هذه الاموال فى الحدود التى يرسمها القانون.

(٤) لايجوز للولاية عند منح الاعانات للمعاهد التعليمية ان تفضل معهدا على معهد بسبب تبعية احدهما الى اقلية من الاقليات سواء كانت هذه الاقلية ذات صبغة دينية او لغوية.

ويقرر دستور الهند فوق ذلك التعليم الالزامى المجانى لجميع الاطفال حتى سن الرابعة عشرة. كما يتطلب توفير والغاء البطالة، وان تكون ظروف العمل مما يكفل للعامل مستوى لائقا من العيش، والعجز عن العمل.

وزيادة على ذلك فان الدستور يتطلب من الدولة ان تعمل على تحقيق الديمقراطية الاقتصادية فى الداخل ، وان تتمشى سياستها الخارجية مع المثل الادبية العليا للهند وتحقق رغبة البلاد فى اقرار السلام العالمى ، فتتجه الى المحافظة على السلام العالمى والاستقرار بين الشعوب ، والمساهمة فى اقامة العلاقات بين الدول على أسس كريمة عادلة ، والعمل على احترام القانون الدولى والالتزامات التى تفرضها المعاهدات فى العلاقات بين الدول بعضها ببعض ، والتشجيع على تسوية الخلافات الدولية عن طريق التحكم وينص هذا الدستور على ان يكون على رأس الدولة رئيس للجمهورية ينتخبه مجلس انتخابى يضم اعضاء مجلسى البرلمان (مجلس الشعب ومجلس الولايات (Lok Sabha) ، (Rajya Sabha) والمجالس التشريعية فى الولايات (State Legislative Councils) التى تتألف منها الهند . ومدة رياسة الجمهورية خمس سنوات قابلة للتجديد .

ولا يجوز لرئيس جمهورية الهند ان يمارس اية سلطة دستورية بطريق مباشر . فهذه السلطات من احتصاص رئيس الوزراء ، وهو الهيئة المسئولة امام البرلمان المنتخب من الشعب ، فاذا ما اتخذ البرلمان قرارا ضد الوزارة تعين عليها ان تستقيل .

اما نائب رئيس الجمهورية فيشترك فى انتخابه مجلسا البرلمان ، وكما ان الشعب يختار أعضاء البرلمان بطريق الانتخاب المستند الى حق جميع البالغين فى التصويت ، فكذلك يختار أعضاء البرلمان بدورهم رئيس الوزراء الذى يقوم بتشكيل هيئة وزارية .

المحكمة العليا الوطنية

المحكمة العليا الوطنية ، هى اعلى مراتب الهيئات القضائية فى الهند بأجمعها ، ولها من الاختصاص ما يزيد على اختصاص اية محكمة عليا غيرها

فى جميع الدول ذات النظام الفيدرالى (Federal System) فهى المرجع النهائى فى تفسير الدستور، وهى المرحلة الاخيرة من المراحل الاستئنافية فى بعض القضايا الجنائية.

وتتألف المحكمة العليا الاتحادية من قاضى القضاة يعاونه قضاة آخرون لا يزيد عددهم على سبعة عشرة يعينهم رئيس الجمهورية ويبقون فى مناصبهم حتى سن الخامسة والستين. ولايجوز عزل احدهم الا ان يكون ذلك بقرار من رئيس الجمهورية يتخذه تلبية لرغبة يتقدم بها كل من مجلسى البرلمان على حدة.

وفى كل ولاية محكمة خاصة بها على غرار المحكمة العليا الاتحادية، ويتمتع قضاتها، الذين يعينهم الحاكم العام، بامتيازات وحصانات مماثلة لما يتمتع بها قضاة المحكمة العليا. الا انهم يتقاعدون عن العمل فى الستين.

البرلمان

ويبلغ عدد اعضاء مجلس الشعب (Lok Sabha) وهو المجلس الادنى، ٥٠٠ عضوا يتم اختيارهم بطريق الانتخاب المباشر الذى يجرى فى الولايات المختلفة اما مجلس الولايات (Rajya Sabha) وهو المجلس الاعلى، فيضم ٢٣٢ عضوا تختارهم المجالس التشريعية فى الولايات، من بينهم من يعينهم رئيس الجمهورية لمؤهلاتهم الخاصة او لتجاربهم فى ميادين الادب والعلوم والفنون والخدمات الاجتماعية ويرأس نائب رئيس الجمهورية مجلس الولايات، اما مجلس الشعب فانه يختار رئيسه بنفسه.

ولكل ولاية جمعيتها التشريعية الخاصة ولبعضها مجلس اعلى كذلك. وينتخب جميع اعضاء الجمعيات التشريعية (Legislative Councils) فى الولايات بطريق الانتخاب العام الذى يقوم على حق التصويت لجميع

البالغين ، ويرأس كل ولاية حاكم . ويسير نظام الحكم فى الولايات على نمط النظام الذى يجرى عليه العمل فى الحكومة الاتحادية ، فلكل ولاية مجلس وزرائها ياخذ مكان الصدارة فيه رئيس الوزراء . وهذا الرئيس مسئول عن سياسته واعماله امام الجمعية التشريعية فى الولاية .

لجنة الانتخابات

وحرصا على سلامة الانتخابات وصيانتها من كل تمييز او محاباة أودع دستور الهند سلطة الاشراف على الانتخابات وعلى كل ما يتعلق بها من رقابة وادارة ـ سواء فى ذلك انتخابات البرلمان او المجالس التشريعية فى الولايات او انتخابات رئيس الجمهورية ـ فى يد لجنة يعينها رئيس الجمهورية وقد احيط رئيس اللجنة فى اداء مهماته بسياج من الضمانات والحصانات تشبه بما لقضاة المحكمة العليا .

وهناك غير ذلك من لجان تتمتع كذلك بالاستقلال ، وهى لجان تعيين الموظفين العموميين (Union Public Service Commission) وقد منحت هذه اللجان درجة واسعة من الاستقلال حتى تطمئن الى مباشرة عملها دون ان تخضع لاية مؤثرات من جانب السلطة التنفيذية .

الانتخابات الاربع العامة

ومند اعلان الديمقراطية فى الهند فى ٢٦ يناير ١٩٥٠ ، قد عقدت اربع انتخابات عامة . الاولى فى ١٩٥٢ ، والثانية فى ١٩٥٧ ، والثالثة فى ١٩٦٢ ، والرابعة فى ١٩٦٧ .

وقد فاز حزب المؤتمر الهندى (Indian National Congress) بالاغلبية العظيمة فى جميع الانتخابات ما عدا بعض الولايات فى الانتخابات الاخيرة ، حيث فاز بعض احزاب المعارضة الاخرى وقامت بتشكيل حكومة تلك الولايات . اما حكومة الاتحاد فما زالت فى يد حزب المؤتمر الهندى

الكويت والهنـــد

علاقة تاريخية قديمة

الاستاذ محمد اجتباء الحسين الندوى

الكويت دولة فتية عظيمة ، قطعت أشواطا بعيدة سريعة فى الحياة وقفزت قفزات سحرية عجيبة نحو التقدم والمدنية والازدهار وبرزت على مسرح العالم من كبرى الدول فى انتاج البترول والزيت ، واحتلت مكانة مرموقة ممتازة بين الدول فى النهضة والحضارة ، وفى العلم والفن والثقافة .

لم تكن دولة الكويت قبل ثلاثمائة سنة الا صحراء يأوى اليه نفر قليل من آل محمد بن عريعر للصيد ، الحرب أو الاستجمام والراحة والنزهة الى أن نزل آل الصباح مهاجرين من نجد فى هذا الحصن . وتصادقوا مع آل عريعر ، وبدؤا يقضون حياتهم بهدوء وسلام . وجاوروا حبا وكرامة واجلالا من القبائل التى سكنت الكويت ، واختارت واحدا من شبابهم «الصباح الاول» أميرا وعظيما وحاكما عليهم . فجمعهم ونظم أمورهم ، ووضع لهم قوانين وأسسا للحياة السياسية والاقتصادية خاصة .

ولا تزال أسرة الصباح تحكم الكويت بتقدير وحب واخلاص ووفاء من قبل الاهالى .

من هنا بدأت تدب حياة جديدة فى قلوب الكويتيين ونظروا الى البحر الهائج المائج فخافوه أولا ، ولكنهم بطبيعتهم البدوية وخشونتهم الصحراوية عقدوا العزم على تذليل كل عقبة تعرقل سيرهم فى اكتساب القوت والرزق فغاصوا البحر وخاضوه الى البلدان المجاورة ، ووصلوا الهند

وتوغلوا فيها وأتوا اليها ببضائعهم كاللؤلؤ الى أسواقها وأخذوا منها الحبوب والاطعمة والبهارات ، وبذلك توثقت عرى الصداقة والمودة والاخاء بين الهند والكويت ، وها أنا اقدم اليكم كلمة وجيزة بليغة تلقى الضوء على العلاقات بين الهند والكويت شرفنا بها حضرة صاحب السعادة الاستاذ يعقوب عبد العزيز الرشيد سفير دولة الكويت السابق فى الهند وهى كما يلى :

انها علاقة تاريخية قديمة قبل اكتشاف البترول بكثير ، والكويتيون يشكرون الهند على المساعدات التى نالوها فى الماضى ، وكانت الكويت تعتمد كليا على الهند فى جميع ما يستوردها من الخارج ، اذ لم تكن اوروبا معروفة عند الكويتيين فى ذلك الزمن ، ولم يكن الوصول اليها لعدم وجود المواصلات الحديثة ، لذلك فضل الكويتيون ان يتاجروا مع الهند فبدأت كيفية هذه التجارة كالاتى :

لقد بنى الكويتيون سفنهم الشراعية التى بدؤاها بسفن شراعية صغيرة تمخر عباب اليم لاستخراج اللؤلؤ ، وكانت الطرق القديمة ، وقد أرغمتهم طبيعة بلادهم الصحراوية على ركوبهم الخطر ومقارعة امواج البحر ومحاربة أهواله ، فتمكنوا من استخراج اللؤلؤ بذلك الزمن ومن هنا فتشوا على طريقة لبيع هذه المستخرجات من البحر هو اللؤلؤ وكان اول طريقة فكروا بها هى بناء السفن كى توصلهم الى شواطئ الهند ، عند ماتم بناء هذه السفن الكبيرة فكر الكويتيون بطريقة املتهم طبيعتهم الصحراوية ان يستفيدوا من هذه السفن قدر امكانيتهم ، فذهبوا من الكويت الى البصرة لشراء الملح والتمر وبيعه مع اللؤلؤ الى الهند ، وعند ما أتوا الى الهند ـ وتم بيع التمر واللؤلؤ اخذوا بشراء بعض المنتجات الهندية كالرز والشائى والبهارات والاخشاب والاحذية وغير ذلك .

سبيبة . ومن هنا فكر بعض منهم أن يأخذوا بعض هذه المنتجات ويذهب بها الى افريقية ، فقد ذهب قسم من السمن مع اللؤلؤ والتمر وبضائع الهند . ومن هنا تم تبادل التجارة بين الكويت والهند ، واصبحت الكويت فى ذلك الزمن تعتمد كليا على الهند ، لهذا هاجر كثير من الكويتيين وسكنوا الهند فى مناطقها الساحلية كومباى ، وكيراله ومدراس وغيرها من الشواطئ .

هذه هى بداية العلاقة الكويتية الهندية ، وبعد ما تقدم العالم أخذ يتنصيب الجهود حول ترسيخ هذه العلاقات على أسس اقتصادية سليمة ، وبذلك رأينا أن نرسى جذور علاقاتنا الراسخة المتينة ، وما أنا هنا الارسول محبة وسلام واخوة صادقة ، أرجوان يوفقنا الله لخدمة للبلدين الكويت والهند .

وتوسعت علاقات البلدين فى الميادين الثقافية والاقتصادية والتجارية والسياسية أيضا ، فقد ساهم البلدان فى حل قضايا دولية كثيرة ، وجرى تبادل ثقافى وتجارى ولا يزال ، وكانت العلاقات التجارية والاقتصادية بالبترول ، والكروسين والاسمنت وبيع المايصة وغيرها .

وفى بداية شهر اكتوبر ١٩٦٧ ، زار الهند وفد كويتى جرت محادثات طويلة فى جو ودى سليم ، وانتجت بمعاهدة وثيقة عن شئون البترول بجميع مشتقاته ، وغيره من البضائع التجارية الاخرى .

وزار الزعماء السياسيون ورجال الحكم البلدين فى مناسبات شتى ، وبذلك توثقت العلاقات على أسس متينة قوية ، ولا يزال البلدان يسعان لتوثيق عرى الاخوة والصداقة على أساس أرسخ وامتن واعمق .

وأخيرا وصلنا نبأ سار عن تدشين الخط اللاسلكى المباشر بين الهند والكويت ، وقدجرى أول حديث مباشر بين سكرتيرى وزارة المواصلات الهندية والكويتية السيد اول . سى . جين والسيد عبدالله سلطان القالب

وتبادل بعضهما البعض التهنئة على هذه الخطوة المباركة العظيمة . انها بدون شك خطوة جبارة نحو تعزيز العلاقات الودية المتينة الراسخة الجذور والاسس.

ولايزال هذا التبادل بين البلدين فى ميادين مختلفة ويمكث حاليا أكثر من عشرين الف هندى فى الكويت، ولا يشعرون الا انهم فى وطنهم يعيشون بكل انسجام ومحبة واخاء .

نرجو الله عزوجل ان يوفقنا الجميع لكل خير وأمن وسلام وتقدم ورقى وازدهار وحضارة بناءة مفيدة للانسانية جمعاء .

التجارة فى الهند القديمة

للسيد سخى حسن نقوى

يرجع تاريخ التبادل التجارى بين الهند وبين البلاد الاجنبية الى أقدم العصور وقد اثبتت البحوث الحديثة أن سكان وادى السند كانت لهم بالعالم الخارجى روابط فى سنة ثلاثة آلاف قبل الميلاد ، ويذكر التوراة ايضا الروابط التجارية القائمة بين أهل الهند وبين أهل الشام واسفرت الاكتشافات الاخيرة فى الآثار القديمة انه كانت فى سنة ثمانمائة قبل الميلاد التجارة مزدهرة بين العرب وبين الهند وفينقية ومصر ومند القرن الرابع قبل الميلاد ازدادت هذه العلاقات بالنشاط الهندى البحرى فأقام ملوك الاسرة الموريه فى عصورهم دواوين رسمية لتنظيم اسفار البحر .

وكانت للهند سيطرة تامة على البحر فى الزمن القديم مما مكنهم من اقامة مستعمراتهم فى مجمع جزائر الهند وسرعان ما بدأت بعد ذلك المواصلات البحرية والبرية بين الهند وبين الصين التى استمرت نتيجة التبادل التجارى القائم بين البلدين .

ويعتبر هجوم الاسكندر اليونانى على الهند (بين ٣٢٧-٣٢٥ ق . م .) فاتحة الروابط الثقافية بين الهند وبين اليونان ايضا . فارسلت ملوك مصر وسوريا سفراءهم فى بلاط موريا بالهند ، كما أرسل ملك أشوكا بدوره مبشرى الديانة الى خمسة دول من دولة اليونان ولما افلت الحكومة اليونانية اثر وفاة الاسكندر ظهرت سلطة اخرى فى بارتهيا وانتهز ملك مصر فيليدلفوس (٢٨٥-٢٣٦ ق . م .) الفرصة ، فعمل على ترقية التجارة المصرية عن طريق البحر الاحمر . فأنشأت فى عهده موانئ كثيرة تنتهى إليها جميع

الطرق التجارية . ومنها ميناء هرمز التى كانت مركزا هاما للتجارة الهندية — وروى ان مواكب ويليدلفوس كانت تشتمل على النساء الهنديات والكلاب الضارية والابقار الهندية والافاويه الهندية المحمولة على الجمال — وكانت فى السفينة الملكية صالة واسعة مرصعة بالاحجار الكريمة الهندية . ولم يقصر الملوك البطالسة المصرية بعدهم الملوك الرومانى والاغريق عن الاهتمام بالتجارة بين الهند وبين مصر ، فوسعوها . وهنا قرائن تشير بوضوح الى ان التجارة البحرية كانت مزدهرة بين الهند والساحل الافريقى قبل بداية السنة الميلادية بكثير وكانت الاسكندرية مركزا هاما للتجارة حينذاك ايضا كما هى اليوم .

وقد اعفى ملوك الهند البضائع الاجنبية من كل ضرائب الاستيراد بغية توسيع التجارة مع البلاد الخارجية وتنشيطها وأمروا السلطات البحرية ان يحسنوا المعاملة مع كل سفينة نزلت على الموانئ ، مصابة فى الطريق او تالفة المتاع .

وكانت المواصلات التجارية قائمة بين شمال الهند وجنوبها وبين الهند الصينى من قبل المسيح ببضعة قرون ، فكان هولاء البحار المراكز التجارية والمستعمرات . ويظهر ايضا ان طلب الفلفل والروائح العطرية كان كثيرا فى الصين والتجار كانوا يجلبون السكر والحرير بدلا منها ويرسلون الى الهند البضائع الصينية عبر انجاد تيبت — ثم يوردون من طريق لهاسا (Lhasa) وسكيم (Sikkim) الى نهر جنج وينقلون من هناك فى السفن الى تامر لبتى (Tamer Lipti) التى كانت ميناء مشهورة فى بنغال فى ذلك العهد . ومن هناك ترسل هذه البضائع بالطريق

البرى أو البحرى الى الموانئ الشرقية وكذلك كانت ترسل البضائع الصينية الى الغرب فى السفن الهندية التى تحملها الى موانئ البحر الاحمر ومن هناك تنتقل الى نهر النيل بالطريق البرى — ثم الى الاسكندرية .

ولما تغلب أغسطس على مصر فى العام الثلاثين قبل الميلاد بذل جهده لاقامة التجارة بين الهند وبين مصر مباشرة ولكن لم ينجح فى مساعيه الا قليلا لانه لم يتيسر له الانتصار على قبائل العرب وثغور مصر الذين كانوا يسيطرون على الطريق التجارى حينذاك — على ان التجارة ازدهرت بالرغم من تلك الموانع والعراقيل ويبدو ان زهاء ١٢٠ سفينة كانت تصل الى ساحل الهند كل عام فى سنة خمس وعشرين وكانت تقوم من الميناء التى تشتهر الآن بموصل .

وكانت نتيجة تلك الروابط التجارية ان الهند ارسلت سفراءها الى بلاط الامبراطور الرومانى أغسطس فى سنتى ٢٥ ق.م و ١٣ ق.م وارسلت فيما ارسلت سفارة من الهند الشمالية حملت معها رسالة فى اللغة اليونانية وتحائف كثيرة ، من بينها الحيات الهندية وطائر كبير الجسم ونمر . وفى احدى تلك السفارات بعث الفيلسوف الهندى المسمى نشرامن آشاريا وهو الذى حرق نفسه فى أثينا وقيل ان العبارة الآتية بعثت فى لوح ونصب على محرقه :

« يستريح هنا زرمنو جكس من برعوزا ، الرجل الهندى الذى خلد اسمه طبقا لتقاليد بلاده . »

وكذلك ارسل ملوك جنوب الهند مثل شيرا (Chera) وباندیا (Pandya) وشولا (Chola) السفارات الى الممالك الاجنبية وكانت

الرحلة البحرية من بلاد الهند الى افريقيا رحلة ذات خطر في ذلك الحين . ولذا كان قواد البحر يؤثرون السير على الشواطئ فلما اكتشف هيبالس الملاح اليوناني في سنة ٤٥ ق.م. ان الرياح الموسمية في جريان مستمر طول السنة في بحر الهند بدأت السفن تركب بحر الهند وتشقها مباشرة الى افريقيا وادى ذلك الى ازدهار التجارة بين الهند وبين الروم .

وفي سنة ستين للميلاد صنف كتاب قيم اسمه « دليل البحر الهندي » وكان مصنفه يتجر بين بلادي اليونان ومصر . وهذا الكتاب يدل على وجود التجارة المنظمة بين بلادي الشرق والعرب فنجد فيه وصفا دقيقا للتجارة بين الروم وبين الهند . ونعلم من هذا الكتاب ايضا ان الحنطة والفولاذ والبلور والاقمشة والرز والسمن والدهن والتكك كانت تصدر من سواحل سوراشترا الى الصومال وترد جلود السلاحف والعاج واللبان بدلا من تلك البضائع . وكانت من بين صادرات بهاروكش ـ ميناء سوراشترا المهمة ـ الاقمشة واليشب (حجر سليماني) والنسيج الهندي يقال له « تن زيب » ومعناه (زينة الجسم) وممسوح من الحوت . وسنبل الطيب والزنجبيل وويلم والحرير الصيني . وكانت البضائع الواردة تشتمل على الخمر والنحاس والصفائح والرصاص والمرجان والعقيق والاقمشة الرخيصة والتكك المصوغة والعنبر ووهج النار والمسكوكات الذهبية والفضية والمراهم . وكذلك كانت تصدر من بلاد الهند الى سواحل العرب الاقمشة المختلفة الالوان والزعفران، وتن زيب والرز، والقمح، والدهن . ووردت من هناك اللبان وجلود السلاحف بدلا عن تلك الاشياء . ومن موانئ الخليج الفارسي وردت اللآلئ البيضاء

والتمر والخور المختلفة والذهب والسرارى (يقال لهن ياونا فى اللغة السنسكريتية) اللواتى قمن بخدمات مختلفة عند اسر مالكية فى الهند وكانت تصدر بدلا عن تلك البضائع النحاس والصندل والساج وآبنوس .

وكذلك كانت البضائع الاجنبية ترد على شواطئ السند وهى مشتملة على الزنجبيل وويلم والسنبل الطيب والياقوت الاحضر وغيرها والصوف الصينى والتنى والنسيج القطنى والخيوط الحريرية وغيرها ، تبادلت تلك الاشياء عن العقيق اليمانى والمرجان والعبر واللبان والظروف الزجاجية واطباق الذهب والفضة تارة من شمال الهند ومن جنوبها تارة اخرى .

وكان ـمارا وكلياان من موانئ آندهرا وكذلك تاكل كام الذى ذكره فرطس باسم حيراديس (Chira Des) وكان من البضائع الصادرة منها :

اللآلى والعاج والحرير الصينى والاحجار الكريمة والسلاحف ومن البضائع الواردة : المسكوكات والعقيق والنسيج المصبوغ من نبات قنب الهندى والكحل والمرجان والزجاج الخام والنحاس والصفائح والرصاص وسم الفار وغيرها ، وكانت كوتشى (أوكوركى) ميناء بلاد بانديا (Pandya) وكانت مشهورة بمعدن اللآلى وكثير من المصنوعات المصرية وردت فى موانئ شولا ـ ولقد جاء وصف التجارة فى سواحل الهند الشرقية فى كتاب فرطس بالاختصار الا انه يصف حالة التجارة من الطرق البرية ومنه نعلم كثيرا من الاشياء كانت تنتقل بتلك الطرق ايضا ومنها القرود والنمار والجواميش والافيال والببغاء والرزازير والدراريج والطواويس وغيرها .

ويظهر ان التجارة بين بلاد الهند وبين الروم فى المائة الاولى الميلادية ازدهرت بحيث ان طابرلس (Tiberius) اشتكى فى سنة ٢٢ الميلادية

أمام مجلس الاعيان الرومى الفتيات الروميات أنهن يزدن عجبا وزهوا، وقال انها نتيجة كثرة الاحجار الكريمة الواردة من الهند وطالب بالتفتيش الرسمى فيها - ويقال ان نيرو (٥٤ م الى ٦٧ م) اشترى قدحا مصنوعا من الزمرد بمليونى سيسترس (عملة رومية حينذاك).

ان هذه العلاقات التجارية تضاءلت بعد وفاة نيرو، ولكنها عادت مزدهرة بعد قليل مرة ثانية، فقد كتب بلاطينى فى سنة سبعين للميلاد «الهند تجلب من بلاد الروم عشرة ملايين سيسترس كل عام حتى صارت خزانة الروم عديمة النقود، واضطرت هذه الحالة الامبراطور الى ان يأمر بضرب مسكوكة اخرى قليل القيمة منها.»

ويقول ديون كريسوسطن (Dion Chrysoston) فى احدى خطباته :

« قد أسست فى سنة مائة للميلاد مستعمرة عظيمة للهند فى الاسكندرية لاجل الروابط التجارية فحسب.»

وكانت سعراء الروم يقطنون فى موسيرى على ساحل مليبار، وهم الذين بنوا فى مدوراى معبدا عظيما لذكرى اغسطس الملك الاغريقى ولذا اكتشف هناك كثير من النقود والمسكوكات التى كانوا يستعملونها كعملة عدهم.

وكذلك توجد المسكوكات فى مدينة شولا (Chola) وتكشف الابحاث الجديدة فى كتب اللغة القديمة فى التامل (Tamil) ان الروميين كانوا يشتغلون فى بلاط ملوك تامل ناد بالوظائف المختلفة مثل الحارس

والجنديين والمهندسين والتجاريين ـ وكانوا يسمون باسم ياونا (Yavana) في لغة التامل ، يتعلقون بالاصل الرومى تارة واليونانى تارة اخرى .

فما زالت الروابط التجارية تنمو بين الهند وبين الروم منذ سنة مائتين وعشرين للميلاد ، مما لا شك فيه ان هذه التجارة كانت اكثر نفعا للهند من الروم لان الهند ما كانت تحتاج استيراد الصنائع الخارجية الا المرجان والرصاص والخمر ، الصنائع اذ كانت البلاد العربية احوج منها الى الصنائع الهندية للرخاء والترف

والسمير الصينى فاحيان الذى جاء فى الهند فى اوائل القرن الخامس ركب السفينة التجارية من تامرلتى المدينة القديمة المشهورة فى بنغال وبلغ جزيرة سيلان فى أثناء سفره الى جاوا ومن هناك توجه الى الصين ـ وهو ايضا يوثق المواصلات التجارية بين بلاد الصين وبين الهند وسيلان ويقول فى مذكراته ان السفن التجارية كانت تسير من كاويرى نتم (ميناء حكومة شولا) ومامللابورم (ميناء بللاوا) ومن شواطئ نهر كريشنا وغوداورى الى الصين وأنام والسيام وبرما على وجه العموم

ونجد وصف حالة التجارة بين الهند وبين البلاد الاجنبية فى رحلة كزموس (Cosmos) الملاح اليونانى الذى كان من سكان مدينة اسكندرية وهذا الوصف مهم جدا مع كونها موجزا ومختصرا يقول فى كتابه : «طوبوغرافيا المسيحية» الذى صنفه فى سنة ٥٤٧ للميلاد يصف العلاقات التجارية بين الهند وبين جزيرة سيلان ويذكر الحيوانات الهندية ايضا فى اسلوب جاذب عن جزيرة سيلان كما يلى :

«انها مركز التجارة ـ ترد هنا السفن من الهند والعرب والحبشة مملوءة من البضائع التجارية مثل الاقمشة الحريرية والعود والقرنفل والصندل

والبخور ترد كل هذه الامتعة من البلاد البعيدة وتصدر من هنا الى مليبار وكايان والسند ، ان انتاج الفلفل فى مليبار كثير وتصدر الى البلاد الخارجية ، بينما النحاس وقروم الخشب وعدة اشياء اخرى تصدر من كايان والمسك من السند . »

وبعد ذلك يذكر اسماء الموانى التى تقع على ساحل الهند الشرقى والغربى ويقول فى وصف ملك جزيرة سيلان انه يستورد الخيول من أقطاع تامل ناد وتعطف على تجار الخيول خاصة ـ وهو يذكر ايضا استيراد العاج فى الهند من افريقيا

ومثل ذلك يصف هيون سانغ تجارة الهند الداخلية والخارجية ويقول . الذهب والفضة والنحاس والحجر الابيض واللآلى كلها من المنتجات الطبيعية لهذه البلاد ومع ذلك تكثر الاحجار الكريمة والدرر الثمينة التى توجد على شواطئ البحر . وتتبادل الناس هذه الاشياء عن بضائع اخرى وتكون تجارتهم تبادلا للاجناس على الاكثر ـ وبعد ذلك يقول هيون سانغ : توجد البضائع الاجنبية الواردة من كل أقطاع العالم فى كيبشيا الذى هو مركز التجارة ، عن الفارس وما وراء ذلك من البلاد ويقول وصفا عن اوريسا

يسافر التجار من هنا الى بلاد بعيدة ويقف المسافرون الاجانب هنا فى اثناء سفرهم ويمكن فى اسواقه نيل الاشياء الثمينة والغريبة دائما ، وفى وصف ولبهى (Valbhi) يقول :

« هنا نحو مائة عائلة تملك الف مليون أو أكثر من النقود ـ وتوجد هنا بضائع من بلاد ما وراء البحار بدون صعوبة . »

هذه العلاقات بين الهند القديمة وبين البلاد الاجنبية تشير الى ان الفعاليات التجارية فى داخل البلاد لم تكن ضئيلة . وان التجارة بين شمال الهند وجنوبها وصلت أوجها فى عهد ملوك اسرة موريا الى حد أننا نقرأ فى ارتهشاستر ا ان الودعات واللالى والياقوت الازرق ، والمصنوعات الذهبية والنسيج والمنسوحات والحبوب كانت تصدر من جنوب الهند الى شمالها .

تعريب : نثار احمد الفاروقى

ابو عطاء السندی

(شاعر سندی متعرب فی القرن الثامن للمیلاد)

للدکتور حافظ غلام مصطفی

(۲)

ونفس هذا الرأی اظهره ابو عطاء بوضوح اکثر فی قطعة اخری ومنها ما یلی :

ألیس الله یعلم ان قلبی یحب بنی أمیة ما استطاعا

ومابی ان یکونوا اهل عدل ولکنی رأیت الأمر ضاعا

لاغرو ان اباعطاء کان من مشاهیر شعراء عصره وکمانا تحقیقا لمکانته البارزة ان نذکر بان تفوقه فی الشعر قد اعترف به الاجلاء من ادباء اللغة العربیة الذین امتازوا بعلو مکانتهم فی الادب ـ یقول الناقد البصیر عبد الملک بن قریب الاصمعی (ت ۸۲۸ میلادیة) : انه کان بلیغا مصقعا . وهذا ابن قتیبة الدینوری (ت ۸۸۹ م) یقول «کان جید الشعر»[۱] ویبدی البکری (ت ۱۰۹۳) رأیه فیه بما نصه ـ «وهو مع ذلک من احسن الناس بدیهة واشدهم عارضة وتقدما»[۲] ـ وقال ابن خلکان فی مستهل الترجمة لصاحبنا :

انه شاعر مشهور ، وبعد ان ذکر اخبارا معینة عنه لاحظ بانه شاعر مجید ، وبعض المقطعات النادرة من شعره توجد فی کتاب الحماسة وبذلک انتهت

---

(۱) ابن قتیبة ، کتاب الشعر والشعراء ص ۷۴۲ .

(۲) البکری والمیمنی ، سمط اللآلی ، ص ۶۰۲ ، القاهرة ۱۹۳۶ .

للاحظة التي قدمها مع بيان ولوعه بشعر ابي عطاء وانه لولا مخافة التطويل والخروج عن الموضوع لاورد بعض المقطعات الرائعة له .

في اثناء هذه الايام التي عاش بها ابو عطاء كانت العراق تزدهر طبعا بوجود عدد وفير للشعراء المملقين والعلماء المبرزين ولا بد ان اشير على سبيل المثال الى بشار بن برد ومطيع بن اياس والوليد بن يزيد ... لم يعاصراه فحسب بل قضيا بعض الاحايين في بلاط الامير ابن هبيرة الذي اكرم ابا عطاء باستدامة فاوله طبعا صحب ذلك المجلس ، امثالهما وان لم يصل الينا بهذه المناسبة شيء جدير بالذكر . وكيفما كان فيبدو انه لقى من الأدباء المعاصرين له احتراما وتوقيرا فائقين

يمكن أن نستدل ببعض الابيات الشاردة لابي عطاء ومما يدور حولها من الاقاصيص على علاقة وثيقة بينه وبين حماد الراوية الشهير ثم بينه وبين ابي دلامة الشاعر المعروف

وذلك ان حمادا أوشك مرة ان يقع في احبولة دبرها بعض حساده بانه حرش ابا عطاء على ان يهجو حماد الراوية وانما وقع في مجلس خاص حضراه مع غيرهما فبدأ حماد يهزأ بصاحبنا ويضحك على رطانته الى ان حمى عليه ابوعطاء فلما ادرك حماد شدة غيظه خاف التهمة فاعتذر اليه على الفور وطلب منه الصفح عما بدر منه

وبمناسبة اخرى تشبه الاولى بالطبع يقول الراوي للقصة ان اهل المجلس كلهم تقريبا كادوا يتقهقهون ضحكا منه بسبب لهجته المغلوطة ولكنهم

---

(١) حنا الفاخوري ، تاريخ الادب العربي ، ص ٣٧٠ لبنان ١٩٥١ .
(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٦٩ (ترجمة مكحول) .
(٣) المرجع السابق ، ج ٤ ص ٢٣١ - ٢٤٠ .

مع ذلك كانوا خائفين منه حتى لم يتجرؤا على ان يتضاحكوا وانما اطبقوا الشفاه بكل جهد .

ويروى فيما دار بينه وبين ابى دلامة انه ذات مرة هجا بغل ابى دلامة فقال :

أبغل ابى دلامـــة مت هزلا عليـــه بـالسخاء تعوليـا
دواب النـاس تقضم ملمخـالى وانـــت مهـانة لاتقضميـا
سليه البيع واستعدى عليـــه فانك ان تبـاعى تسمنينا

فلما بلغ ذلك ابا دلامة خشى ان هذا الهجو يتفشى سريعا فباع البغل حالا وهجا بعسه البغل بكلمة طويلة ولا بأس أن نورد بيتا منها فيما يلى :

فقلت بـاربعين فقـال احسن الـــى فـان مثلك ذو سجال[1]

هذا وبمناسبة اخرى رأينا ابا عطاء يهجو ابا دلامة هجاء مريرا ولاندرى السبب لذلك غير انهما لم يكونا اد داك على اتصال ودى وانما بقى من هذا الهجاء بيتان كما يلى :

الا ابلغ هديت ابـا دلامـــة فليس من الكرام ولاكرامة
اذا ليس العمـامة كان قردا وخنزيرا اذا وضع العمـامة[2]

كان ابو دلامة بلا شك شاعرا معروفا وكان ايضا شهيرا لمجونه وسلاطة لسانه وقوة عارضته وارتجاله الشعر ولكنه مع ذلك سكت عن هذه الاهاجى التى قالها ابو عطاء واستسلم لها .

(١) البستانى ، دائرة المعارف ج ٤ ص ٢٩٢ .
(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج ٢ ص ٧٧ .

هذه الاحاديث السائرة تريبا رأى العين بأن ابا عطاء احتل مكانة سامقة بين اللواذعة المبرزين من معاصريه وهى ايضا تشير الى ان قصائده سارت بها الركبان وكانت مألوفة جدا لدى الجماهير أما سبب هذا الشيوع والانتشار فلعل الباحث يعثر عليه اذا تأمل فى شعره من الناحيتين المادية والمعنوية.

مازال الشعر الجاهلى يتخذ نموذجا أمثل بالعموم حتى فى عصر الدولة الاموية والشعراء فى الغالب تنافسوا فى الامتثال بهذا الشعر فى كل من الاساليب والمعانى حتى اذا اتوا على الجلماء. وأبناؤهم الامراء الذين عاشوا تماما بالعراق او الشام عيشة متحضرة بالدرجة القصوى. اتوا عليهم باشياء تعد فى خصائص الحياة البدوية كما او انهم كانوا متمدحين لبعض شيوخ البدو ومن هنا لم يستطع الجمهور فى مختلف المديريات ان يقدروا قيمة ماتيك المدائح بل انهم عجزوا ايضا بالكلية عن فهم معناها وذلك لما كانت غالبية الجماهير فى شتى الحواضر والارياف عبارة عن غير الجنس العربى ثم ان العرب المجاورين لهذه الغالبية أيضا كانوا متأثرين بدرجة عظيمة من الثقافة الاجنبية السائدة

فيما كان فان الاسلوب الذى اختاره ابو عطاء فى النظم يبدو ساذجا نقيا للغاية وفى واقع الامر يبدو بساطة الاسلوب مع الانسجام من معالم شعره الرئيسية ولا غرو انه كان شاعر الجماهير كما انه استعمل اللغة المألوفة لدى العامة ومن هنا انتشرت منظوماته بسرعة فيما بينهم. وكان ابوعطاء نفسه عارفا بما أتيح له من قبول لدى الجمهور وعلى ذلك يقول فى غضون مديحه لسليمان بن سليم :

---

(١) نيكلسون ، تاريخ الادب العربى ص ٢٣٦.

فاعتمدنى بالشكر يا ابن سليم   فى بلادى وسائر البلدان

ستوافيهم قصائد غر   فيك سباقة لكل لسان

فعلا حظى ابو عطاء بموهوبة فطرية لقرض الشعر ومن هنا نظم ابياتا ومقطعات بلا تحضير سالف وبهذا الخصوص توجد شواهد عديدة تدل على انه استطاع بسهولة جدا ان يرتجل القوافى باية مناسبة وعلى اى بحر من الموازين المتنوعة . وربما قدر على ان يكلم الناس بكلام منظوم وعلى الأرجح كان معروفا لنظم الشعر ارتجالا فقد طلبوا منه فى بعض الاحيان ان يرتجل نظما مقطوعا على بحر حددوه اختبارا له او لأى غرض آخر ومثال ذلك ما ورد فى بعض الروايات ان ابراهيم بن الاشتر ارسل اليه بالبيتين التاليين واقترح عليه ان يضم اليهما بيتين آخرين على هذا البحر من عند نفسه وهما

وبلدة يردهى الجنان طارقها   قطعتها بكناز اللحم معتاطه

وهنا وقد حلق النسران او كربا   وكانت الدلو بالجوزاء منتاطه

ولاشك ان هذا البحر عسير جدا غير ان ابا عطاء نظم بمنتهى السهولة بيتين آخرين يلتئمان تماما بالتوأمين المتقدمين لا من جهة البحر والقافية فقط بل ومن جهة المعنى ايضا فقال :

فاجتاب عنها قميص الليل فانتكرت   تسير كالفحل تحت الكور لطاطة

فى أينق كلما حث الحداة لها   بدت مناسمها هوجاء حطاطة

هذا ولا يستدل احد بما تقدم بيانه ان اباعطاء اتى بشئ من اللهجات المحلية او العامية المبتذلة المغلوطة نهائيا ولايخفى انه استعمل فعلا لغة

بسيطة الجمال منسجمة هي في الوقت نفسه ساذجة وصريحة ولم يستعذب قط لغة مصطنعة وعبارة مكلفة او الاساليب التقليدية والتراكيب القديمة وكان فعلا قد شرب روح اللغة العربية فكاد لايرتكب مخالفة للقواعد اللغوية :

مهما يمنع تقييد هذا الحارث انه بينما كان راويته ينشد كلمة له في مدح سليمان بن خالد اذ اخطأ في البيت الآتي :

فما فضلت يمينك من يمين ولا فضلت شمالك من شمال

فانه تلفظ بكلمتي شمال ويمين مضمومتين فحملهما في حالة الفاعلية وكان ذلك لاحالة خطأ فاحشا فاهتاج ابو عطاء عندئذ وقال له : « ويلك فما مدحته اذا انما هجوته » — يريد — « ويلك فما مدحته اذا انما هجوته » . ثم انه لقن الراوية هذا البيت على الوجه الصحيح الا انه انشد على الوجه الآتي :

فما فلت يمينك من يمين ولا فلت شمالك من شمال

هكذا افسد البيت بتمامه افساد اللهجة والتلفظ السقيم وسبب المستمعين ان يضحكوا عليه ولكنه لم يستطع ان يصبر على غلطة نحوية .

ومهما كان فان الباحث ربما يعثر على شئ من زلاته في استعمال بعض الكلمات وخاصة في البيت التالي :

دواب الناس تقضم من مخالي وانت مهانة لاتقضمينا

فكلمة (دواب) جمع دابة مشددة الباء ولكن الوزن يقتضي التخفيف كذلك حرف النون ساقط والاصل (من المخالي) ومما يلزم الانتباه له ان كلمة (دواب) او ما جاء على وزنها ما لم يتبدل التخفيف بتشديدها لايستعمل في أي تفعيل عروضي لأي بحر من بحور الشعر العربي ما عدا

التفعيل الاخير للشطر الاول على البحر المتقارب[1] ـ وبناء ذلك اضطر الشاعر ان يستعمل الكلمة فى غير محلها الصحيح بنوع طفيف ويقارب ذلك ان الشاعر بخصوص كلمة (من المخالى) تحرر الى حد ما من المقررات النحوية محافظة على البحر ولعل ذلك يأتى فى عداد المرخصات الشعرية ويوجد مثال ذلك فى كلام آخرين كثيرين .

ولاشك ان اباعطاء اخطأ فى البيت التالى :

أقام على الفرات يزيد حولا   فقال الناس ايهما الفرات

وذلك ان قافية البيت لاتتفق مع اخواتها الباقية تماما لان الروى فيها مكسور واما هنا فهو مضموم وهذا بلا ريب عيب من عيوب القوافى والعروض ، ويسمى الاقواء ـ

كيفما كان فلا يصح الاستدلال بمثل هذه الاخطاء القليلة على أن صاحبنا لم يكن متضلعا باللغة العربية .

اما طرائف معانيه فى الشعر فلا يمكن لنا بخصوصها ان نقول شيئا بالقطع لما اننا نجد قسما قليلا جدا من شعره فى متناول أيدينا على ان هذه البقية اليسيرة من شعره عبارة عن مقاطيع جميلة معينة ومختلف ابيات شاردة وهى تشتمل غالبا على صنوف الشعر المتداولة كلها فى عصر الشاعر أعنى المديح والهجاء والرثاء والغراميات والوصفيات وهلم جرا.. ولكنها لا تكفى للدلالة على كفاءة الشاعر المطردة باعتبار تفكيره الشعرى وكيفما كان فاننا نستطيع ان نستنبط من هذه المجموعة اليسيرة بعض النقاط البارزة .

---

(١) المبرد، كتاب الكامل ج ١ ص ٦١، القاهرة ١٣٥٥ هـ

فاولا وقبل كل شئ يجب الانتباه الى ان الشاعر مع انه فيما يظهر يتقيد بالعموم نماذج تقليدية للشعر الجاهلى لا يكاد يحذو حذوها بالتدقيق والالتزام - فانه احيانا يجرئ فيخلع ربقة الانقياد للقديم ويعرفنا بالتأملات الجدد والآراء المبتكرة ثم انه يستمد الهيئة الاجتماعية التى مارسها والشئون السائدة حواليه فى ايجاد الاشباح الفكرية - ولعله كان رجلا عمليا ، لذلك احب أن يصف الحقائق المحسوسة للحياة ومشاهدات عينية الملئة بالحيوية ، ولعل ذلك سبب آخر اشتهرته لدى الجماهير ومثال ذلك أنه يقول يهجو العباسية الهاشميين

بنى هاشم عودوا الى نخلاتكم فقد قام سعر التمر صاع بدرهم

ونحو ذلك صادف مرة ان يزيد بن عمرو بن هبيرة امير العراق فرق على الناس دنانير صحيحة وهو مقيم بقرب صفاف الفرات الا انه لم يسمح ابا عطاء بشيء ولا بصغير فنظم ابو عطاء بعد ذلك كلمة تحتوى على ما يلى :

اقام على الفــــرات يزيد حولا فقـــال الناس ايهمـــا الفــرات

فيـــا عجبـــا لبحر بـــات يسقى جميع الخلق لم يبلل لهـــاتى

فعند ذلك قال له يزيد : كم يبل لهاتك يا ابا عطاء ؟ قال : عشرة آلاف درهم . فامر يزيد انه ان يرى لابى عطاء هذا المبلغ الخطير .

ان القطعة الآتية تشهد له بالوضوح بقوة الابداع فى التفكير ولا غرو ان هذا الشاعر اتسم حلقة فيما يبدو بعقلية ابداعية ومن هنا كان يجب بالطبع افكارا جددا وآراء اصلية حتى انه عند ما اقتفى اثرا قديما لم يقلد القدماء تقليد الاعمى ولكنه حاول على الدوام ان يحدث شيئا من

التصرفات ويأتي بشئ جديد في ضمن ذلك؛ واتفق ذات مرة في غضون المحادثة ان حماد الراوية انشده البيت الآتي:

اذا كنت في حاجة مرسلا فارسل حكيما ولا توصه

يبدو هذا البيت حسنا جدا ولذلك بالعموم يمثلون به ولكن بالنظر الى الحقيقة ليس هذا المعنى الذى تضمنه البيت شيئا معمولا به على الدوام اذ ليس بوسع احد مهما امتاز عقلا وفهما ان يحيط بكل شئ علما ويدعى بذلك كادت هذه النكتة لا تتملص من عقلية ابى عطاء الاجرائية لذلك ما ان سمع صاحبنا هذا البيت الا ورد على صاحبه قائلا. ما أسوأ هذا القول! فقال له حماد: وكيف كنت تقول، فهنالك اجابه ابو عطاء: انني نقلت هكذا وأنشده ما يأتي على البديهة:

اذا ارسلت في امر رسولا فافهمه وارسله اديبا

وان ضيعت ذاك فلا تلمه على ان لم يكن علم الغيوبا

في ضوء التحليل الآنف الذكر لعلى لا أكون مخطئا اذا قلت ان صاحبنا ابا عطاء حقيق بان يكون معدودا في طليعة المعرفين ببعض التصرفات القطعية في النموذج القديم للشعر العربي. وسيجد القارئ في هذه المجموعة الضئيلة من شعره ابياتا رائعة يقع عليها الاختيار وبعض المقطعات تحتوى ابياتا تظهر في الواقع كاقوال مليئة بالحكمة. وانما يعجبني جدا ان اختم هذا المقال بالقطعة الرائعة التالية أوردها صاحب الاغاني في ضمن الاصوات الشيقة لابراهيم الموصلي (٧٤٦-٨٠٤ م) أحد مشاهير المغنين العرب على انه من صغار اقران ابى عطاء ايضا وهي:

اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه شكى الفقر او لام الصديق فأكثرا

وصار على الادنين كلا واوشكت   صلات ذوى القربى له ان تنكرا

فسر فى بلاد الله والتمس الغنى   تعش ذا يسار او تموت فتعذرا

ولاترض من عيش بدون ولا تنم   وكيف ينام الليل من كان معسرا

وما يدرك الحاجات من حيث تبتغى   من الناس الا من اجد وشمرا

(مع الشكر لمجلة الثقافة الاسلامية (Islamic Culture) الصادرة من حيدرآباد، دكن يناير ١٩٦٦.)

تعريب: الاستاذ ابو محفوظ الكريم المعصومى

العلاقات الهندية العربية

للبروفيسور همايون كبير
عضو البرلمان الهندي

إن العلاقات الهندية العربية الودية يرجع تاريخها الى العصور المتوغلة فى القدم، وهى علاقات تقليدية تمتد عبر آلاف السنين. ولو أن الاتصالات انقطعت لفترة من الزمن غير أن هناك ما يدل على أن التبادل الثقافى لم ينقطع بل كان خصبا، والتجارة فى ازدياد مستمر منذ العقد الثانى قبل ميلاد المسيح. ان العرب كانوا بحارة وتجارا. ولم تكن تجارتهم مقصورة على البضائع والسلع والخدمات بل تتعداها الى وجهات النظر أيضا، كما أنهم كانوا حلقة اتصال بين المشرق والمغرب. ان تعليمات بوذا انتشرت فى آسيا الصغرى وعبر ذلك وبعد أيام الاسكندر ساعد العرب فى نشر الأثر الاغريقى فى مختلف العلوم والفنون الهندية مثل النجوم، والعمارة والنحت. وبعد ظهور الاسلام نمت العلاقات العربية الهندية نموا كثيرا، وربما اكبر مساهمة من العرب فى تطوير الهند بل فى تطوير العالم حقا هو حمل رسالة الاسلام. إن تأكيد الاسلام لوحدانية الله تعالى وايمانه بالعلاقات الاخوية بين الانسان خلق تطورا جديدا للديمقراطية فى المجتمع الانسانى. إن تأثير الاسلام فى الحياة والمجتمع الهندى لواضح وضوحا تاما فى جميع نواحيها. فى الحقيقة لما كانت الهند على ماهى عليه اليوم لولم يكن الاسلام.

وبعد ذلك جاءت فترة الانعزال بين الهند والعالم العربى نتيجة ظهور الاستعمار الغربى فى آسيا. ومع ذلك تحرك بعض العلماء بين الهند والبلاد العربية، واستمرت التجارة أيضا على نطاق ضيق ولكنه نقل

المبادلة وتبادل الآراء انخفض الى حد كبير . وكان ذلك من احدى التناقضات في هذا العصر أن قامت الاتصالات بين الجيران الاسيوية والافريقية عن طريق وسيط اوربي . وكانت هذه الحالة غير طبيعي وما كان من الممكن أن يقدر لها البقاء والدوام ، وبظهور الاستنكار والكراهية ضد النفوذ الاجنبي ، ونشوء فكرة ضد الاستعمار استأنفت من جديد العلاقات والاتصالات بين العالم العربي والهند حيث أن قوى النهضة والاستنارة اخذت تنمو وتتطور ، أعيدت الروابط الثقافية فى العقد الاخير من القرن التاسع عشر .

وإن الزعماء مثل جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده حاولوا احياء العلاقات على أساس الثقافة والدين . وفى بداية القرن الحالى سافر مولانا ابو الكلام آزاد فى مختلف البلاد العربية وتأثر بنهضتهم القومية الناشئة . واصبح رابندرانات طاغور رمزا للنهضة الشرقية فى العقد الثانى من هذا القرن فى كل من الهند والبلاد العربية . ونمت العلاقات وتوطدت تدريجيا بين القوميين الهنود والعرب . واصبح سعد زغلول بطلا مثل ما اصبح المهاتما غاندى رمزا للقوميين الهنود والعرب . وفى سنة ١٩٢٨ ، اصدر حزب المؤتمر الهندى قرارا يبين عطف الهند الكامل على نضال العرب وكفاحهم للحصول على الاستقلال السياسى . أما العرب فقد عبروا بدورهم تضامنهم مع كفاح الهند القومى وزار وفد عربى الهند فى ١٩٣٩ بناء على دعوة من حزب المؤتمر الهندى .

وفى ضوء كل ذلك ، كان من الطبيعى ان تبعث الصداقة الهندية العربية بعد أن حصلت الهند والبلاد العربية على استقلالها . ان الهند كانت

الاستقلال فى ١٩٤٧ ، وواجهت بعد ذلك مباشرة محنة التقسيم . ومشكلة اللاجئين هددت كيانها . وان العرب أيضا كانوا قد سبق أن واجهوا تحديا مماثلا فى فلسطين ونالوا عطف الهند وتأييدها فى ساعة محنتهم . وفى ١٩٣٧ أدان حزب المؤتمر الهندي مشروع تقسيم فلسطين والنشاط الاستعمارى ضد عرب فلسطين . وإن مشكلة التقسيم واللاجئين قد ازدادت حدة فى ١٩٤٨ ، وأعرب جواهر لال نهرو عطف الهند العميق على محنة العرب فى فلسطين .

ان الهند تعرف أن مشاكلها ليست الا ميراثا مشئوما من التسلط الاستعمارى ، وان العرب أيضا قاسوا من التخريب الاستعمارى . وهكذا تشاطر الهند والبلاد العربية شيئا مشتركا وهو أن الاستعمار لهو خطر عظيم لتنمية ورقى البلاد الحديثة الاستقلال فى كل مكان وكلاهما يعرف أن التنمية والرقى لايمكن الحصول عليهما مالم يتم ازالة جميع آثار الاحتلال الاستعمارى من العالم .

فى الحقيقة كان هذا كفاحهم المشترك ضد قوى الاستعمار ، الذى أدى الى انشاء روابط الصداقة الهندية العربية فى العصر الحديث . ان الهند فى العصور العتيقة ، وكذلك أيام المغول كانت من احدى مناطق العالم المتقدمة والمزدهرة . وان البلاد العربية فى الفترة ما بين القرن الثامن والسادس عشر كانت متقدمة وراقية اكثر بكثير مما كانت عليه أوربا من التقدم العلمى والازدهار المادى . وكلتا المنطقتين فقدت مكانتهما الاولى عند ما أقامت الدول الاوربية السيطرة السياسية ثم الاقتصادية . وكل من الهند والبلاد العربية ، بعد الحصول على الاستقلال ، يسعيان للوصول الى مستوى العيش الذى تتمتع به الدول الغربية . ان الشعوب والحكومات فى كل من البلدين

ليعتبر ان هذا لا يمكن إلا اذا وجهت جميع مصادرها الى الاغراض السلبية، وإن الحرب والخلافات الداخلية من أ كبر الاعداء لرقيهما. ولاحل ذلك، ان الهند والبلاد العربية تقفان ضدا الحرب والعنف لتسوية جميع المشاكل القومية والدولية، كما أنهما تتحسان الخلافات العنصرية وحرب الطبقات. إن الهند والبلاد العربية ضد الاستعمار. ضد الامبريالية، وضد الحرب منذ فجر استقلالها.

ان جواهر لال نهرو كان اول من ادرك بحتمية مجموعة غير منحازة من دول العالم، اذا اريد حديا التجنب من الحرب العالمية الثالثة. وفى مرحلة قد حدث سوء تفاهم كبير من جانب دول العالم الكبرى فى سياسته اللاانحيازية. ولكن لم يلبث أن أدرك كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتى ان سياسة اللاانحياز هى فى صالحهما انفسهما قبل أن تخدم مصالح الاخرين. وقد تعاونت البلاد العربية منذ البداية فى تنمية فلسفة عدم الانحياز، وأعطت تأييدها النهرو ولقد برز الرئيس عبد الناصر كزعيم دولى عند ما ساهم فى مؤتمر باندونج الذى يعتبر نقطة انطلاق لدعوة سياسة عدم الانحياز فى البلاد الاسيوية الافريقية

ان الهند والبلاد العربية قد اتبعت سياسة التطوير الصناعى والنهضة العلمية لاجل ازالة الفقر والقضاء على البطالة ولتحسين ظروف شعوبهم الاقتصادية. انهما اعترفت بوجوب توزيع الثروة توزيعا سوياً بجانب الانتاج الصناعى الكثير حيث لاجدوى للديمقراطية السياسية دون أن تكون هناك ديمقراطية اجتماعية واقتصادية. ولذلك فقد وضعت الهند والبلاد العربية نصب اعينهما هدفا اشتراكيا يستعان الوصول اليه بغير

أن يكون هناك تناقض طبقى أو استخدام القوة . وهكذا فان الاهداف السياسية للهند والبلاد العربية مشتركة ومتشابهة الى حد كبير . ولقد دعمت الروابط الثقافية والاقتصادية المتزايدة اتجاهها المشترك . وهناك علاقات تجارية تزداد مستمرا بين الهند والبلاد العربية . وتستهلك الهند معظم المنتجات البترولية التى تنتجها البلاد العربية ، كما أنها تستورد القطن الخام من الجمهورية العربية المتحدة والسودان ، وتصدر اليهما بدل ذلك الشاى .

ان البلاد العربية هى اكبر مصدر لتزويد الهند بالفوسفات الصخرية ، التى لاغنى عنها للهند فى برامجها الزراعية وبالتالى تستورد البلاد العربية من الهند منتجات الجوت ، والمصنوعات الهندسية الخفيفة وبعض الانواع الخاصة من القماش . ان التجارة بين الهند والبلاد العربية على نطاق واسع ولازالت فى ازدياد مستمر

أما العلاقات الثقافية فهى قديمة جدا وتمتد عبر العصور . واليوم تدعمت هذه العلاقات بالروابط السياسية والاقتصادية . ان الهند اول بلد فى العالم الذى منح الجامعة العربية صفة دبلوماسية . كما أن للهند اتفاقيات تجارية ثنائية مع جميع البلاد العربية تقريباً . والعلم أيضا يلعب دورا هاما فى تنمية وتدعيم روابط الصداقة بين الهند والبلاد العربية . وهكذا تلعب الهند والبلاد العربية بتعاونهم دورا ممتازا فى تقدم السلام ورفاهية الانسان .

تعريب : الاستاذ صبح الدين العطوى

حضرت عمر کے سرکاری خطوط

(رسائل عمر الرسمية)

تأليف : الدكتور خورشيد احمد فارق . ٤٣٢ صفحة ، قطع متوسط — طبعة ثانية — الثمن : ثمانى روبيات .

أخرجت مكتبة ندوة المصنفين بدلهى التى قدمت لنا من قبل دراسات تاريخية وكتبا اسلامية فى مختلف المواضيع ، طبعة جديدة من كتاب « حضرت عمر کے سرکاری خطوط » باللغة الاوردية .

ومؤلف الكتاب شخصية معروفة فى الاوساط العلمية فهو الى جانب عمله بجامعة دلهى كرئيس لقسمى العربية والفارسية معروف بجهده الكبير فى اعمال البحث والدراسة وانهماكه فى الشئون العلمية .

والكتاب مجموعة من رسائل بعث بها الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى الولاة ورؤساء الجيش وأمرائه فى مختلف جبهات الجهاد ، يصدر لهم فيها الاوامر والوصايا ويزودهم بالنصائح والاحكام التى تكشف عن عبقريته وثاقب نظره .

ولا يخفى على اهل العلم وباحثى تاريخ الاسلام والمعنيين بالنظام الاسلامى ما لهذه الرسائل من قيمة فريدة . . ونظرا لاهمية هذه « الوثائق الاسلامية » لو اكتفى المولف بجمع هذه الرسائل وتتبعها من شتى مصادرها ، وقام بنشرها بشكل مجموعة مصححة تكاد تستوعب كافة الرسائل التاريخية ذات أهمية البالغة ، لكان جهده مشكورا .

ولكنه لم يكتف بذلك فقد بذل مجهودا كبيرا فى جمع هذه الرسائل واستقصائها من بطون امهات الكتب، وتناولها بالمراجعة والتصحيح والترجمة، وكل رسالة من هذه الرسائل يتصدرها تمهيد من المؤلف الذى يستعرض فيه بعض الظروف والملابسات التى احاطت بكتابة الرسالة، ويشير الى ما يجب اليه الاشارة لفهم نص الرسالة ومحتوياتها، واثبت فيه حواشى مفيدة كثيرة حيثما رأى الحاجة الى ذلك معولا على المصادر العربية الاسلامية الموثوقة. وبهذه المزايا اصبح الكتاب دراسة تاريخية واعية ذات فائدة عظيمة.

وظهرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب لاول مرة فى سنة ١٩٥٩ ثم ظهرت الطبعة الثانية سنة ١٩٦٥، وادخل عليها المؤلف بعض التغييرات البسيطة، وفى نية المولف ان يدخل على الكتاب تغييرات شاملة ويضيف إليه موادا جديدة وذلك عند ظهور الطبعة الثالثة.

ويحتوى الكتاب على ٤٢٥ رسالة. ولم تنشر النصوص العربية لهذه الرسائل وفق هذا الكتاب وانما اكتفى بترجماتها. وقد نشرت النصوص العربية للرسائل على حدة بصورة كتاب مستقل ليتمكن القارئ مراجعتها اذا أراد. ونرى من واجبنا هنا ان نشير الى ان طباعة هذه الرسائل رديئة لا تليق باهمية الرسائل.

ولا شك ان المصنف يستحق كل شكر وتقدير من الاوساط العلمية على هذه المأثرة الجليلة التى اضاف بها تحفة علمية قيمة الى المكتبة الاسلامية.

الانباء الثقافية

لقد استضاف المجلس المستر جان مامو ، عمدة مدينة مومباسا — كينيا — لمدة ثلاثة أسابيع وزار المستر مامو خلال هذه الفترة مدن الهند الرئيسية بومبائى . بنجالور ، ميسور ، مدراس ، احمد آباد ، دلهى ، وديانا جار ، الند ، برودا ، دلهى ، آجره ، تشانديجره ، ونانجال

° ° °

ان المستر جورج طومسون ، مدير مركز الدراسة السياسية فى سنغافورة ، كان ضيفا على المجلس خلال اقامته فى الهند لمدة أربعة ايام . وزار مدينتى دلهى وآجره

° ° °

لقد استقبل المجلس وفدا من سيكيم ، وهو يشتمل على عشرة من الاداريين مع ضابط اتصال ان الوفد فى خلال زيارته الودية للهند ، يزور مدن دلهى ، تشاندى جره ، بومبائى ، بونا ، بنجالور ، مدراس ، كالكتا ، كما انه يدرس مختلف المشاريع الصناعية والزراعية .

° ° °

واستقبل المجلس وفدا افغانيا يشتمل على اثنى عشر فنان من اذاعة افغانستان . بالاضافة الى دلهى زار الوفد كلا من بهوبال وحيدرآباد ، وبومبائى ولكهناو وآجره وعرض الفن فى جميع هذه المدن .

° ° °

ولقد بعث المجلس بوفد ثقافى متكون من احد عشر عضوا الى كاتهماندو، عاصمة نيبال، وذلك بمناسبة احتفالات عيد الجمهورية الهندية. والوفد اشتمل على دميتى جوش (راقص كتهك) ومحمود مرزاء (الموسيقار) والاستاذ نذير حسين خان والفرقة. والوفد مكث فى كاتهمندو ثمانية أيام.

* * *

واقد ساعد المجلس مجموعة الطلاب البوتانيين فى زيارتهم لدلهى وآجره.

* * *

لقد وصلت الانسة كورا من يوجوسلافيا الهند فى الخامس من شهر يناير ١٩٦٨، والتحقت بجامعة دلهى كمحاضرة فى اللغات السبرو كورياشين (Sebro - Croatian) وذلك طبق الاتفاقية الثقافية الهندية اليوجوسلافية.

* * *

وقد اعطى المجلس منحة علمية للآنسة ك. جوناتيلا (سيلان) لمدة سنتين وذلك لمعرفة الرقص الكاتهاكالى فى كالا كيشترا مدراس.

* * *

لقد نظم المجلس معرضا «كتب عن اسبانيا» ولستمر المعرض لمدة اسبوع ابتداء من ١٧ يناير ١٩٦٨ فى آزاد بهون.

* * *

ولقد اقام المجلس حفلة استقبال رائعة على شرف الوفد الطلابى الكويتى المتكون من عشرة اعضاء، والوفد كان فى زيارة الهند بناء على

بدعوة من جمعية الصداقة الهندية الكرينية . واقيم الحفل فى دار الطلبة الاجانب ببرلين فى ٢٢ يناير ١٩٦٨ .

• • •

قد أرسلت الكتب الى بريطانيا ، بلجيكا ، الكويت ، تايلندا ، وجزر الهند الغربية للتقديم الى مختلف المعاهد فى تلك البلاد .

كما ارسل المجلس الادوات الموسيقية للتقديم الى المعاهد الموسيقية فى ألمانيا الغربية ، والأرجنتين والكونغو .

أوروفيل — مدينة الفجر

لقد احتفل رسميا يوم ٢٨ فبراير ١٩٦٨ بوضع حجر الاساس فى بناء مدينة أوروفيل الثقافية الدولية الجديدة بولاية مدراس على بعد ثلاثة اميال من مدينة بونديتشيري . وقد حضر الاحتفال ضيوف من جميع انحاء العالم .

واشترك شباب عدة دول اشتراكا عمليا فى حفلات افتتاح مدينة المستقبل هذه . وقد جاء فتى وفتاة من كل بلد أو إقليم من جميع انحاء العالم بحفنة من تربة هذه المناطق لتختلط بتربة البلاد الاخرى فى حجر الاساس كرمز لوحدة العالم ، وقام بتصميم حجر الاساس صغار الطلبة فى مركز الدولى للتعليم التابع لصومعة سرى أوروبندو فى بونديتشيري .

وذكر سرى نافاجاتا السكرتير العام لجمعية سرى اوروبندو التى ترعى هذا المشروع والتى لها تسعون فرعا ومركزا فى الهند والخارج تفاصيل مشروع المدينة الجديدة فى مؤتمر صحفى ونوه بان أوروفيل باتت موافقة الحكومة الهندية وتزكية منظمة اليونيسكو الاجتماعية التى وصفت المشروع بانه معالجة واقعية مثبتة للفهم الدولى للسلام والوحدة فى المستقبل .

وستتخذ المدينة شكلها خلال الخمسة عشر او العشرين عاما القادمة وتستطيع حكومات ومنظمات وافراد العالم المشاركة فيها، وقد صممت فعلا بحيث تضم خمسين الف شخص يقيمون فيها ايمانا منهم بوحدة البشرية. ورغبة منهم فى التعاون فى تحقيق هذه الوحدة.

معلومات عن المشروع

ان بناء مدينة ثقافية دولية نموذجية لهو تجربة فريدة فى التعاون الدولى وهو يمضى قدما فى حيز التنفيذ.

الاسم

«مدينة الفجر»، وقد اطلق تكريما لسرى أوروبندو استاذ اليوجا التكاملية العظيم الراحل والشاعر والكاتب، الذى يحتفل بعيد ميلاده المئوى فى عام ١٩٧٢.

البداية

أوحى بهذا المشروع حلم رأته الام المحترم رئيسة صومعة سرى اوروبندو فى بونديشيرى. وهو مركز دولى ملحوظ. فقد حدث فى عام ١٩١٢ أن كانت الام سيدة شابة تعيش فى فرنسا فتنبأت بنشأة هذه المدينة النموذجية الجديدة، «والتى بدأت الآن تتخذ شكلا محسوسا حول دوافع مثالية بينما تطابق المثل العليا الفنية الواقعية.

الغرض

قالت الام: «ان مدينة الفجر تريد ان تكون مدينة عالمية حيث يستطيع الرجال والنساء من جميع العالم ان يعيشوا فى سلام وتوافق تقدمى

مع كل العقائد وكل السياسيات وكل القوميات . ان الغرض من مدينة الفجر هو تحقيق الوحدة الانسانية .

حلم

يجب أن يكون فى مكان ما على هذه الارض مكان لاتستطيع امة ان تزعم انه لها وحدها مكان يستطيع الكل ان يعيشوا فيه بحرية كمواطنين عالميين يطيعون سلطة واحدة هى سلطة الحقيقة العليا، مكان للسلام والاتفاق والتوافق حيث يمكن استخدام جميع النظم الانسانية المتعارضة فى غرض واحد والخدمة والتنظيم . وستقدم احتياجات الجسم على قدم المساواة لكل واحد وسيجد التفوق العقلى والاخلاقى والروحى فى التنظيم العام التعبير عنه لا فى التعجيل لتحقيق متع الحياة وقد رأتها بل فى زيادة الواجبات والمسئوليات . وسيكون الجمال الفنى بجميع اشكاله من حيث التصوير والنحت والموسيقى والادب ميسورا للجميع وفرص الاشتراك فى المباهج التى تتيحها لا يحد ذلك سوى طاقة كل واحد لامركزه الاجتماعى أو المالى . لان المال فى هذا المكان المثالى ليس السيد الحاكم . ستكون للقيمة الفردية أهمية اكبر من القيمة التى مردها الثروة المادية والمركز الاجتماعى .

THAQĀFATU'L-HIND

Vol. XIX | April 1968 | No. 2

Editor:

S. Taiyebali Lokhandwalla

CONTENTS

ثقافة الهند

مجلة علمية ثقافية

المجلد التاسع عشر
العدد الثالث
يوليو ١٩٦٨

مجلس الهند للروابط الثقافية

الرئيس : الدكتور ج . ن . كهوسلا

يهدف المجلس – كما ينص دستوره – إلى إنشاء وإحياء وتعزيز الروابط الثقافية بين الهند والبلاد الأخرى بالوسائل التالية :

(١) التوسع في معرفة وتقدير لغاتها وآدابها وفنونها

(٢) إنشاء الروابط الوثيقة بين الجامعات والمعاهد الثقافية

(٣) اتخاذ جميع التدابير الأخرى لتنمية الروابط الثقافية

مجلة فصلية ثقافية
يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية مرة كل ثلاثة أشهر
يناير – ابريل
يوليو – اكتوبر

بدل الاشتراك عن سنة (ويدفع مقدما بحوالات أو شيكات) : في الهند عشر روبيات في الخارج عشرون شلنا . ثمن العدد في الهند روبيتان ونصف . في الخارج خمس شلنات

المراسلات : باسم سكرتير المجلس اذا كانت تتعلق بارسال المجلة أو بدل الاشتراك . وباسم رئيس التحرير : اذا كانت تتعلق باستعراض الكتب أو مادة المجلات .

ثقافة الهند

رئيس التحرير
شمعون طيب على لوكهندوالا

محتويات العدد

الروح العظيم

(مسرحية)

(الفصل الثانى)

« المنظر غرفة فى احد السجون : المركزية فى الهند . . يبدو المهاتما غاندى وهو يغزل فى ركن من اركان الغرفة . . « يتوقف عن الغزل هنيهة ثم يردد » .

غاندى — لا أريد لدارى أن تكون محاطة بالاسوار ، ولا لنوافذى أن تكون مغلقة . انى أريد أن ترتع جميع ثقافات الارض فى دارى بكل حرية . ولكنى ارفض أن تقتلع جذورى وأرفض أن اعيش فى دور الآخرين كطفيلى ، او سائل او عبد .

« تدخل ساروجينى نايدو فيرحب بها المهاتما قائلا » .

غاندى — اهلا بشاعرتنا الكبيرة وخطيبتنا المفوهة .

ساروجينى — بل اهلا بك أنت يا زعيمنا الروحى وقائدنا العظيم ، يا من تحملت الالآم والاوصاب فى سبيل هذا الشعب المكافح للتخلص من نير الاستعمار وربقة الاحتلال .

غاندى — كيف اصبحت هذا اليوم ؟

ساروجينى — لا يسعنى الا ان اتوجه بالشكر للخالق العظيم ، فالق الاصباح ، على كل حال .

غاندى — وحسنا تفعلين ، لأن ما من شئ يقع الا باذن الله .

ساروجينى — أجل . . ويتحدثون عن الصفاء الروحى والنفس المشرحة ، وهذه الاشياء كلها على ما اعتقدتم عند ما يتجرد الانسان عن انانيته ويسمو بروحه فوق عوالم المادة وحب الذات .

فاندى — ان وجود العالم الحقيقى فى معناه الواسع مرتبط بالدين ، وجميع المحاولات لانتزاع جدور الدين مصيرها الفشل .

ساروجينى — يا زعيمى . هل لى أن أسأل الى م ستظل صائما ؟

فاندى — حتى تكف الحكومة عن اجراء امتحانات منفصلة للمنبوذين .

ساروجينى — ولكن ذلك قد يرهق جسدك ويضنى روحك .

فاندى — بالعكس . . لقد كنت تتحدثين عن صفاء الروح وانشراح النفس ، ألا فاعلمى أن الصيام يصل بك الى هذه النتيجة

ساروجينى — هل جرى اعتقالك لمجرد اعلان الصيام ؟

فاندى — كلا ، وانما نتيجة قيام بعض الاشخاص برفع العلم الهندى امامهم وتقدمهم فى الطريق الى احمداباد ، هاتفين بالاناشيد الوطنية التى تتغنى بجمال الهند وروعة جبالها وانهارها . وانضم الى هذه الزمرة جماعة اخرى ، ثم حضر رجال الشرطة وفرقوا المتظاهرين .

ساروجينى — ، مرددة ، واقدمت الشرطة بعد ذلك على اعتقالكم .

فاندى — تماما ، ولكنهم يجهلون أن الشعب بأسره معبأ للمقاومة .

ساروجينى — اما انا فقد جرى اعتقالى بتهمة مرافقتك اثناء رياضة الصباح .

فاندى — يا الهى ، هل غدت الرياضة جريمة ايضا فى نظر حكومة الاحتلال ؟

، مجلس ساروجينى . . تدخل اندرانى وهى فتاة فى ريعان الصبا وترتدى السارى الاحمر وبيدها مغزل ، قائلة ، .

اندرانى — اسعد الله صباحك يا زعيمى الملهم .

غاندى — اهلا وسهلا بابنة الهند الجريئة .

ثم الى ساروجينى « اتدرين ان اندرانى قادت مظاهرة نسائية ؟ »

ساروجينى — بارك الله فيها وفى نساء الهند جميعا . هكذا التضحية والا فلا .

« تعانق اندرانى . »

اندرانى — « متوقفة عن الغزل » لعل اسخف ما سمعته من معارضى فكرتك ايها الزعيم ان عملك من اجل المنبوذين ما هو الا خدعة سياسية

غاندى — ليقولوا ما يحلولهم أن يقولوا فالنتيجة وحدها هى التى تبين طريق الخطأ من طريق الصواب .

اندرانى — سر ايها الزعيم وانا على آثارك ، ولن تتوقف حتى تحقق للهند حريتها واستقلالها .

غاندى — من جهتى . لقد اعتدت على حياة السجون ، فليست هذه هى المرة الاولى ولن تكون الاخيرة . واذكر انى اوقفت مرة بتهمة خرق القانون ، واودعت السجن . وقد وجه حاكم الصلح الى بعض الاسئلة منها : ما هى مهنتك فقلت غازل وناسج ومزارع وقال اين تقيم قلت : فى سجن يرافدا المركزى .

« ضحك .. يدخل احد رجال الشرطة وهو ممسك بقريشى بهائى من يده ثم يتركه وينصرف » .

غاندى — اهلا بالوافد الجديد .

قريشى بهائى — لن يضيرنا ذلك .. سنظل نتحدى الحكومة الامبراطورية حتى ترحل عن بلادنا .

فندى — ما هى التهمة الموجهة اليك ؟

ريشى بهائى — لقد اشتركت فى حركة اللاعنف والقيت خطابا .

فاندى — القيت خطابا ؟ وماذا قلت فيه ؟

قريشى بهائى — ايها الاخوة والاخوات . اننا كلنا سواء كنا من رجال الشرطة او رجال حزب المؤتمر او غيرهم ، واذا ننتمى الى ارض واحدة وبلاد واحدة . وينبغى ان نتحد فى العمل من اجل رفاه بلادنا . لذلك فدعونا نتذكر انه من الواجب علينا ان نشترى بقدر المستطاع السلع المصنوعة فى بلادنا . صحيح اننا لم نصل بعد لحريتنا وهناك الكثير من افراد الشعب فى السجون بسبب كفاحهم ضد الاحتلال مع ذلك فسوف نحقق سواراج (١) اذا نحن تمسكنا بطريق اللاعنف . وكلكم تعرفون لماذا دعونا الى الاجتماع هذا المساء . لقد ابلغ بعضنا بوجوب مغادرة المدينة خلال ٢٤ ساعة . وهناك غيرنا ممن منعوا من مخاطبة الجماهير ونحن قبلنا التحدى ، ولهذا السبب فانا بينكم الآن فى هذا الاجتماع ، وانا راض بتحمل النتائج مهما كانت .

فاندى — « فرحا » ثم ماذا ؟

قريشى بهائى — ثم استدرت الى مفتش الشرطة وقلت « والآن يا صديقى لقد انهيت خطابى وجاء دورك لتمد مهمتك فى توقيفى » .

فاندى — بديع جدا .

---

(١) الحكم الذاتى .

قريشى بهائى — على ان الشرطة استخدمت اقسى انواع القمع وكالت الضرب الوحشى للمتظاهرين .

غاندى — بارك الله فى شباب الهند الذين هم مدعاة للفخر .

قريشى بهائى — ولقد اعتقل عدد كبير من الاشخاص اجاب معظمهم عند ما سئلوا عن عملهم اجابوا بانفة : الخدمة الوطنية .

« هنا يدخل احد رجال الشرطة قائلا » .

شرطى — سيدى . . الدكتور ستانلى جونز يريد مقابلتكم .

غاندى — فليتفضل .

« يدخل ستانلى جونز فيعانقه غاندى ويقول ستانلى

ستانلى — لقد عدت للتو من رحلة الى امريكا وروسيا وما ان علمت بنبأ توقيفكم حتى حضرت لزيارتكم .

غاندى — اهلا وسهلا .

ستانلى — لقد كان فى خاطرى بعض من الاسئلة ولكنى أرى ان الوقت غير ملائم لطرحها .

غاندى — على العكس تماما . . تفضل .

ساروجينى واندرانى — نستأذن نحن بالانصراف .

غاندى — كما تشاءان .

« تنصرفان »

ستانلى — هل لى ان أسأل عن مشروع الصناعات فى القرية ومن رأيكم فى التصنيع الحديث ؟

ى ــ لقد اعجبت دائما بمخترعات الغرب . ورغم انى لا احبذ فكرة استبدال اقتصادنا الريفى الهندى بالآلة الكبيرة ، الا انى ارحب بأية تحسينات بسيطة فى العدد والآلات ، لانى لا اريد ان يكون الانسان عبدا للآلة .

ستانلى ــ لقد اعجبتنى الحركة الروسية ، ولقد شعرت انها تحد كبير للمسيحية .

ندى ــ « صمت » .

ستانلى ــ « مغيرا مجرى الحديث » هل تعتقد أن البانديت جواهر لال نهرو سيبقى مخلصا لحركة اللاعنف . خصوصا وانك ، لم تعد فى حزب المؤتمر ؟

غاندى ــ ليس لدى شك مطلقا فى انه سيظل مخلصا . واعتقد ان حزب المؤتمر ككل سيكون الى حد كبير مع اللاعنف . ومع ان البانديت نهرو لا يؤمن بالمذاهب والاديان ، لأنها كما يقول تقف فى طريق الاشياء غير الروحية ، الا انى متأكد من انه مؤمن حقا باللاعنف .

ستانلى ــ فى مؤتمر للمائدة المستديرة اقمته مؤخرا للطلبة الهنود ، سمعت بعضهم يقول غاندى يريد المساواة الدينية لمختلف الطوائف ، بينما يبتغى الدكتور امبدكار المساواة الاجتماعية أما البانديت نهرو فيسعى لتحقيق المساواة الاقتصادية . والرئيس نفسه ، وهو طالب . ذكران المهاتما غاندى فى مطالبته بالمساواة الدينية كان فى الحقيقة يطالب بالثلاثة . فهل انتم موافقون على ذلك ؟

غاندى — بالطبع ، اذا لم تشمل المساواة الدينية المطلبين الآخرين ، فانها دعوة مزيفة صورية .

ستانلى — يبدولى وكأنه موقف غير موفق فى الوقت الحاضر ، حيث أن الكثيرين من المسيحيين الهنود يتخذون موقفا طائفيا ويحاولون ان يكسبوا من الخبز والسمك السياسى بقدر الامكان . وبعضنا يشعران هذه قوة انحرافية وضد المسيحية . هل توافق معى ان حركة دينية واجتماعية كالمسيحية ينبغى الا تحاول تحقيق اوضاع منفصلة ؟

غاندى — نعم اوافق من كل قلبى ؟

ستانلى — حسنا ، الآن لو فرضنا اننا استطعنا ان نقنع المسيحيين الهنود بأن يكفوا عن اعتبار انفسهم طائفة منفصلة وأن نسمح لجدول الثقافة الهندية ان يفيض بينهم ، فهل تظن ان الهندوس ، من جانبهم سيسمحون للمسيحيين أن يبقوا فى الاسرة ، وأنهم لن يقوموا بأى تصدع من جانبهم ؟

غاندى — انت تعنى انه على فرض ان ابنى يرغب فى أن يصبح مسيحيا فهل اظل اعتبره كعضو محترم فى اسرتى ؟ بالطبع سأظل كذلك ولكن حالما يبدأ فى جلب زجاجات الويسكى واللحوم والملابس الاجنبية ، فسأشعر بالرغبة فى طرده من البيت .

« ينهض ستانلى للانصراف ويودع المهاتما قائلا » .

ستانلى — اشكركم كل الشكر على هذه المعلومات القيمة التى جلت بعض الحقائق التى كانت تبدو غامضة .

غاندى — انى ارحب بكم وبامثالكم كل الترحيب .

« يخرج ستانلى .. يدخل الشرطى قائلا »

الشرطى — السيدة مارى هدس مندوبة احدى الصحف البريطانية ترغب فى اجراء مقابلة معكم .

غاندى — الا تستطيع ارجاء الموعد الى الغد . اذ انى متعب الآن واحتاج الى الراحة .

الشرطى — لقد اصرت على هذه المقابلة اليوم

غاندى — اذن دعها تدخل

« يخرج الشرطى . فترة صمت . تدخل السيدة مارى فتصافح المهاتما وتجلس وهى تقول »

مارى — عفوا ، إذا كنت قد سببت لك بعض الازعاج . ولكننى وعدت قراء صحيفتى بتقرير عن مقابلتى معكم .

غاندى — لا بأس تفضلى .

مارى — هل تعتقد بأن ارشادك يأتى من المنطق الواعى أم من الله ؟

غاندى — من الله ، ولكن قد يكون المنطق الواعى هو صوت الله . وغالبا بعد رؤية السبيل الذى اسلكه اجد نوعى السبب الذى من اجله اعتقد انه هو السبيل الافضل .

مارى — اذن هل يؤدى العمل بموجب الضمير الى تجارب غامضة ؟

غاندى — يمكن او لا يمكن .. ولكن شيئا واحدا فقط هو محتم . ان الوداعة التى تشعر بأنها لا شئ تجاه الخالق هى ضرورة للتجارب

الغامضة وعلى كل فبالنسبة لى فان اتباع الضمير يعنى اتباع قوة حية .

ماري — كيف تفهم ما هو الهام الله لك عند ما تكون المسألة متعلقة باختيار بين شيئين كلاهما جيد ؟

غاندي — فى هذه الحالة استخدم ذهنى واذا لم امتلك شعورا قويا حول أى من الامرين اختاره فانى اترك المسألة واستسلم للرقاد . وعلى الفور استيقظ ذات صباح وانا متأكد تماما من أن (أ) هو الاصح وليس (ب) وبالطبع يجب أن يكون الانسان متواضعا بحيث يتقدم الى الموضع الذى يقوده اليه القرار ، حتى ولو كان كان معنى ذلك مجابهة المصاعب والمعاناة .

ماري — أليس من الضرورى أن نحيا حياة انضباطية لكى نتقبل مثل هذه التأكيدات حول ما يجب وما لا يجب عمله ؟

غاندي — طبعا ، فان ذهن المرء يجب ان يتعود على خمسة مبادئ ضرورية هى الحب ، الحقيقة ، الصفاء ، عدم التملك وعدم الخوف .

ماري — هل هذه تشمل ايضا الانضباط الجسمانى مثل الصيام ؟

غاندي — اذا اتبعت المبادئ الخمسة المار ذكرها ستجدين ان الانضباط الجسمانى يتبع ذلك آليا . يجب ان تقرأى كتاب (راجايوغ) لسوامى فيفيكاناندا حول هذا الموضوع .

« هنا يدخل ناير قائلا : »

ناير — عفوا يا سيدى . . عفوا ايتها السيدة .

ماري — لا بأس . . لا بأس ، تكلم .

نايو — « الى المهاتما ، سيد الزعيم ، لقد تبرع السيد مينون بمبلغ كبير من المال لمصلحة صندوق عموم الهند للصناعات الريفية .

غاندى — « تنبسط اساريره ، حقا . ان هذا لعمل عظيم « يخرج نايو ويستأنف غاندى حديثه »

غاندى — على الداعين الى اللاعنف ينبغى ان نكسب الغنى لنقدم للفقير خدماتنا الطوعية . كما يجب ان نظهر الرضى والقناعة والسعادة فى مركز هو اقل مما نطمح اليه

مارى — وما هو علاجك لهذه الحال ؟

غاندى — اننى اقوم بكافة الاعمال · الصناعات الريفية ، الغزل ، تقديم يد العون الى عيال الله . الخ .

مارى — من اى المصادر حصلت على تصورك حول الله ؟

غاندى — من طفولتى ، متذاكرا زيارات والدتى المستمرة الى المعبد . وفى بعض الاحيان كانت تقوم بذلك اربع او خمس مرات فى اليوم الواحد . هذا بالاضافة الى الممرضة التى علمتنى ان اردد اسم الله اذا ما شعرت بالخوف .

مارى — أليست تجاربك الخاصة مصدرا لتصوراتك ايضا ؟

غاندى — نعم ولكنها لم تبدأ حتى وقت متأخر فى جنوبى افريقيا . وقبل ذلك امضيت فترة من الشك وذلك حين بدأت ادرس الاسلام والمسيحية .

مارى — الى اى حد لونت هاتان العقيدتان تصورك حول الله ؟

غاندى — بدأت باجحاف بدراسة المسيحية ، لأنها فى شبابى كانت تعنى الخمر وتناول اللحم وارتداء الملابس الغربية. ولم يكن هذا الاجحاف واردا بالنسبة للاسلام. وعند ما التقيت فيما بعد باناس مسيحيين ظرفاء، تلاشى هذا الاجحاف، ولسنة كاملة بعد ذلك درست الكتب المسيحية، وتشربت المسيحية عموما. وكان العديد من اصدقائى يرجوننى ان اصبح مسيحيا، على اننى فى النهاية شعرت بعدم استطاعتى ذلك لأننى أومن بيسوع التاريخى.

مارى — اعرف بعض الناس الذين يتمنون بل ويصلون من أجل أن تصبح مسيحيا.

غاندى — « ضاحكا » هناك الكثير منهم

مارى — انتظر حتى تعلم السبب انهم يشعرون بأنك تستطيع أن تعطى اصدق ترجمة للمسيحية من اى شخص آخر فى العالم.

غاندى — هناك آخرون يشعرون بهذا ايضا ، ولكن اذا كانت رغبتهم ان اقول ان المسيحية هى الدين الصادق الوحيد فانى لا استطيع ذلك استطيع بصدق ان اقول ان المسيحية دين حقيقى.

مارى — ما الذى تعطيه مساهمة من المسيحية والاسلام والهندوسية بالنسبة للعالم ؟

غاندى — اظن أن المساهمة الخاصة للمسيحية هى المحبة الحية ، اذ انه لادين آخر يؤكد على ان الله محبة . والعهد الجديد (الانجيل) مليئ بهذه الكلمة . وعلى كل حال فان المسيحيين ككل قد انكروا هذا

المبدأ بحروبهم . اما اهميتها[1] فى الهندوسية فانها شق سلبى اكثر من محبة المسيحية الحية . ان اكبر مساهمة للهندوسية تكمن فى الاعتراف بوحدة الوجود . وكالمسيحية ، فان الهندوسية لم تعش تعاليمها . ولو ان احداهما قامت بذلك لما كانت هناك حاجة الى الاسلام . لأن ما هو حسن فى احد الاديان لقسم من العالم الذى ظهر فيه ذلك الدين هو بالتأكيد حسن لباقى العالم ككل . اما مساهمة الاسلام فكانت اخوة كل الرجال . ولكن هذه الفكرة اصبحت فيما بعد محصورة فى الاخوة الاسلامية وهكذا فان المسلمين ايضا لم يعيشوا تعاليم دينهم تماما

ماري — قلت مرة ان فكرة يسوع كابن الله كانت تصورا غامضا ، فهل تتكرم بالتوسع فى هذا ؟

فاندى — اعتقد ان يسوعا كان رجلا ولد بطريقة طبيعية وان الناس وقد رأوا الاشياء المذهلة التى قام بها نسبوا اليه الالوهية . ومن ثم وصفوه بقولهم انه كان ابن الله

ماري — هل تعتقدون أن مثل هؤلاء الكتاب كانوا مخادعين ؟

فاندى — كلا وانما كانوا فقط يعبرون عن تصورهم بشكل غامض . ان سفر الرؤيا (من الانجيل) بكامله هو وصف للتجارب الغامضة . فعلى سبيل المثال هو لايعنى حرفيا ان الشوارع كانت موصوفة بالذهب . والكثير من التعبيرات الغامضة تصبح فظة اذا كانت تعنى حرفيا ما تقول .

(١) اللاعنف والمحبة .

ماری — هل مارست تجارب غامضة ؟

غاندی — اذا كنت بالتجارب الغامضة تعنين الروى ، فاقول لا . لاشك انى مخادع اذا ادعيت انه كان لى مثل هذه ولكننى متأكد حدا من الصوت الذى يتوودنى . وبالطبع فبعض الناس غير المتوازنين قد ادعوا سماع مثل هذه الاصوات ايضا . ولكننى لا اعتقد ان احدا قد يقول انى غير متوازن (يضحك) .

ماری — لقد تحدثت حول شعورك بالمعاناة التى سبقت صيامك واحدا وعشرين يوما فى السنة الماضية ، وقلت ايضا انك على وجه العموم عند ما اطعت ندائك الداخلى ، وجدت سببا لعملك فيما بعد ، فهل وجدت تبريرا لصيام واحد وعشرين يوما ؟

غاندی — صحيح ان شعورا بالمعاناة قد دفعنى الى الصيام ، ولكننى عادة وحتى تحت وطأة الجهد الكبير استطيع ان اظل نائما تماما . أما عند ما افقد ذلك النوم واصبح فى دوامة من القلق ، فانى الجأ الى الصوم ، وعلى الفور اشعر بالراحة . نعم انى اكتشفت تعليلا له ، تعليلا دفع به الصيام نفسه الى النور . ان عددا من الناس يعترفون باخطاء ارتكبوها يعودون فيجهدون انفسهم لتصحيحها .

ماری — لقد قلت يوما ان الشعور بالذنب يجلب شعورا بالانفصال عن الله ، فهل شعرت بمثل هذا الانفصال قبل صومك ؟

غاندی — كلا ، شعرت فقط بالمعاناة الكبيرة وعدم الاستقرار ، حتى انى لم استطع المزاح على طريقتى المعتادة .

ماري ــ شكرا لك على رحابة الصدر واعتذر ان كنت قد قسوت في طرح بعض الاسئلة.

فاندي ــ على العكس. انا الذي اشكرك لانك تحشمت هذه المشقة في سبيل فكرة داعبت مخيلتك وظلت تلح عليك حتى حضرت وافرغت ما في جعبتك. وعلى ما اعتقد فانك تشعرين الآن براحة الضمير.

ماري ــ تماما.. شكرا مرة اخرى، تصافح المهاتما وتخرج.. يدخل الشرطي مؤدي التحية قائلا.

الشرطي ــ سيدي.. الزعيم الرسمي هو لم يود مقابلتكم.

فاندي ــ بكل اسف. لا استطيع ذلك الآن فليتكرم بالانتظار الى الغد.

الشرطي ــ على ما اعتقد يا سيدي انكم لن تمكثوا هنا الى الغد.

فاندي ــ «مبتسما» ماذا هل سأنقل الى سجن آخر؟

الشرطي ــ كلا «ثم في شبه همس» دني وابيك يا سيدي، ان الحكومة قد رضخت لطلباتك، وسوف تفرج عنك فورا.

فاندي ــ اذن في هذه الحال ابلغ السيد هولم ان يقابلني في سبارماتي اشرام.

الشرطي ــ امرك يا سيدي.

«يخرج.. يدخل ناير قائلا في فرح».

ناير ــ بشرى يا سيدي، بشرى.

(١) معهد التدريب الديني الذي انشأه المهاتما قرب مدينة احمداباد

غاندى — « متصنعا الدهشة » وما هى ؟

نايو — « يكاد يرقص » لقد وافق رئيس الوزراء ونائب الملك ووزير الخارجية على الاستفتاء عن الانتخابات المنفصلة للمنبوذين . وهكذا تكون قد انتصرت ارادتكم .

غاندى — بل قل قد انتصرت ارادة الشعب التى تقف من ورائها ارادة الله العظيم

« يخرج نايو »

غاندى — « وكأنه يتم حديثه » ان خدمتى الوطنية هى جزء من المعاناة لتحرير الروح من عبودية الجسد . وانى لعارف عن مملكة الارض ومتطلع الى مملكة السماء ، التى هى التحرير . ان الوطنية بالنسبة لى مرحلة فى رحلتى الى الارض الابدية للحرية والسلام . ولا اعتنق سياسة مجردة عن الدين فان مثل هذه السياسة هى مصيدة الموت ، لأنها تقتل الروح .

ستـار

التلفزيون فى الهند

للطلبة دروس أفضل

للفلاحين حرفة حديثة

لكل مشاهد تسعون دقيقة فى التعليم والتسلية

ولكن هل لدينا تلفزيون فى الهند ؟

سألنى الناس هذا السؤال ، منذ عام ونصف مضى ، عندما قلت لهم أننى أعمل فى التلفزيون .

هذا ، ما شرحته سدها جوبرا ، المنتجة الشابة المفعمة بالحياة ، فى برنامج النساء والأطفال . واليوم ، مشاهدوا التلفزيون فى دلهى ، (يقدرون بمائة واثنين وثلاثين ألف فى المدارس و ٧٥ ألف فى الخدمة العامة) ليسوا دارين فقط بوجود التلفزيون بل انهم بدؤا على نطاق واسع قوائمة أمسياتهم تتناسب مع جداول التلفزيون .

وربة البيت فى مشروع مساكن شبه المدينة التى تعد عشاءاً مبكراً لكى تصل إلى مركز تلفزيون المجتمع فى ناحيتها وكذلك مثل نظيرتها فى سندرا نجر ، التى اضطرت إلى تقديم وجبة ما قبل العشاء لمدة ساعة لكى تسمح لبعض مرأى التلفزيون فى غرفة جلوسها ، مثالان للتأثير النامى بالنسبة التلفزيون ولا تحتاج سدها جوبرا اليوم لأن تسأل أين تعمل وسدهاجى كما هى معروفة لالآف المشاهدين تحاط جيداً بالجماهير وخاصة خلال زياراتها المتعددة للمدارس ومراكز المجتمعات .

ولقد سار التلفزيون بحق قدما وشوطا بعيداً منذ سبتمبر عام ١٩٥٩ عند ما ثبت برامجه يومين فى الأسبوع ، أساساً لمرأى المجتمع فى اندية التلفزيون التى نظمت خصيصا . وفى اول يوليو ١٩٦٥ ادخلت خدمة أيام أربعة واليوم يوجد ٢١٧ نادى التلفزيون ، يبلغ مجموع أعضائها العاملين ٥ آلاف ، حيث يدهب ٢٥ الف مشاهد تقريباً كل يوم من اجل مشاهدة البرامج المسائية التى تستغرق ساعة ونصف ساعة فى المشاهدة . ومنذ اكثر من عام مضى ، كان ثمة فقط . . ١٥ جهاز إستقبال . ويوجد اليوم أكثر من ٦ آلاف جهاز فى حدود منطقة الارسال ومساحتها ٢٥ ميلا .

« الاعلام ، الالهام ، التسلية » ـ هذا هو الشعار الكلاسيكى للتلفزيون فى العالم أجمع . والحاجة إلى تحقيق هده المثل العالية ، قد اصبحت ضرورة مطلقة فى الهند

« نشر الكلمة » بالوسيلة المرئية يلزم ان يكون له تأثير أعظم سواء كانت حملة تنظيم اسرة ، أو قواعد امان المرور البسيطة ـ فالتلفزيون حرى بان يساعد على الوصول إلى الهدف أسرع من الكلمة المكتوبة ، والمنطوقة ، ولذلك صدر فى ندوة أخيرة حول « الفيلم الاخبارى » قرار للتعجيل بالتوسع فى التلفزيون فى جميع أنحاء البلاد ، لأن الأفلام الاخبارية من المحتمل كثيرا أن ترى على التلفزيون أكثر مما ترى فى مجال مسرحى أو عبر طريقة أقل اقتصادا للمسرح المتحرك فى عربات ، فى وحدة النشر الميدانية ، ولمركز التلفزيون فى دلهى وحدته التسجيلية الخاصة به . وآخر أفلامه «الشباب عند مفترق الطرق » قد رحب به لعرضه التصورى . وعملا فى تزامل وثيق مع ادارة الافلام يمكن للتلفزيون أن يقدم بوظيفة أكثر الطرائق حيوية فى حملات معينة .

من أجل من ، ومع من ؟

الصعوبة المدنية التى واجهتها برامج التلفزيون فى دلهى سترتبط بسؤال : ما هو بالضبط الهدف الذى ترمى إليه برامجه ؟ من هو المشاهد الذى تضعه فى ذهنك ؟ فلأن للبرامج أن تشتمل على مواد تناسب أذواق المواطنين من أحوال البلاد المختلفة فى المدينة ، شبه المدينة ، المشاهدين الريفيين ، إلى جانب بالطبع الطوائف الخاصة فى المجتمع على ضوء إيراداتهم المتنوعة .

ولقد اتهم تلفزيون دلهى ، بأنه يلعب على نطاق واسع على شبه الحياة الدوية إن لم يكن على الأذواق الريفية بالذات . ومن الناحية الاخرى تنهال الخطابات من المشاهدين الريفيين بالنقد عند ما يضاف قدر معتدل من التقدمية إلى البرامج وعلى سبيل المثال محاولة لتنويع برامج النساء بعرض صورة لطرق شبه راقية لتصفيف الشعر ، لم يوافق عليها حتى النساء المشاهدات عضوات أندية التلفزيون والمشاهد العاجم « الطبقة العليا ؟ » ، ليس عنيدا إلى حد كبير فى النقد ، أو فى التقدير . ولكن تلك فى حد ذاتها ليست علامة طيبة وما يهدف إليه معدوا البرامج فى مختلف أقسام التلفزيون هو وسيلة مقبولة لأن التلفزيون لا يزال كذلك وسيلة جديدة ولا يمكن تجاهل اى مشاهد لمجرد أنه لاينتمى إلى « طراز الأعلبية » .

والرحلة حول مبنى التلفزيون ، الذى أصبح فى الواقع لزاماً على المشاهد ، كما كان الحال بالنسبة لدار الاذاعة ـ تكشف جوا من الاثارة وحساسية معينة من التداخل عند الذهاب إلى وسيلة جديدة فى حدود قيود صارمة . ويوجد فقط مسرحان تلفزيونيان ، يستخدم أحدهما كاية للاذاعات

المدرسية، والاخر، وليس به غير ثلاث آلات للتصوير، عليه أن يتسع للبرامج العامة الاخرى. وتوضع الأجهزة بعد طلبها بوقت قصير. وقد أصر لاعب السيتار أن يقوم بالعزف لمدة دقائق قليلة قبل أن يبدء التصوير. ولقد قام موظف الاستديو باتخاذ اللمسات الأخيرة بسرعة ولقد أضيف ذلك إلى الأجهزة وظهر العازف على آلات التصوير طبقاً لما هو مقرر بالضبط. ولايضيع وقت بين فترة تسجيل وأخرى، ولو اضطر الفنانون ان يدفعوا بايديهم الأجهزة والمعدات. وكما لاحظ أحد الزوار فى تحية واضحة لمركز التلفزيون فليس ثمة كثير من الرسمية فيما يتعلق بالمكان حتى الآن!».

امر مكلف

تقام التدريبات جيداً بعد ساعات العمل بالمكاتب من اجل توفير الوقت المحدد للاستديو للتسجيل الواقعى. ولكن يجرى التدريب على البرامج مرة تلو مرة، الامر ليس مثل الأفلام حيث يمكن قصّ الاجزاء التى لم تؤد جيدا، وان يعيدوا أداءها. والتهذيب فى التلفزيون عملية صعبة ومكلفة للغاية، وهى ليست مشجعة حتى فى شبكات التلفزيون فى الغرب. وفى الهند عند ما لا تكون لدينا أجهزة التهذيب فان البديل هو تسجيل كل برنامج مرة أخرى، وهذا أيضا مكلف وغير عملى. وتسجيل برنامج يستغرق بمجرد عشر دقائق باستخدام الادوات المطلوبة الجاهزة يكلف اربعمائة روبية. وكذلك اعداد برنامج باجهزة مناسبة للتصوير الخارجى، بواسطة المعدات من خارج دلهى، او المصورين المحليين، رغم جاذبيته يؤدى إلى رفع تكاليف الانتاج، وليس ثمة ميزانية مخصصة للتلفزيون، وحتى ولو ان اهمية التلفزيون تزداد ولو ببطء. فان الأمر سيستغرق بعض الوقت

قبل ان تكون لديه استوديوهات تسجيل أخرى وفنانون منتظمون فى جميع الاقسام والمصورون الخبرون.

ولا يستغرق وقتا ان يجعل العاملين فى التلفزيون يتحدثون فى حماس عن عملهم. والتقدم فى الادوات المدرسية هو أحد الاشياء التى يحملهم على وجه الخصوص على الارتياح. وبدأ فى مشروع التلفزيون المدرسى فى الهند فى أكتوبر عام ١٩٦١، وذلك بمجرد ثمانية دروس فى الاسبوع فى العلوم واللغة الانجليزية. والهدى. لفصول المدارس الثانوية العالية فقط. واليوم ترسل ٣٢ درسا عن طريق التلفزيون فى العلوم واللغة الانجليزية لفصول المدارس الثانوية العالية. والمتوسطة - وتخدم المدارس ذات الوردتين بالاذاعات العامة. فقد وضع ٥٢٠ جهاز تلفزيونى فى ٢٩٠ مدرسة ونحو مائة الف طالب فى الفصول المتوسطة و ٢٥ الف طالب فى الفصول الثانوية العالية يتلقون توجيهات عن طريق التلفزيون.

للطلبة والفلاحين

رفع الدكتور بال نيورات خبير مؤسسة فورد فى التلفزيون المدرسى، رفع أخيراً تقريراً إلى الحكومة الاتحادية عن تأثير التلفزيون على التدريس فى مدارس دلهى. قد لاحظ فى تقريره ان مشروع دلهى هو بحق، هو عملية جذب هائلة، والتلفزيون قد أثبت فعلا أنه عون مفيد فى التعليم، ويرى الطلاب تجارب أفضل وأكثر نظراً لأن بعض التجارب التى يعرضها التلفزيون بعيدة المنال عن وسائل المعامل حتى فى خير المدارس - وإلى جانب ذلك لاحظ التقرير أنه ثمة تفوق بسيط فى كل ذلك فى نتائج الطلبة فى مدارس التلفزيون عن أولئك الطلبة فى المدارس التى ليس بها التلفزيون.

وتقرير يونيسكو حول التلفزيون التعليمى فى البلدان النامية لخص التجربة الهندية خير تلخيص ـ « العناصر القائمة فى مشروع دلهى هى تخطيط معقول. تعاون منظم بعناية على جميع المستويات ، وعن طريق التكامل مع مناهج العمل فى المدارس والمدرسون مندمجون تماما على جميع المستويات من التخطيط إلى التقدير. خلال عام ٦٥-١٩٦٤ ذاقة يشترك ألف ومائة مدرس وناظر مدرسة فى مجموع ٣٤ فريق التخطيط واجتماعات اعداد البرامج والنقطة التى تذكر والتى أشار اليها المستر سريواستوا منفذ البرامج فى اداعات التلفزيون المدرسى » هى أن الدرس المدرس فى التلفزيون ليس مجرد علم انه يمثل نموذجاً فى طريقة التدريس، ولقد فازت الهند بجائزتين عام ٦٦-١٩٦٥ فى دروس اللغة الانجليزية بالتلفزيون من اتحاد الاذاعة اليابانى فى طوكيو الذى يقيم مسابقات دولية كل عام وفى عيد الجمهورية فى العام الماضى افتتحت سلسلة جديدة أخرى «كرشى درشن» وهو برنامج للزراعيين أعد بالتزامل مع أحصائى المعهد الهندى للابحاث الزراعية وقد أرشد ارشاداً حقليا كاملا تركز فى بعض الحالات على مناطق زراعية مألوفة بالقرب من ضواحى دلهى. والموضوعات التى تغطى ، هى موضوعات رئيسية ، يقوم بتقديم البرنامج جزئيا ناتهى رام شرما (اليوم رجل دو شهرة بسيطة) «وهو فلاح فى اندبور يتحدث إلى المشاهدين بلهجتهم المألوفة ويرد على الاستعلامات فى المشاكل الزراعية ، والاقتراحات فيما يتعلق بالبرامج يدرس وينظر فيها والى جانب العدد الكبير من الخطابات الواردة من الزارعين التى ترسل عن طريق امناء اندية التلفزيون التى يشتركون فى عضويتها . وترد الآن بعض خطابات من المشاهدين المدنيين

ـ وهذا يوضح انه حتى المشاهد فى المدينة وغير الزراعى يمكن ان يجعل نفسه مهتما بالزراعة إذا كان العرض باسلوب ممتع .

حتى برنامج الأطفال والنساء الشعبى ، يركز على تعليم الجمهور بينما يتيح فى الوقت نفسه تسلية . ولقد عرض البرنامج عدة برامج تقوم انت نفسك بها منها دروس فى اشغال الابرة ، مع مسابقة فى نهايتها ، دروس فى الحياكة وتزيين الغرفة الشخصية بميزانية متواضعة ، وأسئلة طبية يجيب عليها الأخصائيون ومجالات جديدة لوظائف النساء الى جانب التمثيليات الاجتماعية حول الموضوعات الاجتماعية الحقيقية ، واسئلة مثل رواج الأرملة من جديد والدوطة ويتسلمون على الاقل ١٣ خطاباً يوميا من الاطفال الذين هم فى سهولة اكثر المشاهدين إستجابة

جلب الحال إلى الجماهير

العمل من اجل التلفزيون قد اصبح يقدم بهجة للجماهير وعلى نحو ما ، فان الصعوبة التى كانت ترتبط فى العادة بتمثيل الفلم عندما بدأ اولا لم يعانها التلفزيون قط ومعظم البرامج تتطلب فنانين بالبرنامج ومختصين وعلى ما ذكره أحد معدى البرامج ، « كل واحد منا نحن العاملين فى الهيئة يواصل باستمرار سعيه للبحث عن صلاحيات وكفايات وبعض خير ما توصلنا إليه وهم الذين جذبناهم إلى التلفزيون ، ولكن فى ذلك الوقت يلزم ان يكون لمركز التلفزيون أكثر قليلا من الفنانين المنتظمين الذين سوف يكونون دائما جاهزين عندما تدعو الحاجة . وهناك فقط فنانان محتلان دائمان فى التلفزيون هذه الايام وهم يستخدمان ويعاد إستخدامهما فى جميع البرامج تقريباً .

ولايمكن الكلام باحكام عن أثر التلفزيون بدون ذكر التكامل الاجتماعى الذى يأتى به التلفزيون ببطء ، سواء كان برنامج التلفزيون المدرسى والبرنامج الثقافى ، فانها جميعها مفتوحة للمشاهدة . وإذا لم يكن فى مقدور المشاهد أن برى برنامجا معينا فان هذا آخر من اختياره وحده . والرقصات الكلاسيكية التى يؤديها كبار المتخصصين التى لايامل فى ان يراها فى المسرح احد ، عدا اولئك الدين يقدرون على الأقل على دفع ثلاث روبيات لشراء المقعد ، وتعرض هده الرقصات الآن على المشاهد دون ما نظر إلى أنه عصو نادى التلفزيون او مالك فردى . «جميع الخدم فى جيرتنا قد بدأوا الآن يدرون ويقدرون رقصاتنا الكلاسيكية . فكر فى ذلك فان لدينا «اندرانيات» و «نميات» فى المنزل ، وهدا فى الحد ذاته هام للغاية » هدا على ما شرحه مالك لجهاز التلفزيون . واليوم ان رد الفعل بالنسبة لقطع الباليه العربى ليس «لمادا توجد على ارضنا هذه المرأة النصف عارية تدور وتطوف بالمسرح ؟ » (وذلك ما لاحظه احد اعضاء البرلمان .) والعامل دو الياقة البيضاء الدى سكرتير شرف لنادية التلفزيون قد «يتمتع ويدل بملاحظة هده بحيرة البجع» بالطبع . ؟

وما هى خطط التوسع على جانب التصنيع ؟ الحاجة الأولى هى الاعداد لعدد أكبر من أجهزة الاستقبال . وهناك عدة مئات من المشترين المنتظرين لاتزال اسماءهم واردة فى قوائم الانتظار لدى البائعين ، والاجهزة التى استوردت فى البداية قد بيعت منذ زمان طويل . وجهاز التلفزيون الهندى لايبدو الآن بعيدا جدا فى الافق ، وسوف يصنع جزئياً فى صناعات الحجم الصغير وجزءها فى القطاع الخاص حيث صدرت التراخيص

فعلا إلى شركتين . وعينات اجهزة قليلة معروضة للجمهور منذ شهور فى مراكز كبيرة فى دلهى . وتحمل الخطابات والتعليقات شهادة المشاهدين بجودة العروض فى هذه الأجهزة . واجهزة التلفزيون المصممة والمنتجة بمهارة الهند الذاتية الخلابة سوف تقف نحو كرمز على عظمة وسيلة التلفزيون فى البلاد .

ولا يخلو التلفزيون بالطبع من النقاد . على ما تكشف عنه احدى الرسائل . « التلفزيون شيء عظيم للحدم ، هذا ما يقوله على الخصوص صاحب جهاز تليفون حالق . « أنا لا أطيق نعمة الكلام البارل المستخدمة فى البرامج ؛ « اما لا يهمنى أن أتعلم أساسيات تنظيم الأسرة خلال الساعة ونصف الساعة من وقت التلفزيون الثمين ، » من ذا يريد ان يرى الفلم التصويرى من العام الماضى ، » « لماذا التلفزيون حدى ؟ كنت اعتقد أن التلفزيون فى الهند على الأقل قد تكون فيه عظمة فرحة ، ونقطة اخرى للهجوم هو الوزن الذى يناله البرنامج الهندى

ولمعظم هذه الانتقادات وضع المستر س ن . مورتى مدير التلفزيون جوابا واحدا : « أنظر جيدا جدول برامج التلفزيون لمدة اسبوع » أوشهر » .

ليست هناك ناحية من نواحى التسلية تكاد أن تكون قد تركت . وإن جداول التلفزيون قد وضعت لتلبية مختلف الاذواق . « مايريده » ، يقول المدير ، « أنه على المشاهدين أن ينظروا إلى النموذج وأن يدائموا مشاهدتهم للتلفزيون مع الاطار العام لعمل التلفزيون .

ولقد وضح مركز التليفزيون أن يمكن ان يرتفع إلى مستوى الفرصة وأن يقابل التوقعات المثيرة للمشاهدين . وتغطية المؤتمر الثلاثى

لقوى عدم الانحياز فى اكتوبر عام ١٩٦٦ واخيرا جدا . الانتخابات العامة يشكل علامة مائية عالية الاعلام التلفزيونى فى الهند . واقد أصبح المشاهد الآن يتوقع ، شيئا ، معينا فى وسيلته الجديدة . - وقد قيل بأن ذلك ابلغ مراحل الاذكاء فى مجال تطويره . وقد قدم المدير تصويرا ممتعا لهذه النقطة من المحادثة التالية التى وصلت الى مسامعه : « إنى لأتعجب كيف يبدو والمستر كوبات ومثل من تكلم ، ؟ هذا ماهاه شحص فى الثانية عشر من عمره مشيرا إلى بطله الخالى الدبلوماسى الهندى الذى طرد من بيكن . « حسنا عليك أن تنتظر حتى يحين موعد التلفزيون ، هذا ما اجاب به شقيقه البالغ من العمر أربعة عشر سنة الذى حاول أن يكون أقل تاثرا بالبطل .

التلفزيون فى دلهى اكثر من ان يكون قد « وصل ، أنه لمن المؤكد انه قدم ليبقى

طبيعة بلاد الهند

إن الهند الاصلية ، أى قبل الانقسام الى دولتين مستقلتين ـ الهند وباكستان ـ كانت قارة أو شبه قارة (Sub-Continent) عظيمة المساحة ، واسعة الارجاء مترامية الاطراف . تمتد فى جنوب آسيا من هضبة ايران وأفغانستان فى الغرب الى شبه جزيرة الهند الصينية فى الشرق ، ومن جبال هملايا العظيمة فى الشمال الى المحيط الهندى فى الجنوب . ويخترقها من الوسط تقريبا مدار السرطان فيمر فى المغرب بجزيرة كتش (Kutch) وفى الشرق بدلتا نهر الجانج ومصب نهر برهما بترا .

ان السواحل الغربية والشرقية للهند منتظمة تكاد تكون مستقيمة عدا منطقة «كاتياوار» التى تقع بين «كتش» فى الشمال وخليج «كمباى» فى الشرق . وهى تبرز فى بحر العرب وفى شمالها تقع «كتش» التى تحيط بها مياه ضحلة من جميع الجهات وهى منطقة شديدة الحرارة والجفاف ، ولاجل ذلك يستخرج منها الملح . ويجدر بالذكر هنا أن المهاتما غاندى اتجه بموكبه اليها عند ما أراد الاحتجاج ضد احتكار حكومة الهند الانجليزية للملح الذى هو مادة ضرورية للطبقة الكادحة من الشعب ولا مفر لاحد منه . وفى هذه المنطقة بالذات تقع ميناء صغيرة لها شهرة واهمية فى التاريخ . اذ عندها قامت موقعه بحريه بين الاسطول البرتغالى والمصرى . ولان هنا نزل المستعمرون أولا عندما اكتشفوا الهند وارادوا السيطرة عليها لاستغلال ثرواتها الطبيعية التى غنيت بها الهند .

أما القسم الشمالى من الهند الاصلية الذى من بلوشستان غربا الى أسام شرقا فحو مساحة عظيمة من الأرض المنبسطة ، تقسمها بعض المرتفعات

الى حوضين عظيمين وتمتد هذه المرتفعات رغم قلة ارتفاعها حتى تبلغ جبال هملايا ولكنها لاتعتبر فاصلا منيعا بين حوض السند والجانج .

يمكن تقسيم سطح الهند ، نظرا لتضاريسها الاصلية ، الى ثلاثة أقسام رئيسية : الجبال الشمالية والسهول الشمالية وهضبة الدكن .

الجبال الشمالية

هذه الجبال هى سلسلة جبال هملايا وما يتبعها من سلاسل جبلية فى الغرب والشرق وتمتد بانحناء قليل نحو الجنوب على شكل قوس شاهق الارتفاع يتكون من ثلاث سلاسل متوازية تنتهى الى هضبة التيبت . وهى حائط منيع يبلغ طوله ١٥٠٠ ميل أو أكثر يفصل الهند عن أواسط آسيا اذ لا تخترقها الابعض الممرات الوعرة الضيقة التى توصل بكشمير من المشقة الى هضبة التبت وهذه الجبال هى أعلى جبال العالم وقمتها المشهورة «افرست» (Everest) تبلغ من الارتفاع ٢٩٫٠٠٠ قدم . وهناك قمم أخرى كلها تزيد على ٢٧٫٠٠٠ قدم . وقد استمر المجهود البشرى للوصول الى هذه القمة الى أن وصل الانسان الى تلك القمة الشاهقة المغطاة بالثلوج دائما . وهناك معهد أنشأته حكومة الهند فى مدينة دار جيلنج لدراسة الجبال وتدريب الراغبين فى تسلق الجبال . وتقع قمة «افرست» على الحدود الشمالية الهندية لنيبال .

وفى غربى كشمير تمتد سلسلة جبال «هندوكش» التى ترتفع اكثر من ١٥٫٠٠٠ قدم ، والتى كثيرا ما لقى الهنود مصرعهم تحت ثلوجها ولهذا عرفت بأنها مصرع الهنود وهو معنى (هندوكش - اى قاتل الهنود) ويتصل بها من الجنوب مجموعة من المرتفعات التى تعتبر الحد الفاصل بين سهول نهر السند وهضاب أفغانستان وايران .

وأشهر هذه المرتفعات جبال سليمان التى تمتد من الشمال الى الجنوب موازية لنهر السند . وفى هذا الجانب من شمال غربى الهند توجد عدة ممرات أشهرها « ممر خيبر » الذى يعتبر الباب الشمالى الغربى للهند . ومن هذا الممر جاء معظم المهاجرين والغزاة فى تاريخ الهند ، كما يوجد ممر آخر فى الوسط اسمه ممر بولان متوسطا بين جبال « هندوكش » وساحل بحر العرب . ومن ممر خيبر جاء الاسكندر الأعظم (Alexander the Great) بحملته المشهورة الى الهند . وفى طريق العودة استخدم ممر بولان .

أما فى الجانب الشمالى الشرقى بين الهند وبورما فتجد قوسا من الجبال بين الهملايا وجبال ناتكاى وبينهما سهل يجرى فيه نهرهما نهرا . وتتصل بهذه الجبال سلسلة تعرف بجبال خاسى التى تقع فى حدودها بلدة « شرا بونجى » التى تعرف بأنها أكثر جهات العالم مطرا وهذه الجبال هى حدود طبيعية تحمى الهند من هذا الجانب وفيها بعض المسالك الطبيعية التى توصل بين الهند وبورما

ولجبال هملايا أهمية كبرى فى تاريخ الهند القديم ، فقد تصور الاقدمون أن هذه الجبال الشاهقة التى لا يستطيع الانسان أن يصل الى قمتها والتى تغطيها الثلوج بصفة دائمة هى موطن الآلهة ، لأنها أقرب الأماكن الى السماء . وقد أصبحت منابع الانهار فى هذه الجبال أماكن مقدسة يحج اليها الهنادكة وفى سكونها يجدون مجالا للتدبر والعبادة

السهول الشمالية

وهى سهول « هندوستان » وتمتد من الغرب الى الشرق من الحدود الغربية الى الحدود الشرقية للهند الاصلية ولكن بعد انقسام الهند لا يطلق لفظ

«هندوستان» الا على ما يقع فى الهند المستقلة . وهذه السهول منقسمة الى قسمين ، أحدهما سهول السند وهى تمتد من كشمير فى الشمال الى بحر العرب فى الجنوب . والثانى سهول الجانج وبرهما بترا التى تمتد من مفترق حوض السند والجانج الى المرتفعات التى تقع فى الطريق الشمال الشرقى والى خليج بنغال .

وهذه السهول جميعها حديثة التكوين تغطيها طبقة سميكة جدا من الرواسب النهرية . وتعتبر هذه السهول من أخصب بقاع العالم . وهذه السهول قليلة الانحدار وخاصة قرب السواحل . وينحدر نهر الجانج من دلهى الى المصب نحو ٦٠٠ قدم . فى مسافة تزيد على ألف ميل . والآن معظم حوض السند قد دخل فى باكستان الغربية ، كما أن قسما من الحوض الادنى لنهر الجانج وبرهما بترا قد دخل فى باكستان الشرقية . وهذه السهول فى كل من باكستان والهند هى أهم أقاليم الدولتين ، ففيها معظم السكان ومعظم الحركة الاقتصادية وفيها قامت الامبراطوريات العظيمة التى امتد سلطانها حتى شمل جميع أنحاء البلاد

وينبع نهر السند وبرهمابترا من السلاسل الشمالية لجبال هملايا من منبعين متجاورين . ويتجه السند نحو الغرب وبرهما بترا نحو الشرق . ويخترق السند مرتفعات كشمير مكونا واديا عظيما هو أهم أجزاء كشمير . ثم ينحنى نحو الجنوب الغربى ويستمر فى اتجاهه مخترقا الجبال ، حتى يصب به نهر كابول الذى ينبع من هضبة أفغانستان ، ويستمر النهر موازيا للجبال الممتدة فى الغرب حتى يصب فى بحر العرب والسند أربعة روافد عظيمة

فى البنجاب وهى : « ستلج » « راوى » « چناب » « جهلم » والبنجاب ، وهى ولاية عظيمة من ولايات الهند الاصلية والآن يشكل معظمها الباكستان الغربية ، والقسم الصغير الشرقى داخل فى الهند ، معناها «ارض الأنهار الخمسة» .

أما نهر برهما بترا ، فينبع من هضبة التبت ، ينحنى نحو الجنوب قاطعا الجبال من الشمال الى الجنوب ، ثم ينحنى مرة أخرى نحو الجنوب الشرقى ويخترق السهول الى الشمال من تلال « ناجا » وتلال « خاسى » ثم يتحول مرة أخرى حول تلك التلال نحو الجنوب ويتصل بمصب الجانج الأخير من جهة الشرق ، ويطلق على مجراه الادنى نهر «جمنا» .

وينبع نهر الجانج (Ganges) من المنحدرات الجنوبية لجبال هملايا ، ثم يصب فى خليج بنغال بدلتا عظيمة أما حوضه فتبلغ مساحته ٣٠٠٫٠٠٠ ميل مربع ويتراوح عرضه بين ١٥٠ ، ٢٠٠ ميل وله روافد عديدة بعضها من الجانب الشمالى وبعضها من الجانب الجنوبى . وأهم هذه الروافد جميعا «نهر جمنا» ، والروافد التى تتصل به من الجانب الشمالى هى « حجرا » و « امراوتى » و « گندك » و « كوسى » وكلها تنبع من جبال هملايا وكذلك نهر جمنا الذى يتصل بالجانج من الجانب الجنوبى عند « الهآباد » ويتصل بنهر جمنا من الجانب الغربى نهر « چمبل » الذى ينبع من الطرف الغربى لجبال فنديا ويتصل بنهر الجانج من الجانب الجنوبى نهر « سون » وهو ينبع من سلسلة جبال ما يكال .

ان سلسلة جبال فنديا (Vindhya) سلسلة تمتد من الغرب الى الشرق موازية لنهر « نربدا » ولا يزيد ارتفاعها على ألف متر فوق مستوى سطح البحر ، ومع ذلك فقد كانت حدا فاصلا بين السهول الشمالية وهضبة

الدكن بسبب ما كان يغطيها من الغابات والاحراش الكثيفة . وقد حالت دون توغل الاريين نحو الجنوب وقد شبهها بعضهم بالحجاب الحاجز فى جسم الانسان فهى تقسم الى قسمين مختلفين . اما الجانب الجنوبى لنهر نربدا فتمتد هناك سلسلة من المرتفعات يبدأ بتلال « ستپورا » فهى تمتد بين نهر « نربدا » و نهر « تابتى » (Tapti) وهى توازى جبال فنديا ، أما جبال مايكال فهى سلسلة جبلية تفصل منابع نهر نربدا عن المجرى الأعلى لنهر مهادى . وأما مرتفعات « شوتا ناجبور » (Chota Nagpur) فهى كتلة جبلية تمتد فى الشمال الشرقى لهضبة الدكن وتقترب من نهر الجانج عند انحنائه نحو الجنوب الشرقى .

أما الدكن (ومعناها أرض الجنوب) فهى هضبة تعتبر من أقدم أجزاء الهند ويتكون معظمها من الصخور المتبلورة النارية والمتحولة ويحدها من الغرب جبال غات الغربية ومن الشرق جبال غات الشرقية ، ان هذه الجبال ترتفع على شكل مدرجات وهى ذات انحدار شديد نحو البحر . وتنحدر هضبة الدكن من الغرب الى الشرق انحدارا تدريجيا مما جعل معظم أنهار الهضبة تتجه من الغرب الى الشرق لتصب فى خليج بنغال . وأهم هذه الانهار من الشمال الى الجنوب نهر مهادى ونهر جودافرى وكرشنا ونهر كافيرى . أما الانهار التى تصب فى بحر العرب فهما « نربدا » و « تابتى » ويسيران فى مجريين متوازيين تقريبا ويصبان فى خليج كمباى فى بحر العرب .

وفى الشمال الغربى من الهضبة تمتد جبال أرفالى فى اقليم راجستان وامتدادها من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى وهى كالهضبة من أقدم جبال الهند ، ومنها أخذ الرخام الابيض الناصع الشفاف الذى استخدم فى

تشييد الضريح المشهور «تاج محل» فى آجرة . والذى يعتبر آية فى فن البناء ، وأعجوبة من عجائب الدنيا السبع وفى الطرف الجنوبى الغربى لجبال أرفالى يقع جبل «أبو» وهو المركز المقدس عند طائفة الجينية .

ان الهضبة تعرضت لعوامل عديدة عبر القرون . فانخفض سطحها عما كانت عليه ، ولكن بقيت فيها قمم كثيرة وقد استخدمت هذه القمم فى الماضى فى تشييد القلاع الحصينة . وتنتهى سلسلة جبال غات الى جبال نلجرى (Nilgiri) وهى أعلى جبال الدكن . والسهول الساحلية للدكن ضيقة فى الغرب ومتسعة فى الشرق وخاصة حول أنهار الساحل الشرقى ، ويعرف الجزء الجنوبى من الساحل الغربى باسم «مليبار» والجزء الجنوبى من الساحل الشرقى باسم «كروماندل» أما الجزء الشمالى من الساحل الشرقى فيعرف بساحل جوالكندا

وتنفصل جزيرة سيلان عن الهند وبينهما مضيق «بالك» (Palk Strait) ويطلق عليه قنطرة آدم أيضا ، وذلك لأن الاقدمين كانوا يتصورون أن آدم عبر عليها من الجزيرة الى الهند ، ولهذه الجزر أهمية فى قصة الرامايانا . احدى الاساطير الهندية المشهورة ، ويطلق على الجزء الواقع بين الجزيرة والهند وسلسلة الجزر من ناحية الجنوب اسم خليج منار .

كان ذلك هو وصف تفصيلى للاقسام الثلاثة الرئيسية التى تتكون منها أرض الهند الطبيعية .

ولكل من هذه الأقسام الثلاثة : الجبال ، والسهول الشماليتين ، وهضبة الدكن تاريخ جيولوجى خاص . ان شبه جزيرة الدكن هى فى

الحقيقة من الاجزاء القليلة فى العالم التى ظلت فوق مستوى سطح البحر منذ أقدم الازمنة سوى بعض الاجزاء القليلة منها . وقد كانت الدكن فى تلك الازمنة الجيولوجية القديمة قسما من القارة التى أطلق عليها الجيولوجيون اسم « جندوانا ليند » وقد استعير هذا الاسم من اقليم جندوانا فى الشمال الشرقى لهضبة الدكن . حيث توجد طبقات صخرية رسوبية تجرى فيها أودية « دامودر » .

ان هضبة الدكن بقيت فى هدوء نسبى اذ لم تتعرض لحركات أرضية عنيفة مثل هضبات القارات الجنوبية فى استراليا ، وأفريقا وأمريكا الجنوبية الا انه ثارت البراكين فى القسم الشمالى الغربى من الدكن أثناء العصر الطباشيرى فغطت تلك المنطقة بصخور البازلت بينما بقى معظم الأجزاء الاخرى مغطى بصخور الجرانيت والنيس والصخور الرملية القديمة الحمراء وقد استخدمت هذه الصخور فى المبانى الاثرية الكثيرة التى شيدت فى الدكن وفى منطقة حوض نهر الجانج . وهى صخور عظيمة الصلابة يمكن جعل سطحها لامعا كالمعدن اللامع .

أما جبال هملايا والجبال الأخرى فى الشمال الغربى والشمال الشرقى للهند فهى سلاسل جبال التوائية لا تختلف كثيرا عن جبال الألب (Alps) وغيرها من الجبال الالتوائية التى ترجع الى العصر الجيولوجى الثالث . ونظرا لحداثة تكوين هذه السلاسل الجبلية فان الجبال والوديان أقل تأثرا بعوامل التعرية منها فى هضبة الدكن ، وقد استطاع نهر برهما بترا أن يقطع جبال هملايا ويكون لنفسه أخدودا عميقا فى وسط الجبال وذلك لان قوة مياه النهر فى النحت سارت جنبا الى جنب مع القوة الباطنية التى سببت

ارتفاع هذه الجبال . وقد تعرض هذا الاقليم كله الى الحركات الارضية العنيفة ونتج عنها الالتواءات والأخاديد وغير ذلك من آثار الضغط الشديد وهذا هو عكس ما كان فى هضبة الدكن فالجبال والتلال فيها ليست نتيجة مباشرة لقوة الحركات الأرضية وانما هى بقايا للمرتفعات القديمة التى عملت فيها عوامل التعرية فى أزمنة طويلة . وأهم هذه المرتفعات أرهالى ، فنديا ، ست بورا ، وغات العربية ولا يوجد الا قليل من أثر الالتواءات الأرضية العنيفة .

أما سهول الهند الشمالية فهى ترجع الى عصر جيولوجى حديث وهو العصر الرابع عند ما كانت السيول والانهار الجارفة تحمل الرواسب الطينية من الجبال فى الشمال والجنوب وقد تكونت طبقات الغرين فى هذه السهول حتى أصبحت عظيمة الكثافة ولازالت هذه الطبقات تتأثر بحركة انخفاض عامة ، ولهذا توجد فى بعض الجهات طبقات من اللبن النباتى والغابات المغمورة كما هو الحال فى المناطق التى تعرضت للانخفاض . ويقدر الجيولوجيون سمك طبقات الرواسب فى هذه السهول بأكثر من ٦٠٠ متر . ومعنى ذلك انه بينما كانت الجبال ترتفع كانت السهول تنخفض ، وهذه الاقاليم لازالت فى حالة عدم استقرار بدليل كثرة الزلازل فيه فى حين أن الزلازل نادرة فى هضبة الدكن .

ويلخص الجيولوجيون تاريخ الهند بأنها قبل الزمن الثالث كانت متصلة بالكتلة الآفريقية وبعد هذا الزمن اتصلت بالكتلة الاسيوية ، وفى أثناء ذلك الزمن تكونت السلاسل الجبلية الالتوائية والسهول الرسوبية العظيمة . وقد تكونت هذه الجبال وتلك السهول فى بحر عظيم كان يمتد

فى الجزر الاوسط بين آسيا وآفريقية ، فقد كانت المياه تغمر هذه الاجزاء قبل الزمن الثالث ثم ارتفعت الجبال وتكونت الرواسب التى كونت السهول .

مناخ الهند

ان مدار السرطان يخترق الهند من الوسط ، فيفصل السهل الشمالى عن هضبة الدكن ، وتقع الهضبة فى المنطقة الحارة ، بينما السهل الشمالى فى المنطقة المعتدلة ان مناخ الهند يختلف اختلافا كبيرا ، فهناك مناطق يسقط بها الثلج ومناطق تشتد فيها الحرارة . والفصل فى الهند تنقسم عادة الى الفصول الثلاثة وهى فصل البرد ، وفصل الحر ، وفصل الأمطار الموسمية . أما فصل البرد فيبتدأ من أكتوبر ويستمر الى شهر مارس وهو أجمل وقت من أوقات السنة يتمتع بمناخ معتدل وسماء صافية وجو خال من الأعاصير والرياح الشديدة والرمال أما فصل الحر فهو يبتدئ من مارس ويستمر الى يونيو وفيه تصل درجة الحرارة الى أشدها وخاصة فى شهر يونيو ، فى هذا الفصل ترتفع درجة الحرارة الى أكثر من ١١٥ فهرنهايت ، وفى بعض المناطق فى ولاية بيهار الشرقية الى اكثر من ذلك حتى تؤدى الى هلاك الناس والمواشى وجف الآبار والترع . وأشد الجهات حرارة المنطقة الصحراوية بين الدكن وحوض السند الادنى . وفى هذا الفصل يضطر الناس الى الاقلال من نشاطهم وحركتهم فى أثناء حرارة النهار . ويلجأون الى مختلف الوسائل لتخفيف شدة الحرارة فى داخل المساكن فيصنعون ستائر من العشب على الشبابيك ويرشونها بالماء وكثيرا ما ينام الناس خارج الدور فى أيام الحر الشديد .

وفى شهر يونيو يبلغ الجفاف أشده فتجف معظم مجارى المياه التى تعتمد على المطر وتتجه الأنظار نحو السماء فى انتظار المطر .

ويبدأ المطر الموسمي في منتصف يونيو وهو يأتي فجأة ولهذا يعبرون عن قدومه بأن الموسميات قد انفجرت، كما تنفجر قربة الماء. وعند ذلك تهب من الجنوب الغربي ومن الجنوب أعاصير شديدة تهيج لها مياه البحر وتغطي وجه السماء بالسحب الكثيفة وتنزل الأمطار الغزيرة مصحوبة بالرعد والبرق. وعند ذلك تنخفض درجة الحرارة في معظم أنحاء الهند، وتنتعش النفوس وترتوي الأرض وتستمر الأمطار مدة تتراوح بين أربعة أشهر وستة. وفي أثناء هذه المدة، ينتقل مركز الضغط المنخفض من وسط الهند الى شمالها الغربي

وتبدأ الرياح الموسمية مبكرة في جنوب الهند وتستمر مدة أطول فيبدأ موسمها في بماي حوالي ٥ يونيو ويستمر الى ١٥ اكتوبر. أما في بنجاب فتبدأ في أول يوليو وتستمر الى أواخر ستمبر وكذلك في الولايات الشمالية ودلهي.

ان الأمطار على الساحل الغربي غزيرة ولكنها أقل من أمطار آسام وسفوح هملايا الشرقية أما الساحل الشرقي فأمطاره قليلة نسبيا، ففي مدراس نحو خمسين بوصة سنويا، والمطر فوق هضبة الدكن أقل منه على الساحلين. والمطر في بنغال وآسام يبدأ في مارس ويستمر الى نوفمبر أي نحو تسعة أشهر ولهذا فهو أقرب الى أمطار الجهات الاستوائية. ان الجهات ذات المطر الغزير الذي يبلغ ثمانين بوصة فأكثر، هي الساحل الغربي للهند من الطرف الجنوبي الى خليج كمباي، ومنطقة آسام وبنغال والسفوح الغربية من جبال هيملايا الشرقية.

والجهات ذات المطر المعتدل، الذي يتراوح بين اربعين بوصة وثمانين بوصة هي الجهات الشرقية من الدكن والحوض الاوسط لنهر الجانج.

والجهات ذات المطر المتوسط الذى يتراوح بين عشرين بوصة واربعين بوصة هى منطقة داخليه تمتد من شمال الهند الى جنوبها وتشتمل الحوض الأعلى للجانج والاجزاء الوسطى والجنوبية فى هضبة الدكن . والجهات ذات المطر القليل الذى يكون أقل من عشرين بوصة هى ما تقع شمال غربى جبال أرفالى وغربى دلهى وتشتمل راجستان والقسم الاكبر من حوض السند .

وفى هذا نرى ان فى الهند تنوعا كبيرا فى مقدار المطر كما أن معظم الهند يحتاج الى الماء مدة تبلغ حوالى ستة أشهر ومعظم الانهار يقل ماءها وقت الجفاف وهو فصل الشتاء والربيع وبالتالى يختلف توزيع النبات كثرة وقلة فى مختلف المناطق فبينما تكثر الغابات الكثيفة فى جهات الأمطار الغزيرة تقل فى الجهات ذات الأمطار المعتدلة والمتوسطة . ان المحاصيل الشتوية تحتاج فى غالب الاحيان الى الرى ولهذا يحفرون الترع ويقيمون السدود والقناطر

وتكثر فى الهند الحيوانات المفترسة والقردة ، ولا سيما فى الدكن . وقد عاش الانسان فى الدكن زمنا طويلا بعيدا عن الاختلاط بالعالم الخارجى وكذلك الحال فى جبال هملايا عاش الانسان فى معزل عن العالم حتى اتجهت الانظار الى فائدة تلك الجبال فى اقامة المصايف والمصحات الجبليه (Sanatoria) وسط المناظر الرائعة . وأهم هذه المصايف « شملة » (Simla) الذى كان المقر الرسمى للحكومة أيام الانجليز ، ومصيف « مسورى » (Mussoorie) و « نينى تال » (Naini Tal) وفى المنطقة الشرقية مصيف « دارجيلنج » (Darjeeling) بين بوتان ونيبال هملايا . وفى الجنوب مصيف « كوداى كنال » (Kodaikanal) ومصيف « نيلجرى » (Nilgiri) .

وقد اختفى كثير من غابات الهند لحاجة السكان الى قطع اشجارها، وقد تحول كثير من أراضى الغابات إلى احراش قليلة الفائدة، ويستخدم أهل البلاد الأخشاب فى بناء المساكن وصنع الأثاث والآلات الزراعية كما يستخدمونها وقودا. وقد شرعت الحكومة الآن فى المحافظة على الغابات وتنظيم استغلالها، وتشغل الغابات فى الهند ما يقدر بنحو ٣٠٠٩ % من مجموع رقعة البلاد.

إن ولاية كشمير تعتبر من أجمل مناطق الهند، بل من مناطق العالم أجمع، ولأجل ذلك أطلق عليها قدماء الهنود اسم «الجنة». وكان الاباطرة المغول يستخدمونها مصيفا وهى تشتهر بمناظرها الخلابة الرائعة ومجارى الماء الكثيرة فيها منابع نهر السند وروافده الرئيسية. وتنمو فيها غابات صنوبرية ومراع واسعة كما تكثر فيها الأزهار الجميلة. ان البراهمة فى العصور القديمة يحملون الازهار من كشمير لكى يعطروا بها المعابد الهندوسية

جمع وتقديم :
الاستاذ جميل الرحمن الدهلوى

دعاء ورجاء

إلهى ياذا الجود يا مصدر الكرم ويا صاحب الأفضال يا منبع النعم
تدارك بعطف منك أمة أحمد فقد هان قدر المسلمين على الأمم
وألف قلوباً قد تنافر ودها فلم ترع الا فى المودة والذمم
إلهى وحد بينهم واهدهم السوى صراطك وارفع عنهموا كربة النقم
إلهى سدد بالرشاد خطاهموا واصلح أناسا جانبوا جادة الحكم
ووفقهموا فى الدين دينك إنه براء من الاسفاف والحقد والوخم
فدينك يدعو الناس للحب والصفا ودينك دين الحق والصدق والشمم
شريعتك الغراء لاترتضى الجفا وطه رسول العدل افضل من حكم
وانت الذى وصيت بالود والوفا وانت ولى المؤمنين من القدم
ومجد بنى الاسلام مجد مؤثل بعونك فاصم المجد يا بارئ النسم
وكن لبنى قومى نصيراً على العدى على كل مكّار على كل منتقم
دعوتك ربى فاستجب لتوسلى فقد ضاق صدرى واستبد بى السأم
دعوتك يا من لايرد لمخلص دعاء فان الخطب زمجر وادلهم
وأخشى دوام الكرب والبؤس والعنا ففرج إلهى الكرب والبؤس والنقم
واول رجال الحق عزا ومنعة ونجّهموا يا رب من كيد من ظلم

وصن أمة العرب الكرام تكرما   وشيّد لهم حصنا تصدع وانهدم

وأيد حماة الدين وارفع مقامهم   وعزز دعاة السلم بالسيف والقلم

وصل على المختار طـــه رسولنا

شفيع البرايا سيد العرب والعجم

نديم الرافعي

طرابلس ـ لبنان

بين النيل والجانجا

الاستاذ جمال مناع علي
مبعوث الازهر في الهند

سبق أن أنبأنا عن بعض الآثار الواضحة للثقافة الهندية في التراث العربي بفروعه المختلفة سواء في ذلك الجوانب الفكرية والعقلية او الجوانب الذوقية والادبية او جوانب الحياة الاقتصادية والعلمية وقلنا ان هناك بعض المشاهد العربية تستوقف الناظر فيها واذا بالهند تأتي في الخاطر فور التأمل في تلك المشاهد[1]

واليوم تشدني ملامح واضحة الشبه بين تراث جزء من الوطن العربي ونعني به مصر وبين التراث الهندي وقبل الحديث عن هذا التشابه يهمني أن أؤكد أمرين . الاول منهما ان ذكر هذا التشابه مقصود به الكشف عن بعض اللقاحات الفكرية التي تمت في عصور مضت، وأما ان هذا التراث الماضي مفخرة لاهله الآن ومسلم منهم أولا، فهذه قضية اخرى لانتطرق اليها في هذا المقال

والامر الثاني أن وضوح هذا التشابه بين التراث المصري والهندي لا ينفي ان يكون هناك لقاء في بعضه مع شعوب أخرى وإنما نريد ان نقول ان هذا التشابه الذي سنسوق بعضه بارز واضح بين الشعبين أكثر من وضوحه في تراث لشعبين آخرين .

ونظرا لان الماء لعب ولا زال يلعب دورا لا غنى عنه في الحياة ونظرا لان بعض هذا الماء لقي من احترام الشعوب والتفاف القلوب

---

(١) عدد اكتوبر ١٩٦٥ من ثقافة الهند .

والمشاعر حوله أكثر من مجرد الاستمساك به كعنصر يتوقف عليه الحياة فان البداية بحديث الانهار أساس لما كان يعيش على ضفافها من حضارة وتراث ، وكما يذكر الناس النيل كلما ذكروا مصر كذلك نهر الجانج وهما يرتبطان فى الذهن بذكر الهند ولسنا نقصد بالحديث الى الاهمية الطبيعية والجغرافية ولكن ما ترسب فى اذهان ونفوس القاطنين على ضفاف كل منها ثم ما يتراءى من ذلك فى تراث الشعبين

ومنذ القدم والشعب الهندى يعظم ويقدس « الجانج » و « جمنا » ويعتبر ماءهما تطهيرا من ادران القلوب والاغتسال فيهما يخلص من الذنوب وحتى يومنا هذا تخرج جماعات من الشعب الهندى فى مواسم معينة الى بعض الاماكن الواقعة على شاطئ الجانج وجمنا مثل بنارس ، وهردوار ، والهآباد ، للتطهير من أقذار مرحلة انقضت من عامهم واستقبال مرحلة اخرى بقلب طاهر وكيان مغسول نظيف ، وفى تلك اللحظات المقدسة تنشغل النفوس بما هى فيه وما هى مقدمة عليه من التخلص مما أتعبها طوال العام من العثرات التى تقابلها على طريق الحياة ولذا تتلاشى التقاليد العادية فى موسم التطهر فيغتسل الناس مجتمعين ويتضاءل الاحساس بالفروق فلا أنثى ولا ذكر ولا شاب ولا شابة وانما أرواح تتسابق فى القاء ما كان يثقلها فى موجات النهرين ضمانة الطهر والغفران وبجانب تلك المواسم الجماعية هناك الورود اليومى للكثير من الافراد على طول امتداد النهر وعادة يكون هذا الورود فى باكورة اليوم وصخب الحياة وضجيجها لم يحل بعد وكأن النفس الراغبة فى التطهير تربط بين جمال الصبح وابتسامات الشروق واغفاءة الكثير من عناصر الصخب اليومى وبين الامل فى الاشراق الذى يملؤها واغفاءة الشر فيها .

وان كان ماء جانحا وجنا مطهرا للأحياء فان كثيرا ما تنهى رحلة الحياة على شواطئهما حيث تحرق جثث الموتى ويذر جزء من رمادها تطويها موجات النهر التى تمثل لحن الخلود .

وبين التطهر فى كل موسم وانتهاء رحلة الحياة على الشاطىء تعنو الجباه كلما مر الهندوسى المتدين على جنا او جنجا رمزى الحياة المتدفقة فى ارض الهند وكأن الملوك والعظماء كانوا يستأنسون بتوقيعات الحياة المتدفقة فى النهرين عند ما بنوا قصورهم على شواطىء تلك المياه المقدسة .

ولئن كانت هذه بعض مظاهر التقديس والتعظيم لنهرى الهند فان هناك حول النيل أشياء قد تختلف فى بعض تفاصيلها ولكنها فى عمومها تنبعث عن فكرة واحدة هى تعظيم الحياة وخصبها واجلال النماء واسبابه ممثلا فى اعظم مصادره على الثرى المصرى او الهندى

ان النقوش المصرية القديمة تكشف عن كثير من الوان التعظيم والقداسة للنيل حتى قال « هيرودوت » قولته المشهورة : « مصر هبة النيل » . واذا كان النيل هو رسول الحياة على ارض مصر حتى يومنا هذا فلا عجب ان يحظى بذلك الاجلال والتعظيم ولذا صوروه فى آثارهم فى هيئة بشر لا هو بالذكر الخالص ولا هو بالانثى الخالصة ، له من مظاهر الذكر لحيته ومن خصائص الانثى ثديان ضخمان وبطن يشبه بطن الحامل من النساء . ولعل ذلك يعنى انه اصل للاخصاب والاطعام سواء فى ذلك رمز اللحية الذى يشير الى اخصاب الرجولة والثديان والبطن رمز الاخصاب الانثوى ونحوها وفى بعض النقوش الاخرى خلف اسوان نجد زيادة على الرسم الاول بعض الصخور المكومة تعلو احداها صورة « الرخمة »(1) ويعلو ثانية

(1) آلهة فى الصعيد .

صورة «البازى»[1] وهناك حية تحيط بالمكان الواقف فيه الشكل وفى يديه ابريقان يصبان الماء فاذا ما انساب الماء شمالا فى ارض مصر يقوم بعض الكهان او فرعون نفسه الى ذلك المكان ليتقرب ببعض الحيوانات والطيور ويلقيها فى النهر ويروى فى كتب التاريخ صورة متطورة لذلك فيما يحكى عن عروس النيل التى كانت تلقى اليه طلبا لرضاه والفيضان فى كل عام وقد القى المصريون بانفسهم ايضا فى النيل بقصد التطهر من ادرانهم وذنوبهم وتروى كتب التاريخ ان احدهم كان يسرع لالقاء نفسه بثيابه فى النيل تطهرا اذا مس ثوبه حرير وذلك لان الحرير فى العقيدة المصرية كان نجسا فى حقب من الدهر وكذلك بنيت اهم المعابد وقصور الملوك على شواطئ النيل وكذلك عملية التحنيط التى كانت تمثل نهاية مرحلة الحياة الدنيوية كانت تتم على شواطئه

وكذلك ارتبط بالنيل تقديس كثير من صنوف الحيوان فى العقيدة المصرية القديمة فانهم تصوروا النيل مصدرا للخصب وربطوا بين قداسته وقداسة كل حيوان يظهر فيه معنى الخصوبة مثل الثور ذكر البقر كذلك سرت القداسة من النيل الى بعض الحيوانات التى يظن المصريون انها قدمت مع النيل «كبش الضأن» وكذلك وقعت بعض الاحداث التى حرمت على المصريين القدامى اكل بعض انواع الاسماك التى تعيش فى النيل، فان نقوشهم تقول . ان «ست» عند ما قتل اخاه «أزوريس»[2] وقطع بدنه ألقى بآلة ذكورته فى النيل فابتلعتها سمكة حرم على المصريين بعد اكلها .

---

(١) اله فى الدلتا .

(٢) من اشهر الهة المصريين .

أفلا نلمس بعد هذا نوعا من التجانس بين التراث الهندى والمصرى أفليس فى فكرة التطهر بمياه الانهار الثلاثة واقامة المعابد على شواطئها، وبناء القصور والقلاع على ضفافها، والمجاز المشهد الاخير من رحلة الحياة على جوانبها، وسريان القداسة منها الى غيرها من عناصر حياة الشعبين اشارة واضحة لمناخ فكرى متقارب ؟

فاذا خرجنا من مياه هذه الانهار الثلاثة وجسنا خلال الديار المنبثة على شواطئها رأينا كذلك ظواهر عقائدية وتقاليد اجتماعية متشابهة. فان المصريين التقوا مع الهنود فى تقديس احياء معينة من الطيور والحيوان وفى تحريم لحوم حيوانات معينة فما هى الاواصر بين البقر فى الهند ومصر ؟ وما هى العلاقة بين الطاؤوس فى ارض «الجانج» و «أبى منجل» فى وادى النيل ؟ وما هو اللقاء بين قصة اختطاف زوجة أحد آلهة الهند واحد آلهة مصر ؟ وما هو القدر المشترك بين تقديس عضو الخصوبة فى كل من التراثين ؟ وما قصة الثعبان فى كل منهما ؟ وما وجه التشابه بين عيد المصابيح فى مصر القديمة وديوالى فى الهند ؟ وهل هناك ليلة تشبه ليلة الكشمى فى الاعياد المصرية. وهل عرف المصريون الهولى أيضا ؟

هذا وغيره مما يعكس كثيرا من التشابه بين الحضارتين المصرية والهندية ما سنحاول الكشف عنه تباعا فى الأعداد القادمة ـ إن شاء الله.

نمو الاقتصاد الهندى

قد تخطت الهند خطوات واسعة فى مختلف مجالات التنمية خلال الاعوام الخمسة عشرة الماضية. وأعطيت الاولوية بصفة خاصة للبرامج الطويلة الاجل. واذا القينا نظرة على القطاع الصناعى، يصدق هذا بصورة ملحوظة بل ان الاستثمارات العديدة التى تمت خلال هذه المدة، لاتقل اهمية وخاصة التى تتعلق بالزراعة. ولايكون غير مناسب اذا ذكرنا أن الهند ـ نتيجة لهذه الجهود المستمرة والاستثمارات ـ قد تمكنت لاول مرة من الحصول على محصول زراعى لايكاد يوجد له مثيل فى تاريخها الطويل.

على كل حال ان الاقتصاد الهندى يتمتع بالنمو المطرد بمعدل سنوى قدره ٣٫٨ فى المائة ابتداء من ١٩٥٠، سوى النكسة الزراعية التى تعرضت لها الهند فى عامى ٦٦ ـ ١٩٦٥. والضغط الذى تعرض له الاقتصاد منذ عام ١٩٦٢ بسبب ما حصل للأمن القومى

ان نسبة ٣٫٨ فى المائة هى نسبة كبيرة اذا قورنت بالنمو الذى احرزته الهند قبل عام ١٩٥٠، فان معدله كان واحدا فى المائة أو أقل وقد بلغ معدل النمو الاجمالى فى الحقيقة قمته فى عام ١٩٦٤ حين زاد اجمالى الدخل القومى بنسبة ٧٫٦ فى المائة مع زيادة نسبة الانتاج الزراعى بمعدل ٧ فى المائة. وهكذا فاقت زيادة اجمالى الدخل القومى النسبة المقررة له من قبل وهو ٥ فى المائة.

وزاد الدخل الحقيقى بنسبة ٧٠ فى المائة بينما زاد دخل الفرد الحقيقى بنسبة ٢٨ فى المائة. وزاد الانتاج الزراعى بنسبة ١٥٠ فى المائة خلال السنوات الخمس عشرة الماضية. وزاد الانتاج الصناعى للاشياء المصنوعة بنسبة ٢٧٥ فى المائة.

ان الصناعات الرئيسية، خاصة منها التى ترمى الى تحقيق الاكتفاء الذاتى والاعتماد على النفس، تقدمت تقدما ملموسا كالآلات والمعادن والكيماويات والمحصلات الزراعية بمعدل سنوى قدره ١٥ فى المائة.

وحدث فى الزراعة تقدم بلغت فى عام ١٩٦٤ نسبته ٦٥ فى المائة عما كانت عليه فى عام ١٩٥٠.

وزادت الطاقة الكهربائية المولدة اكثر من اربعة امثال ما كانت عليه فى عام ١٩٥٠، اذ كانت فى ذلك العام ٢٫٣ مليون كيلوواط فاصبحت فى عام ١٩٦٥ عشرة ملايين كيلوواط.

وزاد عدد المدن والقرى التى دخلتها الكهرباء من ٣٥٠٠ الى خمسين الفا

ان الشحنات التى نقلتها عربات البضاعة بالسكك الحديد بلغت من ٩٣ مليون طنا الى ٢٠٥ ملايين طنا.

تضاعف عدد المدارس الابتدائية والثانوية، فبلغ عددها خمسمائة الف مدرسة، وزاد عدد الكليات الهندسية من ٤٩ الى ١٣٣ كلية، ويلتحق بها كل سنة ٢٣ الف طالب.

ان ٣٥ فى المائة من مجموع الاستثمارات فى الاقتصاد ذهب الى أسس الكيان الاقتصادى. كالطاقة الكهربائية، والنقل، والمواصلات، وصناعة الصلب.

وخصص عشرون فى المائة من الاستثمارات لتنمية الصناعات الحديثة والمناجم.

واستثمر عشرون فى المائة فى البرامج المتعلقة بالزراعة وخاصة مشروعات الرى.

ان الأرقام السالفة الذكر لتدل دلالة واضحة على ان الهند قد قطعت اشواطا بعيدة فى انجاز مشاريعها الانمائية واحراز تقدم ملحوظ فى جميع مجالات الاقتصاد والزراعة معا خلال الخمس عشرة سنة الماضية مستهدفة انتاج مزيد من الغذاء وخلق مزيد من العمالة المربحة لعدد سكانها المتزايد.

ولكن الجفاف الشديد الذى لايكاد يوجد له مثيل فى تاريخ الهند التى طلالا على الهند فى عامى ١٩٦٦، ١٩٦٥، وتأثرت بها سلسلة المكاسب المستمرة التى حققتها الهند خلال الخمس عشرة سنة الماضية ومن ابرز تلك المكاسب زيادة معدل النمو الزراعى الى ٣ فى المائة.

لقد وجهت الهند اهتماما متزايدا الى تنمية القاعدة الصناعية والاقتصادية القوية المتينة، باستخدام الطاقة الكهربائية والنقل والمواصلات والصلب، على انها الدعائم الاربع الرئيسية لاقتصاد دائم النمو.

وبالرغم من ٣٥ فى المائة من جميع الاستثمارات الاقتصادية خلال الفترة تحت الاستعراض كانت فى هذا الاتجاه، فانها كانت أقل ظهورا من البناء الضخم الذى يعلوه. لقد نتجت عن هذا الاستثمار صورة اقتصادية مختلفة تماما عن التى كانت فى عام ١٩٥٠. وكانت الهند وقتئذ تنتج ١٫٥ مليون طن من الصلب فقط، وكانت طاقتها الكهربائية ٢٫٣

مليون كيلوواط فحسب . وخدمتها البريدية كانت لاتغطى أكثر من ٥ فى المائة من البلاد . أما خدمة التليفون فكانت مقصورة على المدن الكبرى .

ومنذ ذلك الوقت قطعت الهند شوطا بعيدا . فخلقت قاعدة قادرة على مقاومة النكسات الاقتصادية المؤقتة ، وتهيئة مركز يمكن للشعب ان يلتف حوله ويطلق جهوده المتضافرة للانطلاق .

قد زادت الطاقة الكهربائية منذ عام ١٩٥٠ بنسبة ٣٥ فى المائة عما كانت عليه حينذاك . وهذا القدر سيتضاعف قبل عام ١٩٧١ . وتستخدم الصناعة اكثر من ٧٠ فى المائة من الطاقة الكهربائية المولدة

وفى نفس الوقت لعبت كهربة الريف دورا متزايد الاهمية فى الرى وفى الصناعات الصغيرة . وزاد عدد المدن والقرى المكهربة من ٣٥٠٠ الى ٥٢ الفا وسيصل هذا الرقم قبل عام ١٩٧١ الى ١١٠ آلاف بينما وصل عدد مضخات الرى التى تعمل على الكهرباء نصف مليون وسيصل الى اكثر من مليون قبل عام ١٩٧١

يوجد فى مناجم الهند مخزون هائل من الفحم يصل مقداره الى مائة الف مليون طن الى جانب امكانيات كهرباء مقدارها ٤١ مليون كيلوواط هذا عدا برنامج « الذرة من اجل السلام » لزيادة الطاقة الكهربائية النووية . ومصانع المعدات الكهربائية الثقيلة التى تنتج المراجل والتوربينات والمولدات والمحولات وما الى ذلك من العدد والادوات لارسال الطاقة الكهربائية الى اماكن بعيدة فبفضل هذه المصانع ستصبح الهند قوة كبرى من حيث إنتاج طاقة كهربائية ما يزيد عن أربعة ملايين كيلوواط سنويا قبل عام ١٩٧١

ان السكك الحديد الهندية فى تقدم مستمر، فقطعت شوطا بعيدا فى جميع مجالات العمل. فزادت الشحنات من ٩٣ مليون طن الى ٢٠٥ مليون طن.

ان الهند تتمتع بالاكتفاء الذاتى فى صناعة القاطرات البخارية وعربات السكك الحديد. وعربات الشحن بل انها تصدر الانتاج الفائض منها الى البلاد الخارجية بما فيها الاتحاد السوفيتى.

وزادت الطرق المعبدة من ٢٥٠ الف ميل الى ٦٠٠ الف ميل، منها طرق ذات سطح صلب يتحمل الأثقال الكبيرة، وزادت حمولة النقل بالطرق ستة اضعاف ما كانت عليه.

يوجد فى الهند موانئ متعددة من حيث الاهمية وحركة النقل التجارى واستقبال البواخر ولا زال عمل ادخال التحسينات والتسهيلات مستمرا، والحركة فى الموانئ قد زادت من ٢٤ مليون طن الى ٥٩ مليون طن، بينما زادت مجموع حمولة السفن اربعة امثال ما كانت عليه فى الماضى، وسيصل الى ٣ ملايين طن قبل عام ١٩٧١

وفى حقل المواصلات زاد عدد مكاتب البريد فبلغ الى ١٠٠ر٠٠٠ (مائة الف مكتب) واحتفل أخيرا بافتتاح المكتب الرقم المائة ألف. كما صدر طابع تذكارى بهذه المناسبة. وزاد عدد مكاتب التليغراف الى ٨٧٠٠ مكتب.

زادت التليفونات اكثر من خمسة أمثال ما كانت عليه وهو حوالى مليون، فاصبح خمسة ملايين، وسيجرى التوسع بحيث تمد الخطوط التليفونية الى المناطق البعيدة قبل عام ١٩٧١.

وسجل الارسال الاذاعى زيادة ملموسة، والارسال على الموجة المتوسطة يصل الآن الى ٧٠ فى المائة من سكان البلاد. وسيكون فى كل قرية فى الهند قبل عام ١٩٧١ مركز استقبال اذاعى.

اما انتاج الصلب، وهو الفقر العمودى للنقل وتوصيل الكهرباء والهياكل الثقيلة والآلات والتنمية الزراعية وجميع الصناعة سواء كانت ثقيلة أم خفيفة، كبيرة أم صغيرة - فقد زاد ووصل الى ٦ر٢ مليون طن من السبائك، وسيتضاعف قبل عام ١٩٧١.

احيا. علوم الدين للغزالى

دراسة تحليليه نقدية الافكار الاحتماعية والانثروبولوحية لما حاء فى الاحياء

الاستاد عبد الهادى الجوهرى

مقدمة

من الجدير بالذكر ان الدراسات الانثروبولوحية تعتبر من أوسع الدراسات الاحتماعية انتشارا وأشملها موضوعا وأقدمها عهدا وأعززها مادة. ذلك ان هذه الدراسة كانت تطلق دائما على كل ما يتعلق بنشأة الاجناس البشرية والثقافات والحضارات الانسانية والنظم الاجتماعية والبحوث المتعلقة بصفات الفزيولوجيه الطبيعية والمميزة للعائلة البشرية وكذلك الآراء المستنبطة من مخلفات الكائنات الحية التى عثر عليها فى الحفريات التى ترجع الى عهود تاريخية سحيقة وعصور جيولوجية قديمة، هذا بالإضافة الى عادات وتقاليد الجماعات البدائية والمتأخرة والمختلفة وطرقها فى التفكير وتأثر نظمها الاجتماعية بنظم معيشتها ومقتضيات حياتها

ولا شك ان هذه النظرية الشاملة للنواحى الطبيعية والفيزيقية والحيوية والنفسية والاجتماعية لها ما يبررها ذلك باعتبارها ان الانسان نوعا وجنسا وسلالة وشعبا وقومية ولغة وثقافة. وفى هذا المقام اجد لزاما حيثما أتناول بالدراسة هذا الموضوع أن أحدد المقصود بالدراسات

---

(١) نقلا عن كتاب الاستاذ الدكتور احمد الخشاب ص ٤ وما بعدها.

الانثربولوجية تحديدا موجزا لضيق المقام حيث ان هذه الدراسات كانت
تنظمها فرعان رئيسيان أحدهما هو :

الانثروبولوجيا الطبيعية (Physical Anthropology) وتهتم بدراسة وتشريح البناء الجسمانى وهيكله الفيزيقى الطبيعى وكذلك الخصائص المميزة للسلالة البشرية والتى على ضوئها تقسم الاجناس البشرية الى عائلات متفاوتة فى لون البشرة والشعر وطول القامة وشكل وحجم الرأس الى ذلك من مختلف الصفات الفيزيقية .

أما الشعبة الثانية وهى الأنثروبولوجية الاجتماعية (Social Anthropology) وقد تحدد موضوعه فى ضوء التطور العلمى الحديث للدراسات الاجتماعية واصبح يعنى بدراسة النظم الاجتماعية للمجتمعات المتخلفة والبدائية والدراسة العملية المنهجية للقطاعات التى ظلت فى مستويات ادنى من القطاعات المتحضرة التى تشترك معها فى وحدة سياسية واحدة كالقطاع الريفى والعشائر والقليل من المجتمع العربى، والاحياء الفقيرة فى المدن الصناعية الكبيرة .

علم الأثنولوجى (Ethnology)

وهو علم حديث العهد ويعد فى منهجه عن الدراسات المتعلقة بنشأة السلالات والأصول الأولى للنوع الانسانى وكذلك الهجرات والتنقلات الموغلة فى القدم التى قامت بها مختلف العائلات البشرية الأولى بهدف التكيف مع البيئات الطبيعية والاجتماعية فى فجر الحياة الانسانية وما ترتب على ذلك من خصائص وصفات عنصرية أو سلالية موروثة ويجدر بالذكر ان المدرسة الفرنسية الاجتماعية تخلط بين مفهوم العلم وعلم الانثروبولوجية الاجتماعية أو الثقافية .

علم الاثنوجرافيا (Ethnography):

وموضوع هذا العلم هو الدراسة وتتبع الآثار الحضارية والثقافية للجماعة البشرية وخاصة ما يتعلق بالوسائل المادية المستخدمة فى استغلال موارد البيئة الطبيعية والآثار الفنية والأسلحة الدفاعية وكذلك مظاهر الحضارات البشرية وسمات كل مرحلة وكذلك الدراسات الأركيولوجية البيئية (Archaeology) وتناول تأثير البيئة على تكييف نظم الجماعات المتأخرة السلبية وذلك لسيطرة البيئة الطبيعية فى مظاهر النشاط الاجتماعى.

ولا شك أنه فى ظل النهضة التطويرية فى المجالات الفكرية والايدولوجية العربية الناهضة أصبح من الضرورى إنشاء علم انثروبولوجيا للعرب. وقد قرر العلامة كورون ان العرب من اوائل الاقوام التى اهتمت بعلم الأجناس البشرية فى دراساتهم للتراث الاجتماعى العربى ويبدو ذلك واضحا فى دراسات إبن فضلان للاسلاف الوثنية لسكان شمال غرب اوربا وما اورده الرحالة ابن بطوطة عن عادات وتقاليد الشعوب التى تعيش فى بلاد المغرب الاقصى من مراكش حتى الصين هذا بالاضافة الى التحليلات الطريفة التى قام بها العلامة بن خلدون للبناء الاجتماعى لقبائل البدو الصحراوية واليه يرجع الفضل فى ادراك ما بين البيئة وطرق المعيشة الانسانية والبناء الاجتماعى من علاقة سببية.

واذا ما تعمقنا فى التراث الاسلامى بصفة عامة والعربى منه خاصة لظهرت لنا طائفة من العلماء والباحثين كان لهم فضل السبق فى دراسة كثير من الموضوعات التى تدخل فى نطاق ما يتعلق بأصول الثقافات والتيارات الفكرية التى أثرت فى المجتمع الاسلامى الأول وكان لها كبير

الأثر فى اضعاف شوكة الاسلام مثل الراوندية[1]، والخرمية الاباحية ومن زعمائها بابك الخرمى ، والدعوة الباطنية بزعامة الحشاشين ومنهم الحسن بن الصباح . والقرامطة ومنظماتهم السرية بزعامة حمدان قرمط ثم جماعة الزنادقة التى اثارت الريبة نحو التقاليد الاسلامية والقيم العقائدية التى يعيش فى كنفها المسلمون وإشاعة الخلاعة والمجون والتشكيك فى عادات العرب وتقاليدهم فاعتبروا الكرم تبذيراً والشهامة تهورا والمروءة ضعفا .

وفى غمار هده التيارات ظهور جماعة من العلماء تصدوا لهذا التغلغل والتسلسل العقائدى وحاربوه فى بحوثهم ومناقشاتهم ومناظراتهم الادبية والعلمية وكان للصوفيين كبير أثر فى الرد على الزنادقة والشكاك الذين حاولوا النيل من مبادئ العقيدة واصول التعاليم الدينية وخاصة جماعة الزنادقة التى سادت وانتشرت بصورة كبيرة فى العهد العباسى وخاصة أيام خلافة هارون الرشيد. ومن أعلام هؤلاء الصوفيين ابو حامد الغزالى وذا النون المصرى المتوفى سنة ٢٤٥ هـ والحسين بن منصور الحلاج المتوفى سنة ٣٠٩ هـ . وشرف‌الدين ابو حفص عمر بن الفارض الحموى المصرى، ومحى الدين بن على بن عربى الصوفى الأندلسى ولا يتسع المجال للإفاضة فى شرح كل منهم وسيرته . انا ساقتصر الحديث على امام الصوفيين ابو حامد الغزالى الذى هو موضوع الدراسة والبحث فى هذه الصفحات .

---

(١) وتنسب الى ابى مسلم الخراسانى وتقول بحلول الروح وانتقالها من من شخص لآخر (قالوا بأن الروح الالهية انتقلت الى سيدنا على ابى طالب حتى وصلت الى ابى مسلم الخراسانى ص ٢٨ وما بعدها . (حركات التسلل ضد القومية العربية. الدكتور ابراهيم احمد العدوى القاهرة ديسمبر ١٩٦١)

تعريف :

أنجب القرن الخامس الهجرى علما من اعلام الفكر الأسلامى ، هو حجة الاسلام ابو حامد ابن محمد بن محمد الغزالى ويجمل بنا ان نشير الى شئ من تاريخ هذا الامام وذلك للوقوف على العناصر التى تظاهرت على تكوين هذه العقلية الفريدة وألوان الثقافة التى احتشدت فى ذهنه وجعلته اهلا لأن يحتل تلك المنزلة الجليلة بين رجال المسلمين ومتصوفيهم وأفذاذ مفكريهم .

وفى مدينة طوس بخراسان ولد ابو حامد من أب عف القلب واليد يغزل الصوف ويبيعه ويختلف فى أوقات فراغه الى العلماء فى حلقاتهم والفقهاء فى دروسهم والوعاظ فى مجالسهم ويستمع اليهم ويتطلع الى صنيعهم فى التعليم والإفادة وبلاطهم بما يتصل من قوته وحاجته وكان تأثره بتلك المجالس وما يدور فيها من فنون العلم والوعظ عظيما . جعله يضرع الى الله أن يهب له ولدا من صلبه يجلس مجالس أولئك الفقهاء والوعاظ واستجاب الله لدعائه فرزقه ولدين أحدهما ابو حامد الذى نتحدث عنه والثانى اخوه أحمد الذى اشتغل بالوعظ وبرع فيه الى درجة كبيرة

ولما حضرت الوفاة ذلك الأب الصالح وصى بأبى حامد وأخيه صديقا له من أهل التصوف وقال له . ان لى لتأسفا عظيما على ما فاتنى من التعلم . واشتهى استدراك ما فاتنى فى ولدى هذين فعلمهما ، ولا عليك أن ينفذ فى سبيل ذلك جميع ما أخلفه لهما .

وأنفذ الصوفى وصيته . وأقبل على تعليمهما حتى فنى المال القليل الذى خلفه أبوهما وتعذر عليه المضى فى تعليمهما أو تقديم الطعام الذى

---

(١) معجم البلدان (١٧/٦) .

يقتاتان به . ولم يجد من السبل ما يحفظ عليهما حياتهما سوى الحاقهما بمدرسة من تلك المدارس التى تقدم لطلاب العلم فيها الغذاء ، والكساء . وقد أحسن الرحل بهما صنعا الى هذين الإثنين اليتيمين ولذلك كان الغزالى يقوم وهو يذكر هذا الصنيع اطلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله . ومعنى ذلك أنهما طلباه ليكون وسيلة للعيش ، يجرى عليهما بسببه ما يجدى على طلبة العلم ، وكان أن أوصلهما الى الغاية الحقيقية من طلب العلم وهى معرفة الله تعالى حق المعرفة

وقد قرأ طرفا من الفقه ببلدة طوس ثم سافر الى جرجان وأخذ عن أبى نصر الإسماعيلى ثم رجع الى طوس فأقام بها الى ما شاء الله حيث ارتحل الى نيسابور ويلازم امام الحرمين ويجد فى طلب العلم ويبدع فى الجدل والمنطق والفلسفة ويفقه كلام أهل تلك العلوم ويتصدى للرد عليهم وابطال دعاويهم ثم يقيم ببغداد يدرس فى المدرسة النظامية ويقهر مناظريه حتى يعترف له الجميع بالفضل ويتألق نجمه حتى ليقال ان مجلس الغزالى كان يحضره ثلثمائة عمامة من أكابر العلماء. وأصبح مضرب المثل فى التدريس والإفادة . تشد اليه رحال طالبى العلم وأهل الورع ولكن نفسه تصد عن المنصب والجاه ، يرى ان العلم مع شرفه والتعليم الذى يقوم غير خالصين لوجه الله تعالى بل باعثهما ومحركهما طلب الجاه وبعد الصيت . ويتقن أنه على شفا جرف هاو وأنه قد شفى على الهلاك ان لم يسرع بتلافى ما هو فيه ثم انتقل الى مكة بعد ان فرق ما كان معه من المال وأقام بالشام سنتين لاشغل له الا العزلة والمجاهدة والرياضة اشتغال

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٠٧/١) - وطبعة البابى الحلبى ١٣٥٥ هـ القاهرة .

بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى ـ وفى تلك الرحلات صدفت نفسه عن الدنيا ولبس الخشن من الثياب وقلل من طعامه وشرابه ويروض نفسه ويكلفها مشاق العادات وفى هذه الأثناء ألف كتاب احياء علوم الدين.

الخصائص الفكرية للتيارات المذهبية التى عاصرها الغزالى

ويجدر بالذكر فى هذا المقام أن القرن الخامس الهجرى الذى عاش فيه الغزالى هو القرن الذى نضجت فيه العلوم وتعددت روافده بين أصيل ودخيل، وأخذ من هذا وذاك. واختلفت اساليب المعرفة ومناهج البحث عن الحقيقة التى ينشدها كل مفكر. وكثر المتكلمون فى العقائد وفى اصول الدين وفى الطبيعة وما وراء الطبيعة وفى المذاهب والديانات وفى أفعال العباد وغاياتهم. وكثر المتكلمون فى كل مسألة من هذه المسائل واختلفوا فيما بينهم اختلافا عظيما حتى كان التوفيق بين هذه المذاهب ضربا من ضروب المستحيل وأمام هذا الغلو فى الاعتقاد والتعصب لرأى أو منهج أو طريق سلوك ورفض كل ما عدا أولئك، يجد الباحث المجدد نفسه امام تيار من التردد وسيل من الشك فى اى الطريق يختار لنفسه، ان كان لايرى التقليد فى ايثار هذا المذهب على ذلك.

وجد الغزالى نفسه بين هذه المذاهب التى لاتكاد تحصى مبدأ حيث بدأ غيره يلم بأطراف من الثقافة السائدة ونفسه تتطلع للمزيد، واذا المزيد الذى يريده لليقين يسلمه الى شك طويل، واذا هذا الشك يبدو أمامه فى كل أثر، ولكنه لايسرع الى الحق ولا يسرع الى اليقين فان قلبه وعقله

(١) معجم البلدان ص ٧ مطبعة السعادة ١٩٠٦ م.

لايرضيان بما رضى به غيره من الأتباع ولذلك اضطره الشك الى المكابدة في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق ، مع تباين المسالك والطرق والى الجرأة من الانقاء عن خصيص التقليد الى بقاع الإستبصار .

وكتابه احياء علوم الدين يتضمن بحوثا شيقة ممتعة مستفيضة فى علم النفس ، والفلسفة والاجتماع والتصوف الى جانب ما نطالعه فيها من أصول الدين وحقائق التشريع هذا وقد ذكر المؤرخون ان الغزالى حدث بكتاب الإحياء بعد عودته الى بغداد موقف رحلته الى بلاد الشام أى بعد تلك الفترة التى عزفت فيها نفسه عن الدنيا وفى هذا الكتاب بحوث فى الأنثروبولوجيا الاجتماعيه ممتعة وشيقة وخاصة ذلك الجانب الثقافى فيها هذا وسوف اركز اهتمامى على ذلك الجانب من الأنثروبولوجيا الاجتماعيه الذى تناوله فى كتابه الثانى من احياء علوم الدين والذى يشتمل على آداب الأكل وآداب النكاح وأحكام الكسب . والحلال والحرام ، وآداب الصحبة والمعاشرة مع اصناف الخلق والعزلة ، وآداب السفر ، والسماع والوجد ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وآداب المعيشة وأخلاق النبوة .

والذى ينظر فى هذه الموضوعات يتضح له انها تعالج النفس الانسانية على أوسع نطاق وتناولها من أكثر جهاتها ، وتدرس شتى علائقها . ففيها درس الغزالى الانسان مع ربه سبحانه وتعالى ، والانسان مع نفسه ، والانسان فى مجتمع مع غيره من الناس . وهذا الجانب الذى سأركز عليه اهتمامى وهو الفرد فى المجتمع عند الغزالى وطبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة فى نظره والتعاليم والآداب والظواهر المرعية وتهدف تلك الدراسة الى جانب السعادة الروحية وعناصر الإستقرار الاجتماعى والأمن الجماعى .

هذا ومن خلال التحليل العلمى لكتاب احياء علوم الدين ودراسته من جانب الأنثروبولوجيا الثقافية وهذا العلامة العربى نجد انه قد جمع بين دفتيه عقليات ثلاثه :—

العقلية الشرعية :— وتبدو اثارها واضحة فيما بسطه الغزالى من احكام الفقه وأصوله وما اعتمد عليه من نصوص القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين وأقوال الفقهاء وحكماء الشرع والتأويل . هذا ويعد أصول العلوم الشرعية أربعة : كتاب الله سبحانه ، وسنة رسول الله صلوات الله عليه ، واجماع الامة ، وآثار الصحابة .

العقلية الفلسفية .— ويقصد بها يقظة العقل والقدرة على التبصر ، وفهم الكون تشواهده وظواهره ومحاولة الوصول الى اعماقه والى سر الحياة والأحياء ودراسة النصوص دراسة تخضع لأحكام العقل والتفكير والتغلب على الأخطاء الشائعة .

العقلية الصوفية :— ظهر للغزالى انه لامطمع له فى سعادة الآخرة الا بالتقوى وكف النفس عن الهوى وأن رأس ذلك كل قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافى عن دار الغرور والإنابة الى دار الخلود والإقبال بكنفة الهمة على الله وأن ذلك لايتم الا بالأعراض عن الجاه والمال والهرب من الشواغل والعلائق .

وهذه هى بعض الإشارات التى يفيض بها هذا الأثر الخالد ، يقصد اليها المصلحون والمفكرون من طلاب الشريعة ، وطلاب الحقيقة الباحثون فى أسرار الإعتقاد وحقائق الايمان والأعمال وقواعد السلوك ليجدوا فيها غذاء لعقولهم وريا لظمئهم وشفاء لأدواء قلوبهم ، وتبديدا لظلمات الحيرة

فى نفوسهم فأمنا فى سلوكهم ونجاة من موبقات هذا السراب الأخاذ فى دنيا الباطل والضلال . وسبيلا الى السعادة بالمعرفة النافعة والحكمة البالغة .

ولاشك ان الباحث يقرأ فى هذا الكتاب من اصول التربية وقواعد التأديب ومراعاة حال النشرة فى تلقى العلوم ما يضارع آراء كبار الفلاسفة وعلماء النفس ويتضح ذلك جليا فيما كتبه فى وظائف المرشد المعلم وأنه مهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما ليحفظ آدابه ووظائفه التى تحتم عليه وأهمها :—

١ — الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه .

٢ — الإقتداء بصاحب الشرع الشريف فلايطلب على العلم أجرا ولايقصد به جزاء ولا شكرا .

٣ — ألا يدع من نصح المتعلم شيئا وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى .

٤ — زجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا التوبيخ ، فان التصريح تهتك حجاب الهيبة .

٥ — تعويد المتعلم على احترام فروع العلوم المختلفة وعدم تفضيل فرع على آخر .

٦ — الا يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه .

٧ — ان المتعلم القاصر ينبغى ان يلقى اليه الجلى اللائق به ، ولا يؤكد له ان وراءه توقيعا يدخره عنه .

---

(١) احياء العلوم ص ١٣١ الجزء ١ .

٨ — ان يكون المتعلم عاملا بعلمه ، فلا يكذب قول فعله ، لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالابصار .

وما بسطه الغزالى فى هذه الآراء هو ما يقول المربون المحدثون فى الانتقال بالمتعلمين من الجلى الى الخفى ومن السهل الى الصعب ومن البسيط الى المركب وما يقوله علماء النفس فى الإدراك وأثر الحواس . وفى هذا الكتاب نجد واضحا الغزالى عربى وصاحب نظريات البيداجوجيا حيث توجد مادة دسمة المعانى واسعة الأطراف

وقد جاءت بحوثه فى هذا الصدد شيقة ممتعة ، وهى فضلا عن طرافتها تقدم للمتأمل مادة ثمينة شيقة . والعلم البيداجوجيا آراء ونظريات سيكولوجية جديرة الدراسة والبحث وللقائمين بالتربية ملاحظات وتوجيهات صائبة لا يزول لها المقام الأول فى التربية الحديثة

المعرفة عند الغزالى :

قبل ان أتناول المعرفة عند الغزالى مبينا المذهب الصوفى للمعرفة لابد من التمهيد بدراسة موجزة عن المعرفة عند بعض الفرق الكلامية فى الاسلام مثل المعتزلة . واهل السنة والأشاعرة حتى يتضح فى جلال موقف الغزالى من هذه الفرق وحتى يمكن استبانة منهجه فى هذه النظرية بالنسبة للمذاهب الحديثة فى الفلسفة المعاصرة عند كانت .

فالملاحظ ان القرآن الكريم كان هو المعين الذى تنبع منه موضوعات الجدل عند المتكلمين ، والقرآن يخاطب العقل احيانا والوجدان والعقيدة حينا آخر ولا يقوم على برهان منطقى أو استدلال عقلى وأن كانت آياته بينات لا تتنافى مع منطق العقل الا ان كتاب الله سبحانه لا يطيل فى

الجدل ولا يوغل فى النقاش تماشيا للخلاف وتجنبا للفرقة بين المسلمين . وقد اهتدى المتكلمون بهدى القرآن ودخلت فى مذاهبهم الأساليب العقلية بعد تطور الإسلام واختلط أهله بكثير من الأمم المتمدنة حتى يمكننى القول بأن الجدل الدينى قد نما نماء الحضارة بتفلسف .

المعتزلة :

ويمثل المعتزلة بحق النزعة العقلية بين المتكلمين خير تمثيل فقد قضوا على جمود اهل السلف ممن تشبثوا بالنص وكانوا يتخذون من العقل حكما وجاهدوا فى دراسة الآيات المتشابهة وتنقية الأحاديث النبوية .

أهل السنة .

كانت هذه الطائفة تعمل بالنص اذا كان واضحا ولا يشغلون أنفسهم بتفسيره وايضاحه إن كان غامضا ، لذا نجد ان المعتزلة ذوى فضل لا ينكر فى تنمية المعرفة الدينية وادخال الفكر والفقه فى مسائل الدين .

وقد جاهد المعتزلة فى شجاعة فى البدء فى كل معرفة بالشك والتحفظ حتى اذا ما تم الوصول الى اليقين كان يقينا معززا سليما . وفى هذا وجه الشبه بين الغزالى وفلاسفة المعتزلة وفى هذا المقام يقول النظام وهو فيلسوفهم الأكبر «الشاك أقرب اليك من الجاحد ، ولم يكن يقينا حتى صار فيه شك ، ولم ينتقل أحد من اعتقاد الى اعتقاد حتى يكون بينهما حال شك .

من نظريات المعتزلة :

ومن أهم نظريات المعتزلة نظرية الحسن والقبح العقليين ، فما استحسنه العقل كان حسنا وما استقبحه كان قبحا .

الأشاعرة :

وهذه الطائفة تقف موقفا وسطا بين تحرر المعتزلة وجمود أهل السنة فيجعلون العقل فى مرتبة تالية للشرع

الفلاسفة المسلمون :

وقد ميزوا بين نوعين من المعرفة معرفة تدرك بالعقل وهى الحكمة ومعرفة تدرك عن طريق النصوص الدينية ، وهى الشريعة ، وبحثوا كذلك فى طبيعة العقل الذى تقوم فيه المعرفة ، وأخذ عن أرسطو نظريته فى العقل الفعال والعقل المنفعل ، فالأول هو المحرك والثانى هو الذى تتم به معرفة الأشياء وخروجها من القوة الى الفعل ، والعقل الفعال هو الذى يمكن ان يفارق البدن ، واستندوا الى ذلك فى القول بخلود النفس وذهبوا الى أن العقل الفعال حين يفارق البدن يتصل بالعقل الالهى

فى الفلسفة الحديثة المعاصرة :

فقد تعددت معالم نظرية المعرفة وتعددت المذاهب فى دراستها وأهم هذه المذاهب هو المذهب العقلى : وفيلسوفه الحديث ديكارت ، وملخصه أن العلم الحقيقى يصدر عن العقل فى العقل أهم خصائص هذا العلم وهى الضرورة والصدق المطلق ، والمذهب التجريبى . ويمثله الفيلسوفان جون لوك ودفيد هيوم ويحتكم أتباعه الى التجربة ، والمذهب النقدى ويمثله كانت والمذهب الحدسى ويمثله هنرى برجسون والمذهب الوضعى ويمثله أوجست كونت والمذهب البراجماطى ويمثله وليم جيمس وجون ديوى .

الحب الالهى عند الغزالى:

للصوفية المسلمين عامة ، والغزالى خاصة فى مكابدة الحب الالهى ومشاهدة الجمال الحقيقى أذواق تعرض لهم ، ومواجيد تختلف عليهم وفيما بين هذه وتلك أحوال تملك عليهم نفوسهم وقلوبهم وعقولهم وأرواحهم وما تزال هذه الأحوال بين اقبال عليهم تارة وادبار عنهم تارة أخرى حتى يتمكن الحب الالهى وتتمكن مشاهدة الجمال الحقيقى من قلب العبد وقد خلصت جوارحه الظاهرة وجوانحه الباطنة من كل شائبة من شوائب الحس ونقائص النفس فاذا هو يصبح ممكنا فى حالة تقدر ما تصبح حالة متمكنة من جوارحه وجوانحه ، فالقبض والبسط والهيبة والأنس والتواجد والوجد والوجود والجمع والفرقة . والفناء والبقاء . والغيبة والحضور والسكر والصحو . والمحو والاثبات كل أولئك أحوال تعرض للسالكين طريق الحب الالهى المشتاقين الى مطالعة الجمال الأزلى وكلها ينطوى على طائفة من المعانى النفسية . والخلقية والروحية والميتافيزيقية التى لابد من الكشف عنها وعن قيمتها اذا أردنا تحليل حب الانسان لله تحليلا علميا وأن نأوله تأويلا فلسفيا ويتضح ذلك جليا مما أورده عبد الرزاق الكاشانى فى شرحه لتائية ابن الفارض الكبرى .

« كشف الوجوه الغر لمعانى نظم الدر » يحلل ويؤول جمال السكر الذى يقع للمحب فى مشاهد الجمال المحبوب فيقول السكر دهش يلحق سر المحب فى مشاهدة جمال المحبوب فجأة لأن روحانية الانسان التى هى جوهر العقل لما جذبت الى جمال المحبوب بعد شعاع العقل عن النفس وانتهى الحس عن المحسوس وألم بالباطن فرح ونشاط ونزهة وانبساط لتباعدة عن عالم التفرقة والتمييز وأصابة يسر وهيمان وولة لتحير نظره فى

شهود الجمال وتسمى هذه الحال حالة سكر لمشاركتها السكر الظاهرى فى الأوصاف المذكورة الا أن السبب لاستتار العقل فى السكر المعنوى غلبت نور الشهود. وفى السكر الظاهرى غشيان ظلمة الطبيعة لأن النور كما يستتر بالنور الغالب كاستتار نور الكواكب بغلبة نور الشمس. والقول فجأة لأن صدمة نور الجمال فى النظرة الأولى أكثر وفى النظرات بعدها تقل عن التدريج لحصول الانس بوصول الجنس.

وان الكاشانى ليستطرد فى تحليله، وتعليله، وتأويله متطرقا من حال السكر الى حال الصحو فيقول «حتى اذا استقر تداول حال المشاهدة ورجع كل جزء من أجزاء الوجود الى أصله عاد شعاع العقل الى عالم النفس والحس وظهر التمييز بين المتفرقات من المعقولات والمحسوسات وتسمى هذه الحالة صحوا».

ويحلل الكاشانى العناصر المعنية للسكر على هذا الوجه الفلسفى الصوفى فيتضح ان السكر وارد قوى يرد على القلب المحب فاذا تمكن منه واشتبه ولاحت له فى اثناء لوائح الجمال الحقيقى غلبه السكر وغيبه حتى لا يصبح له من نفسه أثرا ولا خبرا ومن هنا وقد عاين المحب محبوبه فى هذه الحال التى أصبح فيها دهشا ولها لا يستطيع أن يعبر عن حاله، وعلى ما يجد فيها كما كان يعبر من قبل وقوعه فيها وخضوعه لها، وانما هو يعبر بعبارات مستبهمة وعبارات مستغلقة ذات معانى نستشنعه لأنها عند من يأخذها على ظاهرها وليس من أصحاب الأذواق والمواجيد ليست مما يوافق المعقول والمنقول، والألفاظ والعبارات التى من هذا القبيل والتى تصدر عن المحبين وقد غلبهم الوجد وغيبهم السكر فى مشاهدة جمال المحبوب الحقيقى

هى التى يطلق عليها أسم الشطحات ، والشطح كما يقول احد المتصوفة هو من زلات المحققين . فالحلاج وابن الفارض مثلا حين عبر أحدهما أو كلاهما عن حاله فى الحب الالهى وعما استشعره فى مشاهداته ومكاشفاته بألفاظ وعبارات توهم الاتحاد بين المحب والمحبوب وحلول المحبوب فى المحب انما كان يصطنع لغة الشطح التى أفصح عن حالة فيها وكان من المفروض عليه ان يسترها ويخفيها لأنه أفصح عن سر من الأسرار الالهية التى لم يتلقى اذنا اليها بالأفصاح عن هذا ومن هنا كان طعن الطاعنين فى قول الحلاج عن اتحاد المحب والمحبوب فى مقالته المشهورة التى لقى حتفه من أجلها .

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرتنى أبصرته واذا أبصرته أبصرتنا

وكان للصوفية الذين استوعب الحب الالهى نفوسهم وملك الوجد الروحى عليهم قلوبهم شطحات كثيرة لايتسع فى مجال هذا البحث والافاضة فيها تصارعت فيها الأهواء وتضاربت حولها الآراء بين منفر منها ومحبب فيها ومستحسن لها الا أن الغزالى قدم لنا فى هذا الصدد بحوثا طريفة كان لها اثرا كبيرا فى الرد على الذين حاولوا التشكيك فى العقيدة الدينية والنيل من المبادئ الاسلامية والنيل من التراث العربى الفكرى من الفرس الدخلاء . وفى هذا المقام أورد تحليله لحب رابعة العدوية لله سبحانه تعالى قولها المشهور :

أحبك حبين حب الهوى وحب لأنك أهل لذاك
فأما الذى هو حب الهوى فشغلى بذكرك عن سواك

وأما الذى أنت أهل لـــه فكشفك للحجب حتى أراك

فلا الحمـــد فى ذا ولا ذاك فى ولكن الك الحمد فى ذا أو ذاك

يقول الغزالى انها تقسم الحب نوعان كل له طبيعته الخاصة والدافع المعين الذى يدفع اليه والغاية التى تقصد منه وقال اعلاها أرادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظ العاجلة والحبه الى ما هو أهل له الحب لجماله وجلاله الذى انكشف له . هو أعلى الحبين وأقواهما ولذه مطالعة جمال الربوبية

الآداب الاجتماعية عند الغزالى

الآداب الاجتماعية عبارة عن الطرق المألوفة التى تنشأ بصورة غير واعية وتلقائية لتحقيق اهدافا غير مقصودة أو محدودة للقيام بما تمليه قواعد الحياة اليومية العامة التى تتطلبها الجماعة والتى تستمد جراءتها من ضرورات الحياة الاجتماعية لتحقيق أهداف نفعية هذا وقد افرد الغزالى الباب الثانى من كتابه احياء علوم الدين للحديث عن مجموعة عديدة من الآداب الاجتماعية الاسلامية مثل الآداب المتبعة فى الأكل مبينا الآداب المستحسنة والأخرى المستبيحة والتقاليد الخاصة بالضيافة وإكرام الضيوف . وبايجاز فانه استطاع أن يوضح كيف ان هذه القواعد تعتبر معيارا مطلقا لا بد وأن يخضع له الأفراد فى مواقف سلوكهم ومواقف استجاباتهم هذ وفضلا عن تناوله بعض الآداب المتعلقة بشئون الأسرة ورعاية الزواج والتربية البدنية والأخلاقية والعقلية للاسرة متأثرا بظروف البيئة العربية وطبيعة المجتمع القبلى فقد أفرد جزءا خاصا للحديث عن المعاملات التجار فى المجتمع العربى وما تفرضه من قواعد تنظيمية يرتبط بها الأفراد ارتباط

يصل الى درجة الالزام المطلق لا يستطيعون منها فكاكا وذلك بسبب اصالة النظم وانحدارها من الأجيال المنصرمة الى الأجيال اللاحقة وثباتها وجودها وعدم تغيرها مما ساعد على انغراسها فى نفوس الافراد وأفكارهم وتعودهم عليها والأخذ بمقتضياتها هذا ويقرر العلامة الغزالى حين حديثه عن ظاهرة الضيافة والعلامات المتصلة بها والتقاليد المرعية بصددها والعرف السائد المتبع بين العرب بشأنها أن هذه الظاهرة احدى الضرورات الاجتماعية للمجتمع العربى حيث تعمل على سلامة المجتمع واستقراره وتشيع روح الألفة والمودة بين قبائله وفى هذا المجال التكوينى المورفولوجى للمجتمع العربى من حيث كونه قبائل متفرقة متباعدة لكل رئيسها وجيشها وحماتها وسهولتها ودياناتها والتنظيم الأسرى الخاص بها وقوافلها التجارية المعنية التى تجوب الديار والأمصار وهذا بالطبع لا بد أن يجعل الكرم ورعاية الضيف عادة متاصلة فى نفوسهم لان سلطانها الخاص عليهم وتعمل على حفظ كيان المجتمع القبلى من الانهيار والاضمحلال فهى عملية اجتماعية تعمل على سير نظامه على وتيرة واحدة وبسرعة منتظمة وتأمين أوضاعه والمحافظة على كيانه وفى ضوء المفاهيم الاجتماعية العلمية الحديثة يمكن القول بأن بحوث الغزالى أوضحت مما لا يدع مجالا للشك أو الريب أنها معايير تنظيمية ضابطة بصفة مطلقة يخضع المسلم لأحكامها ويكيف مواقفه وسلوكه وفقا لها اذا أراد ان يبقى على مكانته الاجتماعية داخل اطار القبيلة التى ينتمى اليها .

الكتاب الثانى من احياء علوم الدين

فى هذا الكتاب من تحليلنا له ودراستنا اياه تبرز الى حد واضح العقلية الاجتماعية للامام الغزالى وفيه يتناول بعض الآداب الاجتماعية

المتعلقة ببعض مظاهر العرف والتقاليد والعادات الاجتماعية فى المجتمع الاسلامى حيث تناول آداب الأكل وآداب النكاح وأحكام الكسب والحلال والحرام وآداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق والعزلة وآداب السفر والسماع والوجد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وآداب المعيشة وأخلاق النبوة وفيه ذكر أيضا اسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع فى مجاريها .

وهذا وسأضع نصب عينى توضيح الاتجاه الذى يجنح اليه هذا العالم الاسلامى فى كتاباته هل هو الاتجاه الشوئى ؟ وبذلك يمكن القول بأنه من علماء المدرسة الشوئية (Genetıl) يرى أن لكل ظاهرة معينة وظيفة تؤديها ومهمة اجتماعية تحققها وبذلك يساير المنهج الذى اتبعته المدرسة الوظيفية . . الخ الى آخر ذلك من المدارس الأنثروبولوجية الحديثة .

كتاب آداب الأكل .

يقول الغزالى فى الجزء الثانى من الاحياء لا طريق للوصول للقاء الله سبحانه الا بالعلم والعمل ولا تمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا يعصم سلامة البدن الا بالأطعمة والأثواب فمن هذا قال بعض السلف الصالحين أن الأكل من الدين وعليه نبه رب العالمين فى قوله تعالى «كلوا من طيبات ما رزقناكم واعملوا صالحا» وذلك حتى يتزن بميزان الشرع شهوات الطعام فى الحصول عليها وممارستها . وهذا ويرى الغزالى ان للأكل وظيفة اجتماعية هى مواصلة السعى ورعاية الحقوق الاجتماعية المختلفة وكذلك الدينية بجانب الوظيفة البيولوجية وفى هذا نجد أن الغزالى فى هذا الاتجاه يمكن القول بأنه يتبع المدرسة الوظيفية التى ترى أن لكل

ظاهرة وظيفة معينة وفى هذا ما يقرب وجه الشبه بين الإمام الغزالى والعلامة برأون ومالينوفيكى حيث كان يرى هذا الأخير أن الوظيفة الاجتماعية لا بد وأن يكون لها عادة جزئية وهى الدور الذى تلعبه فى الحياة الاجتماعية كلها وذلك باعتبار هذه الحياة هى النسق الاجتماعى الكلى .

فى باب آداب الضيافة[1] :

نراه يتحدث عن آداب الضيافة مشيرا الى بعض العادات الخاصة بكرم الضيافة والتى انتشرت فى الصدر الأول من الإسلام وقبل الإسلام منذ عهد ابراهيم عليه السلام وكيف انتشرت هذه العادات وكونت قيما اخلاقية وأنماطا معينة اهتدى بها المجتمع الإسلامى وصارت احدى دعائمه فيما بعد ويستشهد بقول الرسول الكريم « ولا خير فيمن لا يضيف ومن وافق من أخيه شهوة غفر الله له[2] » ومن ذلك قوله ان ابراهيم الخليل كان يكنى ابا الضيفان حيث كان اذا اراد الاكل خرج يلتمسه لذى أهل الخير فيمشى ميلا أو ميلين وكذلك فى الإستضافة يقول الغزالى اذا دخل ضيف البيت فعلى صاحب المنزل ان يعرفه القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك والشافعى رضى الله عنهما . كذلك ما تناوله من آداب معاملة الضيوف وإكرامهم وبهذا يمكن القول ان الغزالى فى هذا الاتجاه يسير وفق منهج المدرسة الانتشارية ومنهجها فى بحث التراث الانسانى والعالمى والبحث فى مسائل العادات وتشابه الفنون والتراث الشعبى . هذا ويمكن القول بأن وجه التشابه واضح بين تيلور فى دراسته لتشابه العادات

---

(١) الاحياء الجزء الثانى صفحة ١٢ .

(٢) الطبرانى من حديث أبى الدرداء .

والتقاليد نتيجة للظروف العقلية المتشابهة وما ذهب اليه الإمام الغزالى من حيث أن الثقافة الإسلامية ضيعت عقلية المسلم بطابع مميز غيره من الأمم.

واذا ما نظرنا الى بعض الآداب الاجتماعية التى يتناولها الغزالى فى كتابه احياء علوم الدين يتضح بجلاء أنها تعكس بعض القيم الاجتماعية التى سادت فى المجتمع العربى وما زالت تمارس سلطانها وقوتها حتى الآن فمن ذلك ما رواه عن الامام على رضى الله عنهما قوله « من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء. ومن أكل كل يوم ٧ تمرات عجوة قتلت كل دابة فى بطنه ومن أكمل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير فى جسده شيئا يكرهه [1] » إلى آخر الوصايا والحكم التى تناولها الإمام على فى حديثه ثم بعد ذلك يتناول الغزالى موضوع الأكل فى السوق ويرى أنه دليل التواضع وعدم الكلفة ثم استطراده إلى كلام الحجاج حين سؤاله لبعض الأطباء عن صفة يطمئن بها واجابتهم له: « لا تنكح من النساء الا فتاة، ولا تأكل من اللحم الا فتيا ولا تأكل المطبوخ حتى يتم نضجه ولا تشرب دواء الا من علة، وما رواه عن قول العرب « تمشى تمشى أعمى تجدد مصداقا لقوله تعالى « ثم ذهب الى أهله يتمطى[2] وما رواه عن العرب من قولهم ترك الغداء يذهب بشحم الكاذة وما رواه عن قول حكيم لسمين أرى عليك قطيفة من نسج اخوانك ثم قال « من أكل لباب البر وصغار الماعز » وما رواه عن ذى النون المصرى حينما حبس ولم يأكل أياما فى السجن وبعثت له أخت فى الله طعاما مع السجان فلم يأكله فلما عاتبته قال « جاءنى الطعام على طبق ظالم » من هذه الاجتماعية يمكن

(١) و (٢) المرجع السابق صفحة ٢.

ان تحلل العقلية للامام الغزالي حيث كان يعتمد على بعض ما سماه أقطاب الصدر الأول من الإسلام وما مارسوه من أفعال وما درجوا عليه من عادات انتشرت فى صميم المجتمع الإسلامى وعمت ارجاءه ومنه سارت فى كافة الأقطار الإسلامية الأخرى بل وضع الكتاب والشراح وإذا ما حللنا هذه التعاليم والمبادئ على ضوء الدراسة الأنثروبولوجية نجد أنها تمثل التفسير البسيط لأصول النظم الاجتماعية التى يسير عليها المجتمع الاسلامى الأول ويظهر وجه الشبه قويا بين هذا الاتجاه وما ذهب اليه ايفانز بريتشارد حينما قال ان الفيلولوجيا والقانون والاقتصاد والفلسفة والعلم كانت المصادر الأولى فى الوقوف على أصول الأشياء وطبيعة النظم وبهذا يمكن القول بوضوح ان هذا الاتجاه الذى ذهب اليه الإمام الغزالى يمثل الدراسة الشوية للاداب الاجتماعية فى المجتمع الاسلامى الأول حيث نلمس أثر الأفكار والتعاليم الدينية واضحا فى عادات الأكل والضيافة المعاشرة وما سيتضح بعد ذلك حين تحليل ما جاء فى الإحياء من نظم ودراسات اجتماعية طريفة

(يتبع)

---

(١) دراسات انثروبولوجية الدكتور أحمد الخشاب صفحة ١٤٨ وما بعدها .

الانباء الثقافية

استقبل المجلس السيد تقى تفضلى، رئيس مكتبة البرلمان الايرانية، الذى أقام هنا مدة ثلاثة أسابيع وفى أثناء قيامه هنا فى الهند اجتمع السيد تقى تفضلى برؤساء المكتبات المختلفة، كما زار بعض المكتبات فى كل من دلهى، ولكهنئو، ووارانااسى، وبتنا، وكلكته، وحيدرآباد وبومباى.

* * *

نظم المجلس بتعاون مع «ماكس ميولربهون» (المعهد الالمانى) عقد ندوة حول موضوع «التعليم فى مجتمع اليوم». قد عقدت الندوة فى الفترة ما بين ١١ و ١٩ مارس ١٩٦٨ فى آزاد بهون. واشترك فيها خبراء التعليم البارزون من الهند وألمانيا الفيدرالية.

بالاضافة إلى ذلك نظم المجلس معرضا للكتب حول نفس الموضوع خلال فترة انعقاد الندوة فى آزاد بهون.

* * *

وجه المجلس دعوة لما دام مادلين مالروكس من فرنسا لعرض غنائها والموسيقى فى قاعة آزاد بهون فى ٩ مارس ١٩٦٨.

* * *

صدر من المجلس أخيرا الكتب التالية:

(١) (العلم والسلام العالمى) وهو يحتوى على محاضرات آزاد التذكارية لعام ١٩٦٧، التى ألقاها الاستاذ لينوس بالين.

(٢) «الهند والعالم العربي» وهو يحتوى على محاضرات جلسات الندوة التى نظمها المجلس فى فبراير سنة ١٩٦٥ .

(٣) «الهند وجنوب شرق آسيا» وهو يحتوى على محاضرات جلسات الندوة التى نظمها المجلس فى سنة ١٩٦٦ .

(٤) «المسرح فى الهند» للأستاذ سوم بينغل .

* * *

قدم المجلس هدية الكتب إلى مختلف المعاهد فى البلاد التالية :

باكستان الشرقية ، ايران ، النمسا ، لاوس ، اندونيسيا ، برازيل ، تنزانيا ، فرنسا ، ميكسيك ، السويد ، تونس ، غانا ، تشيكوسلوفاكيا ، سوريا ، أوغاندا ، إيرلندا ، اليابان ، فيتنام الجنوبية ، هولندا ، كوبا ، ماريشس ، استراليا ، ماليزيا ، تركيا ، كينيا .

بالاضافة إلى ذلك ارسل المجلس تحفا فنية ، وذلك لتقديمها إلى الفائزين بالجوائز فى المسابقات الادبية التى نظمت فى كل من السويد ، وتركيا ، وهولندا ، وألمانيا الغربية ، وتشيكوسلوفاكيا ، والارجنتين . كما ارسل المجلس عدد ولوازم الالعاب إلى تنزانيا .

* * *

تلقى المجلس من مجمع اللغة العربية بدمشق الكتابين القيمين وهما :

(١) «تفسير أرجوزة أبى نواس» تحقيق محمد بهجة الاثرى .

(٢) «أخلاق الوزيرين» لابن حيان على بن محمد التوحيدى .

* * *

أصدرت السفارة الهندية بالقاهرة عددا جديدا من الكتاب السنوى الزاخر بالمعلومات الوافية عن الهند باللغة العربية. ان الكتاب (الهند ١٩٦٧) يعد مرجعا ودليلا لبلاد السحر والجمال والفنون والآداب، وهو مطبوع طباعة فاخرة بالالوان والصور. ويقع فى اكثر من ٢٠٠ صفحة من القطع الوافر.

• • •

أعلنت اللجنة الهندية القومية لهيئة اليونيسكو عن مسابقة ادبية حول حياة المهاتما غاندى وذلك مشاركة فى احتفالات العيد المئوى لميلاد المهاتما.

ان المسابقة مفتوحة لجميع افراد الشعب وللطلبة. أما موضوع المقال فهو:

«غاندى وتحرير الانسان».

• • •

ان الجمهورية العربية المتحدة كونت لجنة تحت رعاية السيد دكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة لوضع خطة الاحتفالات خلال عام العيد المئوى لميلاد المهاتما غاندى.

• • •

قررت حكومة المغرب تشكيل لجنة على مستوى عال تضع الترتيبات اللازمة للاحتفال بمرور ١٠٠ سنة على ميلاد المهاتما غاندى فى جميع انحاء المغرب. وعلم أن وزير البريد والبرق المغربى سوف يصدر طابعا خاصا بهذه المناسبة.

أصدر الرئيس الفيليبينى ، فرديناند ماركوس ، قرارا يقضى بأن نحتفل فى بلاده بالذكرى المئوية لمولد غاندى فى ١٩٦٩ ، كما أنشأ لهذا الغرض لجنة قومية فيلبينية ، وقد جاء فى القرار الذى أصدره الرئيس الفيليبينى : ان الزعيم الهندى الراحل هو احد الرجال القلائل فى عصرنا ، اذ ساعدت آراؤه على تغيير العالم والى تصعيد اشتياق البشرية الى السلام والحرية » .

وقد عبر القرار عن رغبة الفيليبين فى « ان تشاطر حاجة العالم الماسة لكى تترجم آراء المهاتما غاندى وآماله الى معايير الحياة العادية » .

* * *

قرر صندوق تخليد ذكرى لال بهادور شاسترى رئيس وزراء الهند الراحل انشاء كرسى للفلسفة الهندية والعلاقات الدولية بمعهد كاشى فيديابيتهه ، حيث تلقى شاسترى علومه . ويبحث الصندوق اقامة تمثال لشاسترى فى مكان مناسب بالعاصمة الهندية .

* * *

قامت الهند خلال عام ١٩٦٧ بانتاج ٣١١ فيلما باثنتى عشرة لغة . وكان عدد الافلام الناطقة باللغة الهندية ، وهى اكبر عدد ، ٨٤ فيلما ، يليها الناطقة بلغة تليجو (٦٢) ، ثم اللغة التاميلية (٥١) .

* * *

جائزة نهرو للتفاهم الدولى

قررت لجنة جائزة نهرو للتفاهم الدولى منح الجائزة لعام ١٩٦٦ ، باسم الفقيد مارتين لوثر كينج ، الزعيم الامريكى الزنجى ، الذى راح ضحية

العنف والتمييز العنصرى . ان اللجنة اهتدت الى هذا القرار بعد طول نقاش ونظر عميق فى جميع الاسماء التى استلمتها من المعاهد والشخصيات البارزة فى مختلف انحاء العالم .

ان الدكتور مارتين لوثر كينج كان يناضل لتحرير الانسان من سلاسل الرق والعبودية وازالة التمييز العنصرى من المجتمع الامريكى خاصة ، والعالمى عامة . وكان يؤمن باللاعنف ، وعدم القسوة لتحقيق ما يصبو اليه من مبادئ انسانية سامية .

* * *

ان الجائزة تحمل مبلغ مائة الف روبية هندية قابل للتحويل الى العملة الصعبة ، ووسام . وتقرر ان توجه الدعوة الى قرينة الدكتور كينج لزيارة الهند واستلام الجائزة عن زوجها الفقيد فى حفلة خاصة تقام لهذا الغرض خصيصا ، والتى يمكن ان تعقد فى شهر نوفمبر ١٩٦٨ نيو دلهى .

* * *

ويجدر بالذكر هنا ، ان الجائزة انشئت تخليدا لذكرى الفقيد جواهر لال نهرو واحياء المبادئ والقيم التى نادى بها وكافح من اجلها طول حياته .

* * *

أن هيئة المحكمين التى تقرر منح الجائزة ، انشأتها حكومة الهند وهى تحتوى على عضوية الرجال الآتى أسماؤهم :

١ — المستر ف . ف . جيرى ، نائب رئيس الجمهورية الهندية .

٢ — المستر هداية الله ، رئيس قضاة الهند .

٣ — المستر بى . جى . ريدى ، رئيس قضاة محكمة ولاية آندهرا براديش .

٤ — السيدة فيجايا لاكشمى داندبت .

٥ — السيد ن . ا . بالكهيوالا ، مدير صناعات تاتا .

٦ — الدكتور د . س . ريدى ، مدير الجامعة العثمانية .

٨ — السيد جلاناتى راؤ ، رئيس تحرير جريدة « نيشنل هيرالد » .

تعريب : فصيح الدين الدهلوى

THAQAFATU'L-HIND

Vol XIX | July 1968 | No. 3

Editor:

S. Taiyebali Lokhandwalla

CONTENTS

—

ثقافة الهند

مجلة علمية ثقافية

المجلد التاسع عشر
العدد الرابع
اكتوبر ١٩٦٨

مجلس الهند للروابط الثقافية

الرئيس : الدكتور ج . ن . كهوسلا

يهدف المجلس – كما ينص دستوره – إلى إنشاء وإحياء وتعزيز الروابط الثقافية بين الهند والبلاد الأخرى بالوسائل التالية :

(١) التوسع فى معرفة وتقدير لغاتها وآدابها وفنونها

(٢) إنشاء الروابط الوثيقة بين الجامعات والمعاهد الثقافية

(٣) اتخاذ جميع التدابير الأخرى لتنمية الروابط الثقافية

مجلة فصلية ثقافية
يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية مرة كل ثلاثة أشهر
يناير – ابريل
يوليو – اكتوبر

بدل الاشتراك عن سنة (ويدفع مقدما بحوالات أو شيكات) : فى الهند عشر روبيات فى الخارج عشرون شلنا. ثمن العدد فى الهند روبيتان ونصف . فى الخارج خمس شلنات .

المراسلات : باسم سكرتير المجلس اذا كانت تتعلق بإرسال المجلة أو بدل الاشتراك . وباسم رئيس التحرير : اذا كانت تتعلق باستعراض الكتب أو مبادلة المجلات .

ثقافة الهند

رئيس التحرير

شمعون طيب على لوكهندوالا

محتويات العدد

الروح العظيم

(مسرحية)

(الفصل الثالث)

« ترفع الستارة عن غرفة فى معهد سابرماتى اشرام حيث يبدو المهاتما غاندى بلباسه التقليدى وامامه المغزل يدخل داير قائلا »

داير — سيدى الزعيم !

غاندى — « رافعا رأسه » نعم ماذا هناك ؟

داير — لقد أتى الدكتور هولم لمقابلتكم

غاندى — وليتفضل

« يخرج داير يدخل هولم ويعانقه المهاتما قائلا »

غاندى — اهلا وسهلا اهلا وسهلا كيف الحال ؟

هولم — على ما يرام وكيف حالكم أنتم ؟

غاندى — بخير وانى لاحمد الخالق العظيم

هولم — دعونى اولا أهنئكم بالخروج من السجن .

غاندى — شكرا لكم « يجلسان »

هولم — ترى هل تسمح لكم الفرصة لزيارة امريكا ، حيث تمس الحاجة الى رسالتكم السامية ؟

غاندی — اود أن أذهب الى بلادكم، ولكننى اشعر انه ليس من الممكن تطبيق رسالتى فى اى بلد قبل تطبيقها بشكل واسع وفعال فى بلادى بالذات.

هولم — اعتقد باللاعنف، ولكن كيف يستطيع الانسان أن يتحكم فى ذهنية الجماهير، اذا آثر هؤلاء اللجوء الى العنف؟

غاندى — لقد كان مراسل التايمس يعتقد فى بعض الاحيان أن هدفى هو القيام بحركة تجلب العنف، ثم ادرك أنه كان على خطأ. ان اللاعنف يسير بطريقة ذكية، ويمكن ان تضم حركة اللاعنف فى جيشها الكهول والعميان والعرج والاطفال.

هولم — بديع جدا بديع جدا.

غاندى — ان هذه الحركة تختلف تماما عن الحركات المسلحة التى تحتاج دائما الى شباب اقوياء. ان جيشنا يجب ان يدرب نفسه على مراحل.

هولم — وكيف ذلك؟

غاندى — انه ينبغى لكل من المدرب، والمدرب ان يمارس الحقيقة واللاعنف.

هولم — لم افهم ما تقصدون.

غاندى — اعنى ان اقوالنا واعمالنا ينبغى أن تكون صحيحة مائة بالمائة.

هولم — هل لكم ان توضحوا اكثر اذا لم يكن ثمة من مانع؟

غاندى — طبعا، طبعا.. اقصد انه ليس بالعمل الصحيح أن تكون مؤدبا عند ما يخفى الادب نفاقا او نية سيئة. ان ثلاثة ارباع اللاعنف غير مرئية. واعلم ان اللاعنف ينبغى ان يستمر. وهكذا اقول

جوابا على سؤالك : لا تستخدم العنف حتى ولو كانت الحكومة غير مستعدة للاعنف .

هولم — أليس من الممكن ادارة العنف بروح اللاعنف .

غاندى — اننا فى العادة اذا سمحنا بالعنف حتى ولو بصورة مؤقتة فعل ذلك لمصلحتنا . وهذه الكلمة — العنف — لم تستطع ان تجد طريقها الى قلب .

هولم — وما هو رأى حزب المؤتمر فى تصرفات حكومة الهند ؟

غاندى — لقد كان من رأى حزب المؤتمر ان السياسة التى تتبعها حكومة الهند فى الجبهة الشمالية الغربية هى فشل كامل سيؤدى الى الاضرار بمصالح الهند والقبائل عبر الحدود

هولم — وما هى حادثة خان صاحب ؟

غاندى — لقد اراد خان صاحب ان يتدخل لحسم النزاع القبلى ، ولكن الحكومة لم تسمح له حتى بأن يدخل منطقته .

هولم — علمت الآن انكم قد اشرتم الى ان حركة ساتياغراها ينبغى ان يتبناها المتطوعون باشرافكم الشخصى .

غاندى — نعم وعلى المتطوع ان يخضع لشروط عدة منها ان يكون غزالا نظاميا لبعض الوقت .

هولم — كما علمت ايضا بنبأ اعتقال نجلكم الاصغر ديفا داس .

غاندى — نعم . لقد كان يعمل محررا فى الهندوستان تايمس .

(١) قوة الحقيقة او قوة الروح وبشكل عام تستعمل اللاعنف .

هولم ــ ولماذا اعتقل ؟

غاندي ــ اتهم بتحقير المحكمة .

هولم ــ وما هو الحكم الذى تعتقدون انه سيصدر عليه ؟

غاندي ــ لست منزعجا على الاطلاق حول ذلك ، فاذا ايده الشهود فلا بأس ، واما اذا خافوا ان يفعلوا ذلك فلا بأس ايضا وان كان ديفاداس سيحكم بالسجن فترة تتراوح بين ٣ــ٦ أشهر .

هولم ــ مستأذنا بالخروج ، أرجو لكم التوفيق فى رسالتكم التى تستهدف خير الهند والإنسانية جمعاء .

غاندى يصافحه مع السلامة وإذا شعرت فى يوم من الايام ان هناك سؤالا ما زال يراود مخيلتك فأرجوك أن تتفضل بزيارتى هنا او فى بيتى المتواضع او فى احد السجون . يضحكان ثم يخرج هولم .

« فترة صمت ثم يسمع صوت »

الصوت ــ قلت لكم لن اذهب لن اذهب . . لن اذهب .

« يدخل ناير فيسأله غاندى »

غاندي ــ ما هذه الجلبة فى الخارج ؟

ناير ــ هناك يا سيدى رجل عجوز لايريد ان يبرح المكان

غاندي ــ من هو وما شأنه ؟

نایر ــ لا ادرى يا سيدى . . لقد حاولنا ان ندخله الى مكان دافئ وان نجعله يتناول الطعام ، ولكنه يرفض أن يتحرك من مكانه خارج المعهد .

غاندى ــ اذن عليك باستدعاء الشرطة .

نابر ــ امر سيدى « يخرج » .

غاندى ــ « يتمتم ببعض العبادات . »

« يدخل احد الشرطة ومعه نابر فيقول نابر . »

نابر ــ سيدى بعد ان ذهبت لطلب احد رجال الشرطة هرب العجوز من المكان .

غاندى ــ لا بأس « ثم الى الشرطى » تفضل بالجلوس .

الشرطى ــ « واقفا فى احترام زائد » لا يا سيدى لا استطيع الجلوس فى حضرتكم . انما نعتبركم كامبراطورنا

غاندى ــ « ساخرا » هراء . كلنا اخوان .

يخرج الشرطى بعد ان يؤدى التحية . تدخل ماتريشا سمبسون فتصافح المهاتما الذى يدعوها الى الجلوس »

غاندى ــ تفضلى . تفضلى « تجلس »

ماتريشا ــ لقد قرأت كتابك « تجاربى مع الحقيقة » ولى ملاحظة على ذلك .

غاندى ــ وما هى ؟

ماتريشا ــ لقد انتقدت ـ وأرجو ان تعفرلى ذلك ـ موقفكم من الجنس الذى يبدو انه يتمشى وفكرة أن البراهما شارى الاعزب اسمى روحيا من المرء المتزوج .

غاندى ــ بهدوء « اتفق معك على ان البرهما شارى ليس بالضرورة اسمى ، اذ يمكن ان يكون الاعزب سفيها والمتزوج عميق الروحية . »

باتريشا ـ اذن ما الداعى لهذا الموقف ؟

غاندى ـ النقطة التى اود ان اشرحها هى ان اى شخص يرغب فى خدمة الانسانية بأية طريقة خاصة ، يكون بمقدوره ذلك اكثر كبراهماشارى لأنه بسبب عدم وجود ممتلكات خاصة به فانه يمتلك العالم .

باتريشا ـ هل تتكرم بان تذكر لنا ما هو دينك ؟

غاندى ـ الهندوسية التى هى بالنسبة لى دين الانسانية

باتريشا ـ كيف تعتنقها ؟

غاندى ـ الاحظ ان صيغة الحاضر فى السؤال قد استخدمت بدلا من صيغة الماضى ؟

باتريشا ـ لا فرق .

غاندى ـ حسنا . . انى مقود الى دينى عن طريق الحقيقة واللاعنف ، اى الحب فى معناه الشامل . . ودينى هو دين الحقيقة . . انما كانا شرر الحقيقة ؟

باتريشا ـ وكيف تقترب من هذه الحقيقة ؟

غاندى ـ انى اقترب منها يوميا عن طريق العبادات .

باتريشا ـ يقال عنك انك تفكر مفصلا فى كل شئ

غاندى ـ ضاحكا لا استطيع الا ان اكون كذلك .

باتريشا ـ هل بامكانكم افادتنا عن الشكل الذى يمكن أن تاخذه حركتكم الجديدة ؟

غاندى — انها لم تصح بوضوح بعد ، ولكنها ستكون حركة جماعية بدون قيود حول الغزل الخ . . اذ ان اللاعنف هو الشرط الذى لا يمكن الاستغناء عنه . ويمكن ان تتخذ عدة اشكال فى بقاع مختلفة من البلاد ، وانى انتظر اجتماعا مع القادة للوقوف على آرائهم .

باتريشا — الا تعتقدون ان فى الجو مجازفة باضطرابات داخلية ، او حتى حرب اهلية ؟

غاندى — وحتى لو فرضنا ان هناك مجازفة فينبغى القيام بهذه الحركة .

باتريشا — أليس هناك احتمال اكثر من ذى قبل بوقوع صدامات طائفية .

غاندى — اعتقد . واستميحك العذر فى اعتقادى . انه عند ما ينتهى الوجود البريطانى فى الهند سيكون هناك حظ كبير للوحدة الوطنية .

باتريشا — أراكم تصرون فى كل مناسبة على انهاء الوجود البريطانى فى الهند .

غاندى — نعم . واذكر انى عند ما بدأت اشعر بفقدان الثقة بالحكومة البريطانية كانت لدى الجرأة الكافية لمصارحة البريطانيين بذلك ، لأننى ابعد ما اكون عن النفاق .

باتريشا — الا يمكن التوصل الى تسوية مشرفة عن طريق المفاوضات .

غاندى — لقد حاولنا ذلك . ولكن الموقف الغامض الذى تتخذه الحكومة البريطانية يؤخر مثل هذه التسوية .

باتريشا — الا تعتقدون ان البريطانيين قد ادخلوا بعض التحسينات على الهند ؟

غاندى — قد تكون هناك بعض التحسينات ، ولكن ما هو اهم من ذلك ان البريطانيين دخلوا الهند عنوة .

باتريشا — ا لم يدخلوا لوضع حد للخلافات الطائفية ؟

غاندى — لو ان البلاد ككل قد دعتهم لتسوية هذه الخلافات لكان الامر مختلفا تماما . اما وانهم دخلوا بدون اذن فعليهم ان ينسحبوا .

باتريشا — انى لأشكرك على هذه الصراحة .

غاندى — « مردفا » لقد قلت مرة امام احدى المحاكم انى لا استطيع ان اتعاون مع حكومة تريد تلافى احدى المشكلات فتقع فى مشكلة جديدة .

باتريشا — لقد فهمت القضية تماما . وانى اعدكم ببذل وسعى فى سبيل ايجاد نوع من التقارب بين البريطانيين والهنود .

غاندى — اشكرك جدا .

« تخرج باتريشا . تدخل سوشيلا مرتبكة فيسألها غاندى . »

غاندى — مالك يا سوشيلا ؟ هل هناك شئ ؟

سوشيلا — سيدى لقد اتى كانور .

غاندى — كانور ؟ ومن يكون كانور هذا ؟

سوشيلا — « بحياء » مفروض ان يكون خطيبى .

غاندى — حسنا .

سوشيلا — لقد ظل يلاحقنى حتى قلت له انى لن اقبل به زوجا ما لم ينضم الى حركتكم .

غاندى — ولم ذلك ؟

سوشيلا — لانني اريد ان يكون هناك انسجام فكرى بيني وبين روحي المستقبل .

غاندي — بالطبع ارحب به ، ولكنني لا اريد ان يكون قد انضم الى هذه الحركة بتأثير منك ، اعني بدون اقتناع .

سوشيلا — بالعكس يا سيدى . واذا سمحت لى قدمته لك .

غاندي — لا بأس

« تخرج سوشيلا . فترة صمت . . تعود سوشيلا وبصحبتها كابور الذى يقف باحترام فيقول له المهاتما »

غاندي — اسمع يا بني ان حركتنا تتسم باللاعنف ، واننا لانرغم احدا على الانضواء تحت لوائنا ، اذا لم يكن لديه باعث داخلي لذلك .

كابور — اقول لكم يا سيدى انى لم انضم الى هذه الحركة الا لانها طوعية وفى مصلحة الوطن

غاندي — اذن ليبارككما الخالق العظيم

« يخرجان بينما يتمتم غاندي فى شبه همس » .

غاندي — من المستحيل على المرء ان يكون عالميا ما لم يكن وطنيا اذ ان العالمية لا تعدو ممكنة الا بعد ما تصبح الوطنية حقيقة واقعة ، وبعد ما تنضم شعوب البلدان المتخلفة نفسها ، وتستطيع أن تتصرف كرجل واحد .

« يخرج غاندي . . يدخل ناير ومعه احد الاجانب . . يقول ناير » .

ناير — كما قلت لك يا سيدى ، ان زعيمي يتوخى البساطة فى كل شيء

الاجنبى — فعلا فعلا . . وهذا ما يبدو لى .

ناير — تصور انه يقوم بعباداته فى الساعة الرابعة صباحا والسابعة مساء ويزاول رياضتين فى المشى صباحا ومساء . ولا تسئل عن منزل — ان كان له منزل . انه عبارة عن كوخ من الطين والخيزران .

الاجنبى — حسنا . . حسنا .

ناير — والمهاتما ينام فى العراء تحت النجوم . وعند ما عاد من انكلترا احتجز لنفسه مكانا على الباخرة ، بلسما ، لانه شعر بأنه كممثل لجماهير الشعب الهندى ، فان عليه ان يسافر بطريقة بسيطة قدر الامكان .

الاجنبى — ، وقد بعد صبرة ، والآن ما هو الاسلوب الذى ينبغى اتباعه لمقابلة المهاتما .

ناير — يؤسفنى أن اقول انك لن تتمكن من مقابلته حتى صباح الثلاثاء ، لأن المهاتما يلتزم الصمت المطلق من اليوم حتى الغد ولا يسمح لأى كان بمقابلته . وحسب معلوماتى فانه يثابر على هذا العمل منذ ما يربو عن الثلاثين عاما

الاجنبى — وماذا يصنع فى هذه الاثناء ؟

ناير — يطلق لافكاره وروحه العنان ، ويتجرد من العالم المادى . ان زعيمى مؤمن بالخالق العظيم وبالحقيقة وباللاعنف .

ستار الختام

سمراء

سمراء يا ذات الجديلة يا وردة الروض الجميلة
إني نحبك مولع ولهان بالعين الكحيلة
نفسي العزيزة في هوا ك غدت متيمة ذليلة
كيف الوصول الى الديا ر ؟ فلا دليل او دليلة
بل كيف اخترق الحصا ر ؟ ودون ذلك الف حيلة

° ° °

إني لأذكر سالف الأيا م في كنف الخميلة
كيف التقينا وانتشينا تحت أفنان ظليلة
حيث الغصون تمددت تواً وبانسام عليلة
حيث الغدير غدا يمدد نا بأنغام اصيلة
حيث البلابل باركت حبا تحلى بالفضيلة

° ° °

هل تحلمين بأن تعود اليك ايام الطفولة ؟
ايام نشدو بالهيا م نشيد امجاد الرجولة
هل من سبيل للقا ء ؟ لديك يا روحي الوسيلة
فلقاء من اهوى المنى لو نلته فهو البطولة

° ° °

هل تذكرين الوعد يا بنت الأماثل يا نبيلة ؟
هل تحفظين العهد يا سمراء يا ذات الجديلة ؟

قديم الزا

من أنا ؟

أنا من فى الورى وربك قل لى ... إننى حائر بهذا الكيان
أ أنا الشاعر المجيد المعانى ... وسيبقى شعرى مدى الأزمان ؟
أم انا الناظم الركيك القوافى ... وكلامى يؤول للنسيان

أ أنا الناثر المعبر عن اشعا ... ع فكرى بمعجزات البيان ؟
أم انا الكاتب المدوّن فوق الطر ... س هرلا من وحى هذا اللسان

أ أنا العالم المفيد البرايا ... انشر النور فى بنى الانسان ؟
أم انا الجاهل الكسول عديم النف ... ع عزّ شرّ على البلدان

أ أنا المخلص الوفىّ لدنيّ ... والصديق الصدوق للخلان ؟
أم انا المعول المحطّم للفن ... ودأبى تمزيق بالسنان

أ أنا المؤمن التقىّ وقلبى ... مستنير بشعلة الايمان ؟
أم انا الملحد الكثير الخطايا ... من سرى فى ركاب الشيطان

أ أنا العابد النقى المرجّى ... حرب رضوان فى دخول الجنان ؟
أم انا الجاحد الغريق المعاصى ... غافل عن لوافح النيران

أ أنا المحتفى بواجب ربّى ... والوفىّ المحب للاخوان ؟
ام انا المنزوى عن الناس طراً ... والمرائى لصبوة الخلان

أ أنا العاقل الرصين عزيز النفـ ... ـس رمز العلا الرفيع الشان ؟
أم انا الخامل الحزين بليد الحس ... حلف العنا اسير الهوان

من أنا ؟

أ أنا الصادق الصديق لقومي ... لبلادي للناس للجيران ؟
أم أنا الحانق المشاكس ليلا ... ونهارا يشكو من السكان

أ أنا الثائر الفدائي دوما ... هائم القلب في هوى الأوطان ؟
أم أنا الحائر العدو لأهلي ... لرفاق لأمة العربان

أ أنا الفارس الشجاع وسيفي ... يتحدى الكماة في الميدان ؟
أم أنا الخائف الجبان وقلبي ... في الوغى يستجيب للخفقان

أ أنا الشاكر اللطيف الظريف الـ ... باسم الثغر صاحب العرفان ؟
أم أنا الناكر الجميل حسودا ... أبدا ثائر على الأقران

أ أنا الموسر الجزيل العطايا ... والذي لا يضيق بالاحسان ؟
أم أنا المعسر العقيم شحيح اليد ... يقسو لها بغير حنان

أ أنا اللامع الوجيه الزعيم الذا ... ئع الصيت عبقريّ الزمان ؟
أم أنا القابع السفيه مقيما ... بين قومي في غمرة النسيان

أ أنا الناجح الذي بلغ الذّروة ... حتى التقى مع التّيجان ؟
أم أنا الكادح المكافح حقا ... في سبيل الحياة في كل آن

أ أنا العاشق المحب العذارى ... مغرماً بالحسان والغزلان ؟
أم أنا الحانق الذي يكره الحسن ... ويحيا بلوعة الحرمان

أ أنا الهائم المتيّم بالروض ... وروحي تهوى شذا الريحان ؟
أم أنا الناقم المقاطع دوما ... لزهور الربا وغصن البان

أنا العازف الكمان وصوتي ساحر يستقرّ فى الآذان ؟
م انا الكاره العزوف عن السمع حصيم الألحان ضدّ الأغانى

أنا الوالد الكريم السّجايا اعمر الإبن بالرصا والأمانى ؟
م انا الحاقد المسيئ الى الأبناء والاحمق العيف الجانى

أنا المستقرّ فى « مصر » والأهل بحسمى والروح فى « لبنان » ؟
م انا القاطن « الحجاز » بروحى وبحسمى فى ساحة الحرمان

أنا الصاحب المناصر للمرأة داك الورود للسوان ؟
م أنا الغاصب المعارض للنهصة حرب على سنا العمران

أنا المستريح فى هده الدار السعيد الرصىّ طول الزمان ؟
أنا البائس الشقى مدى العمر وبعد الجهاد ميت وفان

أنا اليعربىّ صبوة عرقى عمرىّ فى دستى عدنانى ؟
م أنا الأجنبىّ فى نظر القانون والناس نازح « لبنانى »

نى حائر سابقى وأبقى حائرا ساحرا بهدا الكيان
هكذا خلقت وهدى قصتى قد شرحتها للعيان

نها طلسم خفى ولغز وأحاج تحاط بالكتمان
من الحيران تطل حياتى سرّ سرّ الوجود فى الأكوان

اللبيب الذكى من يقبل الواقع خوفاً من نقمة الديان
كل ما ارتجيه عفو ولطف وحنان يتوق للغفران

تيل يا رب مى دعائى وأعنّى على صروف الزمان

ندیم الرافعی

احياء علوم الدين للغزالى

دراسة تحليلية نقدية للافكار الاجتماعية
والانثروبولوجية لما جاء فى الاحياء

للاستاذ عبد الهادى الجوهرى

(٢)

الاجتماع العائلى فى احياء علوم الدين

يقدم الغزالى فى كتابه الاحياء دراسة اجتماعية وافية لأصول التنظيم الأسرى وفضائل الزواج، وآراء المعارضين له ووجهة نظرهم والفوائد الاجتماعية للتكوين الأسرى السليم والعلل الاجتماعية التى تنجم عن الاحجام عنه كما يقدم ايضا دراسة طريفة فى اختلاط الأنساب وامتزاج السلالات، والأمراض والعلل الاجتماعية الناشئة عن مثل هذا الاتجاه ويبين ايضا كيفية معاملة الزوجة ورعاية الأبناء حيث يقدم دراسة شيقة فى فن البيداجوجيا. ومن خلال تحليل هذا الفصل يمكن أيضا أن نلمس بوضوح اتجاهه فى الدراسة والى اى المدارس الأنثروبولوجية يمكن ان ينتمى . .

فى الترغيب فى الزواج

يسوق الامام الغزالى من الآيات والدلائل فى الترغيب فى الزواج وتكوين الأسرة سواء أكان ذلك فى صورة آيات قرآنية وردت فى الكتاب مثل قوله تعالى «وانكحوا الأيامى منكم» وقوله سبحانه «وانكحوا ما طاب لكم من النساء» وقول الرسول «النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى

رغب عنى ، وقوله صلوات الله عليه ، من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله ، وأما عن الآثار فقال عمر رضى الله عنه ، لايمنع من النكاح الا عجز أو فجور ، . من هذا يبين الغزالى ان الدين يرغب فى الزواج ويحث عليه ضمانا لسلامة المجتمع وصونا لأصول المعاشرة . هذا الا أن الغزالى لم ينس ان يسوق بعض الأمثلة التى توضح فى جلاء أن هناك من الظروف ما قد يقف حائلا دون الزواج وتكوين الأسرة حينما لا يكون ثمة داع لهذا لما قد يترتب عليه من آثار ضارة بالفرد والمجتمع . وساق بعض الأحاديث النبوية التى تويد هذا الاتجاه مثل قول الرسول صلعم ، خير الناس بعد المائتين الخفيف الذى لا ولد له ولا أهل ، وفى الحديث قلة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقرين . وفى هذا تأكيد على ان الفرد غير المستطيع عليه الا يتزوج حتى لا تزداد اعباؤه وتضطرب احواله . وسئل ابو سليمان الدارانى عن النكاح فقال ، الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار ، ومن الجدير بالذكر انما نجد هذه الدعوات ما زالت سائدة فى المجتمع الحالى فى النصف الثانى من القرن العشرين وتمارس سلطانها ونسمع الكثير من المناظرات حول رأى الدين من الزواج ونجد الكثير من المتشابهات فى مختلف النواحى الحضارية تشابه فى القصائد والعادات والمعتقدات والتراث الشعبى والأساطير فى مجتمعنا الحالى . ولو فسرنا هذا التشابه وكيف حدث فى المجتمع الاسلامى الحالى فى جميع أنحاء المجتمع الاسلامى لن نتردد كثيرا فى الاجابة حيث ان هذه التعاليم لابد وأن يؤتى ثمارها كما يقول الامام الغزالى فى حديثه عن آفات النكاح وفوائده وضرورات الاقدام عليه ومبررات الاحجام عنه . وهذا راجع بالطبع الى توحد المصدر الأساسى للتعاليم السماوية والنظم الدينية . وقد نجد الشبه قويا بين هذا الاتجاه وما

ذهب اليه العالم تيلور حينما يقول ان التشابه فى قيم المجتمعات وعاداتها وأنماط سلوكها انما يرجع الى التشابه فى النشاط العقلى الذى يتم تحت ظروف متشابهة .

ومن خلال هذا التحليل نلمس الاتجاه الانتشارى : فى كتابة الغزالى عن اصول التنظيم الأسرى والترغيب فى الزواج وفوائده والاحجام عنه ودوافعه . وقد استطرد الامام الغزالى فى بيان هذا فى الاحياء قوله ما نصه[٣] فى الاحياء (الناكح ساع فى اتمام ما أحب الله تعالى تمامه والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه وقوله الممتنع عن النكاح فقد حسم الوجود المستدام من لدن آدم على نفسه وما رواه عن معاذ حينما ماتت زوجاته الثلاث وقوله زوجونى حتى لا ألقى الله عزبا ويرى ان الدافع للزواج هو العمران ودوام الاجتماع وليس الشهوة مستشهدا بقول الرسول « خير نسائكم الولود الودود وقوله سوداء ولود خير من حسناء لا تلد . وقوله صلى الله عليه وسلم « من مات وله اثنان من الولد فقد احتظر بحظارين من النار[٤] .

هذه المبادئ التى انتشرت وسادت ارجاء العالم الاسلامى وظل تأثيرها قويا فعالا فى كثير من الأزمان والأرجاء . ويستطرد الغزالى فى شرح

---

(١) دراسات انثروبولوجية وأنتوجرافية للدكتور أحمد الخشاب ص ١٥٨ وما بعد ــ مطبعة القاهرة الحديثة ١٩٥٨

(٢) الطبرانى من حديث زهير بن علقمة .

(٣) الاحياء ص ٢٥ وما بعدها .

(٤) نفس المرجع السابق .

فوائد الزواج بقوله انه كسر للشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة . هذا وقد ساق الغزالى أمثلة عن بعض كبار الصحابة وموجهي جمهرة المسلمين مما يضيق المقام بذكره والافاضة به .

ولم يفت الغزالى ان يستطرد فى وصف الفوائد النفسية للزواج فقد أفاض فى هذا افاضة طويلة فيما رواه عن الرسول والصحابة وبعض السلف الصالحين فيقول ان فى الزواج ترويحا للنفس وايناسها بالمجالسة والنظر والمداعبة مما فيه اراحة القلب وتقوية له على العبادة فان النفس ملول وهى عن الحق نفور وفى الائتناس بالنساء ومن الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب وينبغى أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ولذلك قال الله تعالى « ليسكنوا اليها » وقول على رضى الله عنه « روحوا القلوب ساعة فانها اذا اكرهت عميت » هذا فضلا عن استطراده فيما تقيمه الزوجة الصالحة فلزوجها من التفرغ لطلب العلم والسعى حيث تقوم بتدبير أمور بيتها ورعاية شئون أبنائها هذا فضلا عن مجاهدة النفس والقيام بحقوق الأبناء ورعايتهم ويتبع الغزالى فى هذا نفس الأسلوب فى معالجة مثل هذه الظواهر فى الرواية عن بعض الأئمة العلماء ومن ذلك ما رواه عن بشر قوله « فضل على احمد بن حنبل بثلاث — احداهما أنه يطلب الحلال لنفسه ولغيره

(ب) آفات النكاح (١)

استطرد الامام الغزالى فى تبيان اضرار الزواج وتبعاته وأفاض فى هذا. ولا غرو اذا نظرنا بنظرياته فى هذا المقام ذات اثر فعال اليوم فى النصف الثانى من القرن العشرين فتناول ثلاثة اضرار اظهرها :-

---

(١) المصدر السابق فى فضل الكسب والحث عليه صفحة ٦٥ وما بعدها .

١ — التبعات الاقتصادية . فالعجز المادى يؤدى الى ارتباك شئون الأسرة من استدانه وعدم الوفاء بمطالب تربية الأبناء وحسن تنشئتهم مع ما فى ذلك من اضرار اجتماعية مشينة وقد قال ما نصه «ان هذه آفة عامة قل ان يتخلص منها الا من له مال موروث أو مكسب حلال يفي به أهله» .

٢ — ما يراه الغزالى من القصور على تحمل اخلاق النساء وعدم القدرة على معاملاتهم وقد استشهد بعدة احاديث فى هذا الصدد وفى هذا تأكيد للاتجاه الانتشارى الذى حنداه الغزالى فى معالجة هذا الموضوع .

٣ — وهى دون الآفات الثلاثة وهى ان يكون الأهل والبيت شاعلان عن ذكر الله وحاديان للعبد الى طلب الدنيا

منهج فى الانفاق

طرق الغزالى هذا الموضوع فأفاض فيه وكان يرى ايضا ان الاعتدال فى الانفاق أحد اركان استقرار الحياة الزوجية ولجأ الى القرآن والسنة يستمد منهما الدعائم الأساسية لأسس الاستقرار العائلى ويستشعر بقول الله تعالى «كلوا واشربوا ولا تسرفوا» وقوله تعالى «ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط» وقول الرسول (صلعم) «خيركم خيركم لأهله» ويستطرد الامام فى كلامه عن هذا الموضوع مستشهداً بآراء الصحابة والحكماء كعلى ابن ابى طالب والحسن بن على وابن سيرين رض فيقول ما نصه «كان ابن سيرين يستحب للرجل أن يعمل لأهله» وقد تناول فى حديثه بعض آداب المعاشرة وبعض ما يجب على الزوج حيال زوجته فى حالات حيضها وضرورة تثقيفها وتعليمها أمور دينها هذا مع ضرورة مراعاة العدالة ومراعاة حقوقها الزوجية . ثم استطرد الامام الى موضوع

آخر هو موضوع الوقاع والآداب المرعية فيه . وكذلك موضوع تنظيم النسل وتحديده وتناول البواعث الاساسية لهذا وتناول موضوع اللقطاء وما ينبغى أن يكون حيالهم واستشهد ايضا فى هذا المقام بأحاديث الرسول (صلعم) من حيث ان السقط لا بد وأن يسمى

فى فضل الكسب والحث عليه

ابتدأ الإمام فى الكلام عن هذا الموضوع بذكر بعض الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة التى تحض على السعى فى سبيل الرزق والكسب الحلال مبينا الأهمية الاجتماعية للعمل والوظيفة الاجتماعية للعمالة والانتاج كعنصر حيوى من عناصر الاستمرار والامن الاجتماعى واستطرد فى حديثه عن هذا الموضوع وقد ذم السؤال والاشكال لما له من أضرار سيئة فى تشجيع البطالة وانتشار الاتكالية والسلبية فى المجتمع وما يؤدى اليه ذلك من ظواهر باثولوجية تؤدى الى انحلال المجتمع وتأخره فيقول ما نصه فيما رواه عن الرسول (صلعم) « من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر » ، وما رواه أيضا عن لقمان الحكيم فى وصيته لابنه وقوله يا بنى استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا أصابه ثلاث خصال « رقة فى دينه ، وضعف فى عقله ، وذهاب مروءته ، وأمرح من هذا كله استخفاف الناس به . وحينما نقف امام هذا التحليل قليلا نجد أن الغزالى قد أبدع فى إظهار مزايا العمالة والأضرار الاجتماعية المترتبة على البطالة من وهن فى الذمة وضعف فى العقل وهوان الانسان على الناس وضياع كرامته ، وما قد يؤدى اليه ذلك من اضطراب وجدانى قد يؤدى بالشخص الى ارتكاب ما لا يرضاه العقل ولا الدين ولا المجتمع . وبهذا يبرز الغزالى القيم الاجتماعية التى برزت فى المجتمع الاسلامى فى

مرحلة التكوين فنشأت ظاهرة السعى من أجل الرزق والكسب ونبذ الاتكالية ومظاهر الكرم المصطنع والاعتماد على الغير وبعض العادات القبلية التى كانت سائدة فى المجتمع الأسلامى الأول قبل ظهور الاسلام وبعده مباشرة فيقول على سبيل المثال « ان التاجر الصادق احب الى الله سبحانه من المتفرغ للعبادة » ويعتمد الغزالى فى ابرازه هذا الاتجاه على ما رواه السلف الصالحون سواء كان ذلك فى صورة وصايا أم فى صورة وقائع معينة مرتبطة بحوادث ملموسة اثرت فى سلوك الناس وكانت ذات تأثير فى اتجاهاتهم وعاداتهم ونشأ عنها قيم معينة ما زالت سائدة حتى اليوم تمارس سطوتها ووظيفتها فى العمل على استقرار الأوضاع الاجتماعية وسلامة البنيان البشرى وبذلك نستطيع القول بأن الاتجاه الذى سلكه الغزالى فى هذا الصدد كان اتجاها تشوئيا

اذ لا شك أنه قد نشأ عنه نظريات تطور النظم الاجتماعية القائمة وتحلق فيها جديدة لم تكن موجودة من قبل ، وقد يصعب التفرقة والفصل عما اذا كان هذا الاتجاه نشوئيا ام حلقة ثانية فى سلسلة التطور الا ان الغزالى قد أبرز ظواهر لم تكن موجودة اصلا وكان ميلادها مرهونا بظهور التعاليم السماوية والتراث العلمى الذى أورثنا اياه الصحابة والأئمة .

تنظيم المعاملات التجارية فى المجتمع

استطرد الغزالى فى الحديث عن تنظيم المعاملات التجارية فى المجتمع مبينا من يحل معهم العقد والبيع والشراء فنهى عن التعامل مع الصبى الأعمى والعبد والمجنون لما فى ذلك من اضرار قد تترتب على ذلك فتفسد العلاقات وتسىء الى المتعاقدين مبينا لماذا لا يصح العقد مع كل . هذا

فضلا عن افاضته فيما يباع ويحل بيعه وما يحرم بيعه وتدواله وكذلك كيفية صياغة العقد وما يضمن استقرار العلاقات فيما بين المتعاقدين . هذا ونجد ان الامام الغزالى فى تحليله لأصول التعاقد بين المتعاقدين يتسع فى حديثه الاتجاه الانتشارى اذ ينقل عن الشافعى وابوحنيفة وينقد آراءهم وما ساد فى زمانهم وكيف انتقلت وتدرجت هذه المبادئ حتى زمانه ومن ذلك ما رواه عن الشافعى فى رأيه عن بطلان العقد وكذلك عن الامام ابو حنيفة النعمان .

عقد الربا عند الغزالى

أوضح الامام رأى الشرع والدين مبينا انه آفة اجتماعية يبغى الابتعاد عنها لما فى ذلك من أضرار تمس الى العلاقات بين أفراد الأمة الاسلامية وتنطوى على روح الغبن والاستغلال الذى لا يتقبله شرع ولايقرره دين ولا سيما الدين الاسلامى الحنيف هذا وقد استطرد الغزالى فى الحديث عن الفئات التى يحظر عليها التعامل بالربا بصفة خاصة وتنتشر لما قد تستغل وضعها الاقتصادى فى السماح لهذه الظاهرة بأن تستفحل وتنتشروهم فئة الصيارفة .

الاجارة

بين الغزالى ايضا الحالات التى يسعى ان يؤجر فيها الشخص بناء على ما يقوم به من مجهود مبينا قيمة وطريقة دفع الأجر ، والحالات التى

---

(١) ما رواه الغزالى عن الأوزاعى حين لقى ابراهيم بن ادهم وعلى عنقه حزمة حطب فقال له يا ابا اسحق الى متى هذا ؟ اخوانك يكفونك فقال : دعنى عن هذا يا ابا عمر فانه بلغنى ان من وقف موقف منزلة فى طلب الحلال وجبت له الجنة . . . .

يكون فيها الأجر باطلا مبينا أنه لا يجوز ولا يصح ان يرتبط الأجر بالعمل مثل إيتجار الطحان بالنخالة على سبيل المثال ، وكذلك لا يجوز استئجار الضعيف على عمل لايقدر عليه او استئجار الأخرس للتعليم . هذا فضلا عن حديثه المستفيض عن القرض والشركة مما يضيق المقام للاستطراد فى تحليله . ويمكن القول بان كتابات الغزالى فى هذا المجال تعتبر مصدرا خصبا وتنظيما دقيقا وتحليلا اقتصاديا قيما لتنظيم أسس المعاملات والعلاقات التجارية فى المجتمع الاسلامى . واستطرد فى حديثه الى بيان موازين العدالة فى المعاملات التجارية وأنواع الظلم فيرى ان اكتنار الصائغ أملا فى غلو الأسعار وحجبها عن المستهلكين ظلم عام صاحبه مذموم فى الشرع مستشهدا بحديث الرسول (صلعم) « من احتكر الطعام اربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره » وفى رواية ابن عمر عن رسول الله (صلعم) «ان من احتكر الطعام اربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه» وقيل فكأنما قتل الناس جميعا واستطرد الغزالى بيان الأضرار الاجتماعية التى تترتب على الاحتكار من اضطراب الأوضاع الاقتصادية واشاعة روح القلق والاضطراب بين صفوف المسلمين وما قد يتعرض له فقراؤهم من جوع وضياع . وكان الغزالى يعتمد ايضا على ما يرويه السلف الصالح فى معالجة امثال هذه المسائل وما يستقى منه من قيم اجتماعية ومبادئ اخلاقية تعتبر دستورا للمعاملات الجارية فيروى ان بعض السلف كان على سعة من العيش وجهز سفينتين من الحنطة الى البصرة وكتب الى وكيله مع هذا الطعام يوم تدخل البصرة ولا تؤخره الى الغد ، فلما كان هناك وافق سعة فى السعر وأخبره التجار لو

---

(١) الاحياء باب العدل واجتناب الظلم ، ص ٧٤ وما بعدها .

اختمرت جمعه لربحت فيه أضعافا مضاعفة فأخره فربح فيه امثاله وكتب الى صاحبه بذلك .

فكتب صاحب الطعام : يا هذا انا كنا قد قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وانك قد خالفت وما نحب أن نربح اضعافه بضياع شئ من الدين فقد جنيت علينا فاذا اتاك كتابى هذا مخذ هذا المال كله وتصدق به على الفقراء من أهالى البصرة . وليتنى انجو من اثم الاحتكار كفافا ولا لى ولا على .

تزييف النقود

ويتكلم الغزالى عن تزييف النقود من حيث العالم المدقق الخبير ويعتمد ايضا على ما رواه بعض السلف الصالحون فيقول ما نصه « قال بعضهم انفاق درهم زيف اشد من سرقة مائة درهم ، ويقول طوبى لمن مات ماتت معه ذنوبه . ويروى الغزالى عن بعض السلف حديثه فى هذا الصدد وقوله ان الاحتياط لمثل هذه الأمور أفضل عند الله من المواظبة على نوافل العبادات ، ثم يروى قصته عن بعض الغزاة فى سبيل الله قوله « حملت على فرس لأنقل بلحا فنفرنى فرس وكنت لا أعتاد عنه ذلك فرجعت حزينا وجلست منكسر الرأس منكسر القلب لما فاتنى من الثمر وما ظهر لى من خلق الفرس ووضعت رأسى على عمود الفسطاس والفرس قائم فرأيت فى النوم كأن الفرس يخاطبنى ويقول لى بالله عليك اردت أن تأخذ على البلح ثلاث مرات وأنت بالامس اشتريت لى علفا ودفعت فى ثمنه درهما زيفا فليكون هذا ايمان أبداً . قال « فانتصبت فزعا فذهبت الى العلاف وأبدلت ذلك الدرهم . وهذا مثال لما يعم ضرره .

آداب

(الالفة والاخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق)

شروطها ودرجاتها :

لا شك ان الألفة والاخوة دعامة اساسية من دعائم التضامن الاجتماعى ومقوم اساسى من مقومات الاستقرار وسبيل حيوى فعال لتحقيق سبل الأمن الجماعى فى كل أمة قديمة وحديثة . ولقد تناول الامام الغزالى هذا الموضوع مبينا وجهة نظر الشرع الحنيف فى فضائل الألفة والاخوة وما ذكره الرسول (صلعم) والصحابة رضوان الله عليهم فى فضائلها من حيث اشاعة الطمأنينة والألفة بين الأفراد وقد جاءت كتاباته فى هذا الموضوع حقلا خصبا لقيم اجتماعية من آثار الثقافة الاسلامية ما زالت تؤتى أكلها وتحقق نتائجها على مر الأجيال والعصور .

واذا ما حللنا قول العلامة ايفاربرتشارند من أن الاتجاه الشوئى قد بدأت تظهر ثمراته الطيبة فى الفيلولوجيا «فقه اللغة» وفى القانون واللاهوت والاقتصاد والفلسفة والعلم لا نجد الآن كثير عناء فى القول بأن كتابات الغزالى التى تناولت هذه المواضيع تمثل فى صدق واخلاص الكشف عن اصول الدين ومفاهيمه وبذل الجهود المضنى فى تفسيره بما يخدم الأغراض الاجتماعية فلا شك ان الاتجاه النشوئى نجده واضحا فى حديث الامام عن هذه المواضيع فينقل عن القرآن الكريم

(١) الأنثروبولوجيا الاجتماعية للاستاذ الدكتور أحمد الخشاب ص ٦٦ مكتبة القاهرة الحديثة . الاحياء الجزء الثانى ، ص ١٥٨ وما بعدها

قول الله سبحانه : « انك لعلى خلق عظيم » وقول الرسول (صلعم) « اثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن » وقوله أيضا « المؤمن الف مألوف ولا خير فى من لا يألف » وعن الصحابة قول أبى ادريس الخولانى لمعاذ : انى احبك فى الله فقال له أبشر انى قد سمعت رسول الله (صلعم) يقول : ينصب لطائفة من الناس كرسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر فى ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فقيل من هؤلاء يا رسول الله قال : هم المتحابون فى الله تعالى

ويستطرد الغزالى فى هذا المعنى مقررا ان الاخوة الصادقة لوجه الله تعالى اذا اكتسب لم تكن دون إخوة الولادة وكما أن للمرأ رجالاً يحبهم فى الله تعالى فهناك ايضا أعداء يبغضهم فى الله تعالى وما رواه ايضا الأحبار من السلف أن الله سبحانه أوصى على موسى عليه السلام يا بن عمران كن يقظانا ، وارتد لنفسك اخوانا وكل خدن وصاحب لا يؤازرك على محبتى فهو لك عدوه . وأوصى الله سبحانه داؤد عليه السلام فقال يا داؤد ما لى أراك منتبذا وحيداً قال يا الهى قليت الخلق من اجلك فقال يا داؤد كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل خدمة لا يوافقك على مسرتى فلا تصاحبه فانه لك عدو يقسى قلبك ويباعدك عنى .

وعلى ضوء ما رواه الغزالى عن طبيعة هذا النظام الاجتماعى من حيث نشأته وأصوله وان كان يمثل نوعا من فلسفة التاريخ الا انه جاء وصفا تحليليا لما ينبغى أن تكون عليه فلسفة العلاقات الاجتماعية من تعاون

(١) الضبط والتنظيم الاجتماعى للدكتور احمد الخشاب ـ مكتبة القاهرة الحديثة ، ص ١١٦ وما بعدها .

وتألفا وهى العلاقات الايجابية المجمعة (ما تكون عليه من تضاد وتنافر وهى المنافسة والصداع وهى العلاقات السلبية المنفرة).

وقد روى الغزالى فى هذا المقام نقلا عن الفضيل فى بعض كلامه قوله هاه تريد ان تسكن الفردوس وتجاور الرحمن فى داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بأى عمل عملته، بأى شهوة تركتها، بأى غيظ كتمته بأى رحم قاطع وصلتها، بأى زلة لأخيك غفرتها، بأى قريب باعدته فى الله، بأى بعيد قاربته فى الله.

ويؤكد الغزالى معنى جديد من معانى الترابط الاجتماعية والاخاء فى الاسلام وهى الالفة التى تشد أزر قلوب المؤمنين مؤكدا هذا المعنى بقول الرسول الكريم ان احبكم الى الله الذين يألفون ويؤلفون.

بيان معنى الاخوة الاسلامية

فى هذا المقام يفرق الغزالى بين انواع العلاقات الاجتماعية التى تولد نتيجة للمخالطة والمعاشرة ويقول ان الصحبة والالفة قد تنشأ نتيجة للجوار وما يقتضيه ذلك من تفاعل بين المتجاورين أو بسبب الاجتماع فى المكتب مثلا أو فى المدرسة أو فى السوق أو فى الأسمار.

وكم كنا نود ان يسبق الامام الغزالى غيره من العلماء الاجانب ويحلل لنا طبيعة العلاقات التى تنشأ بين كل جماعة من هذه الجماعات السابقة من حيث اصالتها وقوتها واستمرارها ومدى تأثيرها فى سلوك الافراد وتصرفاتهم وقوة الضبط الاجتماعى الذى تمارسه عليهم ومدى قوة الالزام الخلقى الذى يرتبط به هؤلاء الافراد فى علاقاتهم. وفى هذا المقام نجد التشابه واضحا بين ما ذكره الغزالى فى هذا الصدد حيث يرى ان

(١) الاحياء الجزء الثانى، كتاب آداب الالفة، ص ١٥٣ وما بعدها.

الارواح تتحارب فيما بينها وتتعارف بالضرورة مستشهدا فى ذلك بالحديث الشريف «الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف» ، وروى الغزالى ايضا عن بعض العلماء من أن الله سبحانه خلق الارواح فلقين واطافها حول العرش فأى روحين من فلقين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا فى الدنيا . ويؤكد الغزالى فى هذا الاتجاه بان الانسان ينجذب الى قرنين حيث توجد ملكة تدفع المسلم الى الارتباط بأخيه المسلم وفى هذا وجه شبه بين ما ذهب اليه العلامة شافتزبرى حيث يفترض هذا العالم وجود ملكة خاصة بالمصطلحات والقواعد الخلقية . هذه الملكة تحر الفرد ان يكون العلاقات الاجتماعية الطيبة والمحممة وتضبط سلوكه ومعاملاته فى مجتمعه . بهذا يمكن القول بان الامام الغزالى قد سبق المفكرين المحدثين فى القول بوجود هذه الملكة أو هذا الاستعداد لتكوين عوامل الالفة وروابط المحبة بين الافراد .

هذا وقد استطرد الغزالى فى تحليل الدوافع الاجتماعية الاساسية لتكوين الروابط الطيبة والعلاقات المحممة وذكر ان هذه الدوافع ربما كانت وسيلة لتحقيق غاية معينة . وقد تكون هذه الغاية اجتماعية فى بعض الاحيان وفردية فى بعض الاحيان الاخرى . فيقول الغزالى قد يكون الدافع لذلك هو تقديس الجمال لان الحب جميل ، وان كان اتجاهه هذا تجريديا الا انه يؤكد المعنى السابق الاشارة اليه من وجود استعداد فطرى لتكوين روابط وعلاقات طيبة بين الفرد وغيره من بقية افراد جماعته .

ويقول الغزالى ان السبب فى التجاذب قد يكون ماديا فرديا بحتا كحب الانسان مثلا للذهب والفضة كوسيلة للجاه والرغبة فى الغنى ، وقد

يكون السبب اجتماعيا كحب الاستاذ مثلا من اجل العلم الذى يفيد به افراد المجتمع . هذا وقد أفاض الغزالى فى شرح المزايا الاجتماعية العامة لهذا الحب وكذلك المزايا الدينية له من تحقيق سبل الاستقرار الاجتماعى، واشاعة روح التضامن الأخوى والألفة والمحبة بين المواطنين مما يجنب المجتمع ويلات المظاهر الاجتماعية الباثولوجية وتخفيف حدة التوتر الاجتماعى والحقد الطبيعى هذا فضلا عن السعادة الربانية التى أفاض فى الحديث عنها ذاكرا عدة أمثلة تبين الحب فى الله ومظاهره الاجتماعية[1] المختلفة .

ويقول الغزالى ان زيادة الحب وعمقه انما هو دليل شدة الايمان بالله وتوفيقه لعبده فيقول ما نصه[2] « كل زيادة فى الحب لولا الايمان بالله لم تكن تلك الزيادة، فتلك الزيادة من الحب فى الله » . هذا وقد قدم الغزالى صورة حية من صور العزلة الاجتماعية لبعض الفئات التى تعتبر ذات خطر واضح على المواطنين وقسم الفئات الواجب على المسلمين الابتعاد عنها وعدم مخالطتها لما يسبب ذلك من ظواهر باثولوجية مرضية قد تؤثر فى تضامن المجتمع واستقراره . وقد ظهر ذلك بصورة واضحة حينما يتحدث عن مراتب الدين يبغضون فى الله وكيفية معاملاتهم وقد قدم لنا ثلاثة صور اولها الكافر الذى لا يجب معاشرته أو مخالطته أو مجرد اقراء السلام عليه . ويقول الغزالى ان ذلك يعتبر مكروها كراهية قد تصل الى حد التحريم . ثم المبتدع الذى يدعو الى بدعته ويزعم ان ما يدعو اليه هو الحق . والثالث وهو احف الفئات ضررا . وقد نبه الغزالى الى ضرورة

---

(١) الاحياء المرجع السابق ص ١٦١ وما بعدها .

(٢) [illegible] السابق .

مطاردة هذه الفئات الثلاث حيث تهيئ اسباب الشر والفساد، فمنها على حد قوله من يظلم فى الدماء فيبيح القتل وانتهاك الحرمات، وهناك من يظلم فى الأموال ويستحل حقوق الغير بدون وجه حق. وهناك من يظلم فى الأعراض فيبيح اختلاط المحرمات مع ما يتبعه ذلك من مظاهر الفوضى والانحلال. كل هذه المظاهر التى تتسبب الاضطراب والخلل بين فئات المجتمع وتشيع الفساد والاضطراب بين مختلف طبقاته. ولذا فقد حذر الامام من مخالطة مثل هذه الفئات ونصح بالابتعاد عنها وعلى أن يكون لها دور ايجابى فعال فى النشاط الاجتماعى حفظا وصونا على وحدة الجماعة الاسلامية. هذا وقد شاع الابتعاد عن هذه الفئات فى جميع ارجاء المجتمع الاسلامى وأمصاره وحض أولوا الرأى والحكمة على مجافاتها وعدم مخالطتها حتى أصبحت عزلتها احدى الظواهر الطبيعية فى المجتمع الأسلامى وانتشرت هذه الظاهرة بصورة واسعة النطاق على مر الأيام والعصور وما زالت حتى الآن لها دلائلها وخاصة فى المجتمعات الريفية ذات العلاقات الأولية أى علاقات الوجه للوجه حيث تعيش هذه المجتمعات فى شبه عزلة الى حد كبير.

حقوق الاخوة عند الغزالى

أفاض الغزالى الى حد كبير فى ابراز مقومات التضامن الاجتماعى بين أفراد المجتمع، وذلك فى حديثه عن حقوق المواطن المسلم لدى زميله المسلم فيقول كما أن النكاح يوجب حقوقا تجب الوفاء بها وكذلك الاخوة. واذا نظرنا الى المفكرين الذين تناولوا موضوع الترابط الاجتماعى وتفسير التماسك الذى يبدو بين أفراد الجماعة وتحليل العوامل التى تعمل على تحقيق

التضامن الاجتماعى ومعالجة الأسباب التى تؤدى الى وهن الترابطات الاجتماعية أو تفكك أوصال الوحدات الأساسية للمجتمع . أقول اذا ما نظرنا الى هذه الآراء فاننا لاشك نجد العلامة المسلم قد تناول الموضوع بصورة تكاد تكون تكاملية من وجهة النظر الاجتماعية، وذلك على عكس العلماء المحدثين الذين تقيدوا فى تفسيراتهم للترابط الاجتماعى بالنظريات الفلسفية التجريدية والآراء الفكرية أكثر من مراعاتهم للنظرة الموضوعية الواقعية فمنهم من حبس نفسه فى التأملات النظرية المجددة التى كثيرا ما قامت على الافتراض والتخمين أو التاريخ الاجتماعى مثل اصحاب نظرية العقد الاجتماعى . ومنهم من تصور الموضوع تصورا قياسيا أو تمثيليا بدون أن يلتزموا بالطريقة الاجتماعية الصحيحة التى تقوم على أساس التحليل والتفسير وقد أدى هذا بالطبع الى الوقوع فى عدة أخطاء وتعميمات تنقصها الدقة العلمية .

وهناك ايضا اصحاب نظرية الاتجاه الحيوى . هذا ويمكن القول بأن الاستنتاجات التى توصل اليها اصحاب هذه الآراء كانت من العمومية بحيث انها تنظر الى الأشكال الاجتماعية على أنها وحدة متماثلة فى طبائعها . أما الغزالى فكان يعالج هذا الموضوع فى نطاق المجتمع الاسلامى المحدود النطاق والمحدد المعالم والأرجاء . بحيث يمكن القول بأنه قد تدارك الى حد كبير بأن لكل مجتمع مقوماته الخاصة به ولكل نموذج أو شكل اجتماعى دعائمه التى تميزه عن غيره، وقد أورد الغزالى مجموعة من الحقوق تعد على

دعامة واقعية وفعلية للترابطات الاجتماعية والعلاقات الايجابية بين الأفراد التى تتيح لهم قضاء مصالحهم وتفاعل وحداناتهم ومشاعرهم واحتكاك رغباتهم وتفاعل آلامهم وآمالهم وانصهار مشاعرهم . وبهذا تبرز سمات الاستقرار الاجتماعى والترابط الجمعى فيما بينهم وأول هذه الحقوق كما أوردها الغزالى فى الاحياء.

الحق الأول فى المال

اعتمد الغزالى على تعاليم الدين الاسلامى وما رواه الرسول الكريم والخلفاء الراشدون والائمة من أحاديث وأحكام فى ابرار روابط العلاقات الاجتماعية ومدى ما تصل اليه حقوق الاخوه الاسلامية فيرى فى هذا المجال ان المواساة بالمال مع الاخوة على ثلاث مراتب . وهذا وقد نبذ العلاقات العرضية حيث يقول ، ان المخالطة الرسمية لاوقع لها فى العقل والدين . وقد أورد فى هذا المجال عدة وقائع عملية خرجت الى حيز التطبيق العملى تثبت فى وضوح طبيعة العلاقات السائدة بين أئمة الصدر الأول فى الاسلام والتى حذا حذوها المسلمون واصبحت طريقا ومنهاجا يسيرون عليه فى علاقاتهم ، ومثال ذلك ما رواه عن فتح الموصلى وما رواه ايضا عن ابى هريرة وابراهيم بن ادهم ، هذا ويمكن القول بأن مظهر هذه التعاليم قد ابرزت الى نطاق المجتمع الاسلامى مبادئ وقيما جديدة وعقائد مستحدثة وضغوطا اجتماعية تسيطر على العلاقات السائدة بين فئات المجتمع الاسلامى وجماعاته ويمثل الى حد كبير اتجاها نشوئيا جديدا برزت فى ظله القيم وعلاقات جديدة ابرزها الايثار والتضحية والمحبة النابعة التى يحكم رباطها الدين الحنيف . ويمكن القول بأن الغزالى قد قدم لنا فى وضوح البداية

البسيطة لطبيعة النظرية الأولية التى نظر بها الباحث الى المجتمع البدائي الاسلامى هذه البداية التى كانت نموذجا للتركيبات الاجتماعية الحديثة والمعقدة بحيث يمكن ان ندرس فى ظلها نشوء النظم الحديثة وتطورها .

ثانيا حق الاعانة بالنفس على قضاء الحاجات

ساق الغزالى فى هذا المقام عدة امثلة توضح الى اى مدى كان السلف الصالحون يتسابقون فيما بينهم فى قضاء حاجات اخوانهم المسلمين حتى اعدائهم عملا بتوجيه الدين الحنيف حيث يذكر انه كان فى السلف من يتفقد عيال اخيه وأولاده اربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم عليهم ويمدهم من ماله فكانوا لايفقدون من أبيهم الا غيبه . هذا فضلا عن مظاهر الزيادة والاكرام والايثار والتقديم على الأقارب والولد .

ثالثا حق اللسان

فى هذا المقام ضرب الامام اروع الأمثلة فى كيفية الحفظ على العلاقات الاجتماعية المجمعة والايجابية حيث يقرر بما لا يدع مجالا للشك أو الريب ضرورة حفظ اسرار الصديق و كذكر محاسنه دون عيوبه وستر عورته ، وقضاء حاجته وذكر طيب محاسنه ، وذلك فيما رواه عن الرسول الكريم والسلف الصالحين خير منهج عملى وطريق تطبيق لتوضيح القيم الاجتماعية والمقومات الخليقية التى كما زالت حتى الآن تحض على نبذ البغضاء والغيرة والحسد والقطيعة .

رابعا العفو عن الذلات والهفوات

أدرك الغزالى طبيعة النفس البشرية ومدى تعقد العلاقات الانسانية بين افراد المجتمع حيث لابد من أن الفرد سيرتكب المعاصى اما فى حق دينه أو فى حق أخوانه واكد ايضا ضرورة التسامح عن هفوات الأحوان ابقاء للمودة وتحقيقا للالفة والمودة وساق فى هذا المجال عدة امثال واقعية تمثل كيف تصرف الرعيل الأول فى امثال هده المجالات فيروى عن ابو سليمان الداراني قوله لأحمد بن ابى الحوارى اذا واخيت احدا فى هذا الزمان فلا تحاسبه وتعاتبه على ما تكره فانك لا تأمن من أن ترى فى جوابك ما هو شر من الأول قال فجربته فوجدته كذلك ، وقال بعضهم الصبر على مضض الأخ خير من معاتبته ، والمعاتبة خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة ، وينبغى الا يبالغ فى البغض عند الوقيعة قال تعالى « عسى ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة » وقال عليه السلام « احبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما فعسى أن يكون حبيبك يوما ما » وقال عمر رضى الله تعالى عنه لا يمكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا — وهذه الصورة توضح لنا مدى حرص الغزالى على تماسك البنيان الاجتماعى ودوام العلاقات الايجابية المحكمة بين المواطنين وعدم السماح لعوامل الوهن والخلل الاجتماعى ان تتسرب الى اشاعة البغضاء والصراع بين الافراد .

هذا فضلا عن بعض الحقوق التى أوردها الامام الغزالى . تلك الحقوق التى تتيح الفرصة لعوامل الاستقرار الاجتماعى وعدم توقع حدوث

منازعات فى محيط الهيئات والمنظمات والجماعات والفئات، وذلك كنتيجة طبيعية لهذه الحقوق التى أوردها الغزالى فيما سبق وهى بايجاز «أن تسلم على أخيك اذا لقيته وتجيبه اذا دعاك وتشمته اذا عطس وتعوده اذا مات، هذا فضلا عن حقوق الجوار، وهنا أورد الغزالى حديث الرسول (صلعم) الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق. اما الأخير فهو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم، وأما الذى له حقان فهو الجار المسلم فله حق الجوار وحق الاسلام، وأما الذى له حق واحد فقط فالجار المشرك ...

هذا ويمكن القول بأن بحوث الغزالى فى هذا المجال كانت ولا شك تمتاز بحسن العرض ودقة التحليل وسلامة التفصيل وهى تقدم للقارئ صفحات غنية بالافكار والنظريات، ومبادئ تمتاز بالأصالة والتجربة والعمق فى دراسة أصول وطبائع الأشياء الخاصة بمقومات الثقافة العربية والتقاليد الاسلامية والأفكار المذهبية وانتشارها فى الأقطار التى ذهب اليها المسلمون فاتحين وداعين الى الدين الجديد ورسالة العدل والسلام بحيث يمكن القول بأن بحوثه فى هذا المجال تعتبر ولا غرو من قبيل علم الأنثروبولوجيا الثقافية الذى تعمق فى دراسة التراث الفكرى للمجتمع الاسلامى من قيم وأنماط سلوكية وعادات وتقاليد اجتماعية وهذا هو آراء فلسفية ومبادئ ونظم دينية ومن ناحية أخرى يمكن أن نبين باختصار فضل الغزالى وآثار فكره على الفكر الاسلامى الحديث بالهند.

فمن المعروف أن فلسفة وفكر الغزالى كان السبب المباشر فى ثورة الموحدين. وكان لفكره الدور الأعظم فى بلورة وتكوين طريقة جديدة

وفكر لشاه ولى الله فى الهند . وقد ظهر ذلك فى «حجة الله البالغة» حيث أن معظم أفكار شاه ولى الله نجدها فى حجة الله البالغة ومعظمها مأخوذ من فكر و كتابات الامام الغزالى .

ومما يستحق الذكر أن لشاه ولى الله أثر بالغ على التفكير الاسلامى الحديث بالهند .

ومن هنا يتضح تأثير الامام الغزالى ودوره البالغ وان كان غير مباشر على الفكر الاسلامى الحديث فى الهند وهو أثر لاينكره أحد فللامام الفضل وكل الفضل وعليه السلام والرحمة .

المصادر

احياء علوم الدين للامام الغزالى — دار احياء الكتب العربية — عيسى البابى الحلبى وشركائه الأجزاء — الأول والثانى والثالث والرابع — القاهرة ١٩٥٧ . المراجع :

«عوارف المعارف للسهروردى	دار الكتب المصرية القاهرة
مروج الذهب ومعارف الجوهر للمسعودى	مكتب جامعة القاهرة
المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار للمقريزى	» » »
الدكتور احمد الخشاب	دراسات انثروبولوجية مكتبة الأنجلو القاهرة ١٩٥٩
» » »	الضبط والتنظيم الاجتماعى مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٥٦

الدكتور احمد الخشاب	العلاقات الاجتماعية مكتبة الأنجلو ١٩٥٨
« « «	النظم الاجتماعية ، المجتمعات المتخلفة والنظم الدينية مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٥٧
الدكتور مصطفى الخشاب	علم الاجتماع ومدارسه ـ الجزء الاول مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٦
« « «	علم الاجتماع ومدارسه الجزء الثانى، مطبعة لجنة البيان
الدكتور ابراهيم رزقانة	الأنثروبولوجيا القاهرة ١٩٥٩
ايفانز بيرنشارد	الأنثروبولوجيا الاجتماعية ترجمة الدكتور احمد ابوزيد ١٩٦٠
اميل دوركيم	قواعد المنهج فى علم الاجتماع ترجمة محمود قاسم القاهرة ١٩٦١

حول حقوق الانسان

للاستاذ عبد الهادى الجوهرى

نظرة تاريخية ودينية

من المعروف أن التاريخ سلسلة متصلة الحلقات وأن الفكر الانسانى نتاج البشرية جمعاء ساهمت فى كل أمة وساهم فيه كل جيل بقدر واعلان حقوق الانسان هو حلقة فى تلك السلسلة الطويلة ونوع من الفكر توصل اليه المفكرون والفلاسفة وتدارسوا أمره وتباحثوا شئونه قبل تقريره.

والملاحظ ان الامم الديمقراطية الحديثة تدعى ان العالم مدين لها بتقرير حقوق الانسان وقد تنازعت فيما بينها فضل السبق إلى ذلك فذهب الانجليز إلى أنهم أعرق شعوب العالم فى هذا المضمار كما زعم الفرنسيون ان هذه الاتجاهات جميعا كانت وليدة ثورتهم التى نادت ورفعت شعار الحرية والاخاء والمساواة.

وأنكرت أمم أخرى على الانجليز والفرنسيين هذا الفضل وادعته لنفسها. ومع ايمانى بالفكرة السابقة الذكر المتمثلة فى كون الفكر الانسانى نتاج البشرية جمعاء فانى أحب أن أقرر فى هذا المقال ان الاسلام كان أول من قرر المبادئ الخاصة بحقوق الانسان فى أكمل صورة وأوسع نطاق.

وفى هذا العرض السريع سأحاول القاء الضوء على موقف الاسلام من بعض الحقوق الرئيسية للانسان منها حقه فى المساواة والحرية وفى حماية المجتمع لنفسه وماله وعرضه.

وترجع أهم مظاهر المساواة الى ثلاثة انواع :

أحدها المساواة فى القيمة الانسانية المشتركة .

ثانيها : المساواة أمام القانون وفى الحقوق العامة السياسية وغيرها .

وثالثها : المساواة فى شئون الاقتصاد

المساواة فى القيمة الانسانية المشتركة

ومما لاشك فيه ان الاسلام يقرر أن الناس سواسية كأسنان المشط وانه لاتفاضل بينهم الا على أساس كتاباتهم وأعمالهم ومايقدمه كل منهم لربه ونفسه ووطنه والمجتمع الانسانى .

وقد قضى بذلك على نظام الطوائف وأساليب التفرقة بين الطبقات وقواعد المفاضلة بين الناس تبعا لاختلاف شعوبهم أو تفاوتهم فى الاحساب والانساب .

قال الله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير . »

ويقول رسول الله الصلوة والسلام فى خطبة الوداع التى جعلها دستورا للمسلمين من بعده : (أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لادم وآدم من تراب أكرمكم عند الله اتقاكم وليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لاحمر على أبيض ولا لابيض على احمر فضل الا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ، الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب) .

المساواة أمام القانون وفى الحقوق العامة :

قرر الاسلام ان يعامل الناس جميعا على قدم المساواة أمام القانون وفى الحقوق العامة بدون تفرقة بين شريف ووضيع أو بين حاكم

يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أول خطبة خطبها بعد تولية الخلافة « ايها الناس انه والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحقوق له ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه » .

المساواة فى شئون الاقتصاد :

لقد حرص الاسلام كذلك أيما حرص على تقرير المساواة بين الناس فى شئون الاقتصاد وذلك بالعمل على تحقيق تكافؤ الفرص بينهم وعلى تقليل الفروق بين الطبقات وتقريبها بعضها من بعض وتحقيق الاشتراكية فى احسن صورها .

واتخذ الاسلام لتحقيق هذه الغاية وسائل كثيرة يرجع اهمها الى الوسائل الآتية :

١ ــ تحريم الاسلام لمختلف طرائق الكسب غير المشروع .

فقد حرم الربا « وأحل الله البيع وحرم الربوا » .

وحرم الاسلام كذلك جميع المعاملات التى تنطوى على غش أو رشوة أو أكل أموال الناس بالباطل أو تطفيف فى الكيل او الميزان . « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم » .

ويقول عليه الصلوة والسلام : « من غش أمتى فليس منى » .

حرم الاسلام استغلال النفوذ والسلطان للحصول على المال كما حرم احتكار ضروريات الناس للتحكم فى اسعارها ، ويقول الرسول فى هذا الشأن : « من احتكر طعاما اربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه » .

٢ ــ الميراث الاسلامى ووظائفه الاشتراكية :

ووضع الاسلام للميراث نظاما حكيما يكفل توزيع الثروات بين الناس توزيعا عادلا ويحول دونه تضخمها وتجمعها فى أيد قليلة .

وقد حظر الاسلام على المالك ان يوصى لاحد ورثته بما يعطيه اكثر من حقه الشرعى بعد وفاته فيقول الرسول عليه الصلوة والسلام : «لا وصية لوارث» كما حظر عليه ان يوصى لغير ورثته الا فى حدود الثلث من تركته .

٣ ــ الضرائب والزكاة فى الاسلام :

فرض الاسلام على مختلف انواع الثروة وشتى مظاهر النشاط الاقتصادى من انواع الضرائب والزكاة ما يكفل تحقيق العدالة الاجتماعية ويسد حاجات المعوزين ويحول دون تضخم الثروات .

٤ ــ الصدقات الموسمية الواجبة وأثرها فى سد حاجات المعوزين :

أوجب الاسلام على الاغنياء فى بعض المواسم تتكرر كل عام ان يخرجوا من اموالهم صدقات للفقراء والمساكين ومن أهم هذه الصدقات ما يلى :

(ا) زكاة الفطر (ب) الضحايا التى يجب نحرها فى عيد الاضحى (ح) التكافل والضمان الاجتماعيان فى الاسلام .

وأوجب الاسلام على الاغنياء من الاقرباء الإنفاق على الفقراء والعاجزين عن الكسب من اقربائهم . كما أوجب الاسلام على بيت المال الإنفاق على العاجزين عن الكسب والشيخ الفانى والمرأة إذا لم يكن ثمة من أقربائهم من تجب عليهم نفقتهم ولا يفرق الاسلام فى ذلك بين المسلمين وغير المسلمين .

٥ — اباحة الاسلام تعديل الاوضاع لتحقيق التوازن الاقتصادى:

أباح الاسلام للامام ان يتصرف فى توزيع الاراضى او العامة على وجه يحقق التوازن الاقتصادى بين الطبقات.

٦ — ترغيب الاسلام فى التصدق بفضل الاموال على الفقراء والمساكين:

حبب الاسلام الى الاغنياء التصدق بفضل اموالهم على الفقراء وجعل اكتناز الاموال وعدم انفاقها فى سبيل الله من كبائر المعاصى وتوعد المكتنزين بأشد العقوبة يوم القيامة.

«يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون».

«مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم».

«والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون.»

٧ — ترغيب الاسلام فى انفاق ما زاد عن الحاجة فى سبيل الله:

لقد حبب الاسلام الى الناس أن ينفقوا عما زاد عن اموالهم عن حاجتهم فى سبيل الله.

الحرية فى الاسلام

ان مفهوم الحرية امر نسبى وليس مطلق وعلى اية حال فانه يتضمن نواحى اربعة: الحرية السياسية، الحرية الفكرية، الحرية الدينية، الحرية المدنية.

الحرية السياسية:

وهى التى يمنح بمقتضاها الحق لكل فرد عاقل رشيد فى أن يشترك فى إدارة شئون الدولة ويرقب أعمال السلطة التنفيذية عن طريق إنتخاب ممثلين سواء عن طريق انتخاب مباشر أو غير مباشر او عن طريق الاستفتاء العام.

الحرية الفكرية:

منح الاسلام كل فرد الحق فى إبداء رأيه عن أى طريق شاء ويدخل فى الحرية الفكرية ما يسمونه بالحرية العلمية او حرية التفكير العلمى واعتناق ما يقتنع الفرد بصحة من نظريات وكذلك حرية الرأى وحرية الخطابة وحرية الصحافة بمعناها العام.

الحرية الدينية:

وتتمثل فى عدم ارغام أحد على ترك دينه واعتناق الاسلام على اساس أن الدين لله والوطن للجميع وتلك هى النظرة العلمانية (Secular Attitude) وهى تمقت العصبية «لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى» وكذلك حرية المناقضات الدينية ورفع تطبيق شعار الايمان الصحيح هو ما كان منبثقا عن يقين واقتناع لا عن تقليد وإتباع.

الحرية المدنية:

ونعنى بالحرية المدنية صفة الرشد المدنى التى تجعل الشخص اهلا لان يتحمل الالتزامات ويعقد باسمه مختلف العقود المشروعة من بيع وشراء وهبة ووصية ورهن وزواج والخ.

وهكذا نرى كيف ان الاسلام قد وضع الخطوط الرئيسية وأقر حقوق الانسان وذلك فى القرن السادس الميلادى قبل ان يكون هناك ثورات أو عصبة أمم أو هيئة الامم المتحدة وان كان الاسلام يمكن اعتباره فى حد ذاته ثورة ، أنه ثورة على الاوضاع الاجتماعية البالية التى اتسمت بها المجتمعات آنذاك . بل يمكن اعتبار كل الاديان ثورات بهذا المفهوم واذا تمعن الباحث فى تلك الاديان وكيفية معالجتها لمسألة حقوق الانسان لوجد ان ميثاق اعلان حقوق الانسان له خطوط وخيوط واضحة داخل نسيج هذه الاديان .

فما اتت الاديان ونزلت وما خط ميثاق اعلان حقوق الانسان الا لهدف اساسى هو خدمة الانسان كانسان والاعتراف بآدميته وانسانيته ولا يمكن تحقيق ذلك الا اذا توافرت للانسان وكل انسان فرصة متكافئة فى تحصيل العلم والتعلم والعمل والمسكن الملائم والعلاج وحرية التعبير والديانة وبمعنى آخر تحقيق حريته اجتماعيا وسياسيا .

الاستاذ عبد الهادى الجوهرى

نشوء الهند كدولة وطنية

بقلم الاستاذ رميش دتادكم

لاشك ان نشوء دولة بشكلها العصرى ليقرب الى حد كبير بنشوء الوطنية ، ومما يؤيد ذالك بل ويسببه احيانا ان الدولة والامة كثيرا ما تستعملان ككلمتين مترادفتين تستبدل احداهما الاخرى مما يورث الالتباس فى المفهوم ، ويجعلنا نخيل انهما كلمتان مترادفتان .

اما الدولة فهى ما تشتمل على الحدود الجغرافية والامة اللتين ترتبطان فيما بينهما بنظام سياسى . غير انه معنى كلمة الدولة لاتكتمل إلا إذا إتحد سكان منطقة تحت حكم واحد . اما الوطنية فالحق انها تنجم عن نظام سياسى وانها لاتقتصر فى حدود الحكومة بل يمكن ان تتجاوز عنها وتتسع الى حدود مناطق اخرى أيضا ـ بينما يمتاز سكان دولة بأن تدين رقابهم وتخشع قلوبهم لحكومة ، يمتاز القائلون بوطنية خاصة بأنهم يشعرون فيما بينهم بصلة خاصة وان كانوا من سكان دول مختلفة ذات حكومات مختلفة . ومن المحتوم ان الدولة اذا توثقت صلتها باهل الوطنية تزيد متانة وصيانة ، وفى الظروف المثالية تتسرى الدولة بامتها . وهى عبارة عن مجموعة سكانه تحسب نفسها ، لوجوه عديدة ، افراد امة يربط بعضها ببعض نظام سياسى واحد . فالوطنية ، كما هو الطبيعى ، لمن اقوى دواعى الاتحاد ـ اتحاد الحكومة واستحكامها . ومن ثم اذا مانرى دولة تحظى باتحاد العواطف لامع وحدة الحكومة ، تجدها اكثر قوة ومتانة يرجع فضلها إلى الأحاسيس فى شتى مناحى الحياة ، منها الاجتماعية والثقافية ونحوهما الناشئة من وحدة الوطنية المنبثة فى اهلها . نعم يعد من بواعث هذا التضامن ، ولا غرو ، شتى القوى

المعنوية الشائعة فى الدولة فانها ايضا تلعب فى التأثير فى نفوذ الحكومة وتعزيز اسسها دورا حيويا فعالا . فلاشك اذاً أن يكون الكلام عن الهند من ناحية نشوءها كدولة وطنية ذا نفع كثير .

أن الوطنيات انما تخرج الى حيز الوجود عند ما تحدد طائفة اجتماعية ببعض الروابط المرموقة اليها، منها إتحاد اللغة والشعور بقرابة سلالية او جنسية أو التقارب فى الظروف الاجتماعية أو الإتحاد الجغرافى أو التراث التاريخى المشترك او نسيج الفكر السياسى المشترك او المجال المشترك فى الحاجات الاقتصادية واحيانا المحاقة من عدو يكون لهم جميعا بالمرصاد . نعم كانت الديانة ايضا فى بعض العصور يعد من احد العوامل القوية لانشاء الوطنية ثم ظهرت نظريات الوطنية العصرية فاستبدلت عنها ولم تعد الديانة تحظى باهمية كانت لها من ذى قبل .

ولاشك ان الوطنية قلما تتمتع بجميع هذه الروابط والعوامل المذكورة عن آخرها، بل تحظى بعضها ببعض منها بينما تحظى الاخرى بالبعض الآخر . ولا بأس بذلك فان وجود كل الروابط المذكورة ليس بضرورى لانشاء الوطنية . فاحياناً تجد بعضها ضعيفة التأثير وضيقة النطاق والأخرى قوية النفوذ واسعة المجال فى أفراد الامة باجمعهم أو فى أكثرهم وطبعا من تجد الوطنية متعززة الأسس، وقوية الدعائم، اذا تكون الروابط الموجودة فيها كلها ضعيفة الأثر، وضيقة المجال . وخلاصة القول ان الوطنية تتوقف قوتها وضعفها على كثرة الروابط وقلتها، فكلما يكون عددها أكبر فى الامة تكون الوطنية اقوى وكلما يقل عددها تكون الوطنية اضعف واوهى .

وانما تتمتع الامة مبدئيا بالوطنية بفضل إشتراكها فى العواطف والتقاليد والتقارب الجغرافى ، أما العواطف فهى اللغة والديانة وحب الوطن

والنظريات السياسية ، والتقاليد ومعناها البضاعة الباقية من العوامل والظروف التاريخية السالفة بيسما يعنى التقارب الجغرافى ، التقارب او التوحد فى المنطقة التى يسكنونها جميعا .

ولا يخفى على متتبعى التاريخ ان الوله بالارض المتحضرة كان السبب الرئيسى للحياة الاجتماعية فى العصور الغابرة . فكان الانسان فى الماضى يرتبط بمواطنيه لاجل وحدة الوطن ، الذى تلقاه وليدا ورضيعا ورباه طفلا ويافعا . ومن هذه الحقيقة انبعثت فكرة الوطن التى ارتقت على مر العصور الى درجة الوطنية وذلك تقتضيه الطبيعة لان المكان هو اول ما تتطلبه الامة للنشوء والترعرع فالاستحكام والتثبت والقوى الاخرى باسرها انما تنشأ وتزدهر بعد ما تتبوأ الامة مقعدا من الارض تأوى اليه ابناؤها ، فالوطن هو الحجر الاساسى لكل تقدم تحرزه الامة فى ناحية من شتى نواحى الحياة وحوله تدور جميع الاحاسيس والتقاليد والاوضاع التى تؤدى مهمتها نحو إنشاء الادب واللغة والديانة والثقافة مما ينجم عنها وجود الامة وتميز شخصيتها التى تطالب بالبقاء والاستقلال والتقدم فى شتى الميادين حسبما تتقدم فى مجالات الحياة .

فالهند تتمتع بالمبدأ الاساسى للوطنية اى وحدتها الطبيعة الجغرافية بكل معناها . فقلما تجد منطقة من المعمورة حددتها الفطرة من الناحية الجغرافية أحسن واكمل مما حددت الهند — نعم تجد فى داخل الهند إختلافا كثيرا ، فتختلف مناطقها فى المميزات الطبيعية بما فيها الفصول والاجواء ، لكن الهند بمجموعها تتميز عن سائر الدول المجاورة لها بالميزات الطبيعية تميزا واضحا . وكثيرا ما يغفل الكتاب وخاصة الكتاب الاوربيون عن هذا التميز الجغرافى الهائل مع وضوحها وتميزها وذلك لانهم لم يتمعنوا

بالنظر فى مثل هذه الوسعة الجغرافية المدهشة لكونهم من سكان البلاد الضيقة الحدود ولاجل ان الهند دولة مترامية الاطراف واسعة الارجاء يعد يقصر الفكر عن احصائها دولة واحدة فيحسبها الحاسبون دولا مختلفة متميزة فيما بينها بشتى العناصر الطبيعية التى هى فى الحقيقة ميزات فى داخل الهند وليست لها اى صلة تفصلها عن سائر العالم كل فصل، نعم هذه الميزات على اختلافها وتباينها لاتخلو عن ميزة مشتركة. وقد يتراءى للقارى هذا الدعوى — دعوى الميزة المشتركة — دعوى باطلة لن يتيسر لنا اثباتها اوتبرهنها، وكيف لا، فان الفرق فيما بين منطقتين قد يصل الى حد يخيل الى الذهن لاجله ان السعى الى ايجاد قدر مشترك لن يعود بنفع ما، ولا غرو فان ولاية آسام وبنغال حالهما فى غزارة المطر ما قال القائل:

رب سارية وغاد مدجن وعشية متجاوب ارزامها

وفى نفس الوقت لا تزال منطقة تهار جافا لا ترزق بقطرة ماء كأن سهولها وغاباتها تنادى مخاطبة المناطق المخضلة:

هنيئا لارباب النعيم نعيمهم وللعاشق المسكين ما يتجرع

وكذلك نجد كثيرا من الفروق الواسعة فيما بين فصول المناطق الجنوبية والشمالية مما يتعسر لاجلها اثبات وجود ميزة مشتركة فى الجميع كما تصديت لها. ولكن الحق ان الاختلاف ليس مفاجئا ولا بغتة بل تتسرى الى المناطق تدريجيا نجد فى البلاد كلها توافقا طبيعيا لطيفا وخاصة من ناحية فصل الامطار الذى يتوقف عليه النشاط الزراعى فى البلاد — وانما هذا التطور المتأنى والاختلاف التدريجى هو السبب فى ايجاد تلائم طبيعى يشمل الجميع ويجعلهم يحاورون باللغة الجغرافية الواحدة — ولاجل هذه

الميزة — ميزة وحدة الظروف المحيطة بهم — يفهم كل منهم وجهة الآخر ويهتم بها .

ولا شك ان ذلك عامل من عوامل التقارب والارتباط قوى وثيق يقضى على كثير من الفروق والخلافات الناجمة فى اهل الولايات عن اختلاف المناخ والاوضاع الطبيعية الاخرى . وكذلك خلو الهند فى داخلها من كل عرقلة طبيعية ، كالانهر والجبال يعد من بين العوامل التى قربت اهل الهند بعضهم لبعض ووثق عرى التضامن الوطنى فى جميع أرجائها . فمع اننا نجد الهند تظلها فى الشمال سلسلة من الجبال الشامخة وتحيطها فى الجنوب المياه الفسيحة الصحالة لاتوجد فى داخل البلاد اية عرقلة طبيعية كهذه تفقدون سير المواصلات او انشاء الاتصالات فيما دوى الارجاء او الولايات المختلفة بسهولة . نعم كانت جبال وندهيا يعد احدى العراقيل فى عصورها الغابرة ، اما اليوم فلم يعد مثلها من العراقيل تحمل اهمية ما . المواصلات العصرية ارفع واقوى لكثير من ان تحول دونها صعوبات كهذه ، وحتى فى العصور الغابرة ايضا كان تبادل الزيارات فيما بين سكان مختلف الجهات سارية شائعة الى حد كبير . ولم تكن هذه الوحدة الجغرافية موجودة فحسب ، اعنى لم تكن وجودها يسترعى انتباه احد من اهلها بل بذلت اسلاف الهنود جهودا جبارة لغرسها فى اذهان المواطنين ولم يزالوا يلفتون الانظار الى هذه النعمة السائغة منذ العصور الفيدانية حينا بعد حين .

وهذه الوحدة الجغرافية والتشابه فى الاوضاع الجغرافية قد ادت بحكم الطبع الى انشاء الوحدة الاقتصادية وكبيرا التشابه فى المهن والحرف وجميع مناحى الحياة الشائعة فى شتى عصورها . وكل هذا التشابه — التشابه فى المواقع الجغرافية والاوضاع الاقتصادية — انتج بدوره

وحدة ثقافية . كما هو الظاهر ان العوامل الطبيعية والاقتصادية هي اهم العوامل لخلق وانماء الحياة الثقافية . ثم جاء دور الوحدة الثقافية فاسفرت مجموعة الوحدة الاقتصادية والوحدة الثقافية عن نسيج من العواطف المشتركة التي لاتجد ذوي المناطق المختلفة من البلاد تختلف فيها الا اختلافا ضئيلا لايعتد به . ومن ثم يتبين لكل من يتتبع تاريخ الهند الثقافي ان وحدة اساسية ظلت سائدة في الفكر والشعور رغم الاختلافات الكثيرة التي توجد في مناحي الحياة . وهذه الوحدة الفكرية لم يزل يتطور ويتبدل صورة عن صورة ومن حين الى حين حسب متطلبات الشئون السياسية المتطورة في كل عصر ولكنه لم يمن بمجموعها شكلا وروحا قط . فكثيرا ما اصيبت الهند بالقوى المبيدة من داخلها وخارجها ، التي هددت بالقضاء على هذه الوحدة الا ان روح الوحدة لم تزل تقاوم كل هذه الهجمات خير مقاومة اسفرت التئام اخيرا عن ثقافة جديدة فاقت ثقافة العصر المنصرم روعة وسعة .

ومن بين العوامل الاربعة التي ينعكس فيها العاطفة تتمتع الهند بلا شك بثلاث منها بحد ملحوظ . ومن هذه الثلاث الديانة وحب الوطن والوجهة السياسية . أما حب الهنود للديانة فظاهر ، وأما حبهم للوطن فتجلت هذه الظاهرة في جهودهم المضنية لرقي بلادهم بينما نجد وجهتهم السياسية تدور حول وجهات «كوتليا» وحدها . وأما اللغة ـ الرابع من عوامل تعزيز الوطنية ـ فلا شك ان الهند سيئة الحظ في هذه الناحية لم يرزقها الرازق فيها باية واحد ما . بل الحق انها حقيبة من شتيت اللغات لن تجد اسماعها تشترك مع الاخرى في اساس من الاسس او تمت اليها بصلة من الاسس الا انها لغات سكان دولة واحدة . وانى لذلك ان تعتبر عاملا مركزا واحدا ـ نعم يمكن القول ان الهنود رغم اختلافهم

المدهش فى اللغة، بانهم يملكون ٥٠٠ لهجات ولغات فيما بينهم ...
فى احترام لغة واحدة وتكريم آدابها الكلاسيكية- وهى اللغة السنسكريتية
فقد اكنت قلوبهم جميعا سواء اختلفوا ديانة او عنصرا او لغة أو مسكنا
او نسلا لهذه اللغة احتراما وحبا جما. وهذه الآداب السنسكريتية تعرف
لتراث الفيدا او تقول العلوم المدونة فى العصور الغابرة، وهذه الآداب
هى المرجع الوحيد لعلوم الهندوكية الدينية أو فلسفتها أو فقهها أو تاريخها-
لو صح عند ذوى البصائر تعبيرها بالفقه أو التاريخ. ولا تجد سوى تلك
الآداب السنسكريتية مصدرا يمكن الرجوع اليه لمعرفة الديانة الهندوكية أو
استنباط مسائلها أو الاستعانة فى العلوم التى احتاج اليها الهنادكة فى عصر
من العصور، وخلاصة القول انها المرآة للديانة الهندوكية بجميع الوانها
واساريرها.

وهذه الحقيقة ان الهنود يملكون تراثا تاريخيا مشتركا واضحة لدى
الجميع، وكذلك غير خاف علينا أن الجالية الهندية مجموعة أناس انحدروا
الى الهند من مختلف المناطق وفى مختلف العصور وامتزجوا على مر العصور
مع سائر المواطنين فى جميع مناحى العيش ومذاهبهم امتزاجا كليا تعسر
لاجله العثور على أية ميزة تفرقهم أو تميزهم من المواطنين الاصليين
او السابقين من أمثالهم، فمعظم المسلمين، وهم أكبر أقليات الهند ...
والذين جاؤا إليها حوالى ثمانية قرون، ينحدرون من سلالات ...
الاصليين إعتنقوا الاسلام فى هذه البلاد نفسها فيما بعد ...
المسلمون الذين ينتمون إلى الاجانب من العرب أو ...

فى الهند، لكن اليوم قد إندمج بعضهم ببعض حتى لا نستطيع إلى التمييز بين الوافدين والمعتنقين منهم سبيلا. ولاجل ان كانوا مدينين بدين الطبقة الحاكمة فى الهند — اى الاسلام — ربما تجدهم فى بعض الازمنة متميزين من المواطنين الهنادكة، ولكن لم يستمر هذا التمييز لامد طويل بل اصبحوا فى القريب العاجل يشهدون إخوانهم الهنادكة فى جميع مجالات الحياة كأنهم حلقة مفرغة لا يدرى أين طرفها. ويشهد بذلك كفاح الحرية والذى إشترك فيه المسلمون والهنادكة كلهم وجاهدوا لاجل الاستقلال جنبا إلى جنب من غير فرق أو تمييز ما. فالحق أن الهند تتمتع بثلاث من أسس أو عوامل الوطنية الاربعة إلى حد كبير قلما تجد دولة أخرى تباريها فى ذلك. نعم، لا ننكر أن القوى الفاسدة من التخريب العنصرى أو اللغوى أو التوتر الحربى التى سايرت ولم تزل تسيئ إلى سمعة الهند. توجد فيها بقدر كبير أيضا بيد أن مثل هذه المشاكل تواجهها كل ديمقراطية واسعة النطاق مثل ديمقراطية الهند. ولا شك أن التضامن الوطنى بمفهومها الحقيقى نعمة لم ترزقها الهند حتى الآن. ولكن ليس منا — معشر الهنود — أحد يظن طائفة من طوائف الهنود يحاول الاضرار بمصالح البلاد اولا يتمنى رفاهها ورقيها. وهو الحق أن المسلمين الهنود يدينون ولاءهم للهند وتكن صدورهم لخيرها وصالحها كل حب وامنية. فامر التضامن الوطنى — كما ذكرت أن الهند لم ترزقه حتى الآن — ليس بأمر يفضح بروابطها الخارجية أو يبرر الحسبان أن الهند محرومة أهلها من شعور الوطنية أو الوعى القومى عن آخرهم. وكيف، فان التامليين الذين هم أكثر الطوائف الهنود تشددا وجمودا وخاصة فى مسألة اللغة تراهم يؤكدون بهنديتهم قبل كل شئ

ولا يؤثر خلافاتهم العنصرية واللغوية التى يواجهون بها أهل الشمال على أحاسيسهم الوطنية من أية ناحية، فالهند رغم الخلافات الشائعة فيها صغيرها وكبيرها لدولة أسسها الوطنية متينة متعززة أى تعزز .

لا شك أن الامة هى مزيج من السياسة والتاريخ والموقع الجغرافى، يخرج إلى حيز الوجود من التطور الناشئ فى العناصر البشرية المختلفة ولا من السلالات أو الارومات كما ظن معظم الكتاب ويصرون علينا بتصديقهم، والامة إنما تنشأ فى داخل الدولة التى كثيرا توصف بكونها نتيجة ناشئة عن الامة، والحق أن الحق عكسه فان الامم تكمل وجودها بجميع الميزات بعد قرون تستمر فيها شتى مذاهب الحياة من الديانة واللغة والعادة والتقاليد تنمو وتتطور إلى أن تلد من مجموعها فى زمن من الازمنة أمة من الامم . فقد ظهرت الامة الهندية فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر وأواخر القرن العشرين بفضل مواجهة الحكم البريطانى إلى حد كبير . ولكن ليست هذه المواجهة السبب الوحيد لوجودها . ومع أن الهند لم يتحد أهلها بمثل هذا التضامن والتعاضد ضد أى حكم أجنبى قط لم يصح القول أن إنشاء هذا التضامن فى نفوسهم فى لمح من البصر لاجل مواجهة الحكم البريطانى وحدها . وليس مثل الهند كمثل الامة الهولندية التى نشأت فى النصف الاخير من القرن السادس عشر، بانها نشأت فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر فحسب فقد قيل عن هولندا أنه كان أهلها يعيشون فى وطنهم عيشة مشتركة يمرون بشتى المراحل السياسية متكاتفين متضامنين ويواجهون فى كل ناحية الحياة نفس المشاكل فكانوا يجاهدون فى سبيل بقائهم والاحتفاظ بكيانهم أقسى واعنف ...

وسعتهم فى وقت قصير إلى المكانة الامة التى قد لا تصل إليها الامم الا بعد قرون طويلة . وأما الهند فقد جازت بمكانة الامة تدريجيا بعد أن مرت فى شتى العصور بمختلف المراحل كما هو الطبيعى لنمو العاطفة الوطنية فى أمة . وبغية التعرف على تلك المراحل علينا أن نتبع ادوار التاريخ المختلفة التى مرت منها الهند فى طريق الحصول إلى درجة الامة ذات العاطفة الوطنية الكاملة .

(يتبع)

تعريب : الاستاذ ناصر الانصارى

حقوق الانسان

المستر كاندرا لعل غوش

ان المنظمة العالمية إذ اعلنت ان العام ١٩٦٨ سيحتفل كعام حقوق الانسان بمناسبة مرور عشرين عاما على اتخاذ التصريح الشامل عن حقوق الانسان، لفتت بلا شك انظار العالم المتمدن كله إلى أهمية المرحلة التى تعد نقطة هامة فى تاريخ الحضارة، واتخذ التصريح فى العاشر من ديسمبر سنة ١٩٤٨ م ويضع مجموعة من الحقوق الاساسية كمقائيس شاملة لما يتطلع إلى تحقيقه الشعوب والامم كلها وينص على أن كل فرد وكل جزء من المجتمع يبدل قصارى جهده عن طريق التعليم لغرس بذور الاحترام لهذه الحقوق والحريات، وسيحاول بالوسائل التقدمية - الوطنية والدولية، لنيل الاعتراف العملى والتمسك بهذه الحقوق فى جميع طبقات البشرية بين اعضاء المنظمة وفى شعوب الدول الداخلة تحت سلطتهم.

وتقدمت المنظمة فاتخذت فى ١٦ ديسمبر ١٩٦٦ فى هذا السبيل خطوة أخرى من الاعتراف بهذه الحقوق نحو تنفيذها، وذلك عندما اتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة القرار الدولى حول الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وقرر التصريح والقرار أن تكون تلك الحقوق أسسا لادارة عدة دول، وتثبت خير وسيلة وسلاح فعال لانهاض الوعى فى الانسان المتمدن.

ومضت منذ «رنى ميد» إلى نشوء الامم المتحدة سبعة قرون و قرن وهى المدة التى نضجت فيها فكرة مساواة الحقوق

جذورها فى العقل البشرى. فقام ماجناكارتا وأسس حقوق البارونات الانجليز ضد الاستبداد المحض عليهم، ولا يبعد أن يعد هذا بداية لما سار عليه فيما بعد التاريخ السياسى لاوربا، ولكنه لم يكن هذا بالنسبة للرجل العادى ذا جدوى خاص. اللهم الا أنها كانت أول انتقاصة فى الغرب بنداء الحقوق ولو لطبقة خاصة وبنوع خاص. وكان من المقدر ان يمضى اكثر من خمسة قرون ونصف قرن قبل تطور التصريح حول الحقوق الانسانية، القائم على المبادئ الديمقراطية. وصدر فى ١٧٧٦ تصريح الانجليز الملونين فى أمريكا الذين ثاروا فى وجه الحكم ونص التصريح على أن البشر سواسية المولد وأنهم موهوبون من عند خالقهم بحقوق غير منفصلة من بينها الحياة والحرية وتتبع الفرح والسرور، وان كل حكومة أيا كان نوعها عندما عجزت عن احترامها وقامت تقوض دعائمها، يجوز للشعب أن يقلبها ويبدلها بحكومة أخرى.

وما من شك أن المبادئ المذكورة فى التصريح كاملة مكتملة بذاتها وملهمة، وأنها الهمت الاجيال التالية فى البلدان الاخرى. على أن التحديدات التى اشتمل عليها التصريح، (وان لم تكن تلك التحديدات مسطورة) ظهرت فى نطاق العمل والتنفيذ فحرم الهنود الحمر المواطنون والعبيد الينجرو المستوردون من تلك الحقوق غير المنفصلة مع انهم الآخرين كانوا سواسية المولد. ولم يستطع الولايات المتحدة القضاء على الاسترقاق الا بعد ما يزيد من قرن منذ تصريح الحقوق البشرية، كما لم تستطع قبل مضى قرن آخر احداث الشعور الكامل بوقاحة انكارها للسود الحقوق الاجتماعية والسياسية المساوية مع الجنس الابيض.

وبعد التصريح الاميركانى بثلاثة عشر عاما اصدرت الجمعية الوطنية الفرنسية قانونا آخر بشأن الحقوق الانسانية الذى صرح بان البشر يولدون ويحيون سواسية الحقوق وان الفضل الاجتماعى لا يوسس الا على أساس العمل الصالح وان الغاية المنشودة لجميع التنظيمات السياسية ليست الا صون الحقوق الانسانية الغير المنفكة ، وان هذه الحقوق هى الحرية والملكية والضمان ودفاع الاضطهاد ، والحرية تعنى حرية تامة في الاعمال والاقوال ما لم تسبب اضرار الغير ومن هنا لا يحد حدود الحقوق الفطرية الا أن تكفل للغير ممارسة نفس الحق بنفس الطمأنينة .

وان هذه الحدود يقررها القانون لاغير ، الذى بمقتضى كونه تعبيرا للرغبة العامة ، يتمكن من حظرها بسبب الضرر للغير ، والقانون يشكله الشعب مباشرة او عن طريق ممثليه ، ولابد ان يكون واحدا للجميع سواء تكون فى الصيغة الدفاعية او العقابية ، وكل المواطنين سواء امام القانون ، طبقا لكفاءاتهم دون اى تمييز ما عدا الفضائل والموهبات ، وكان التصريح الفرنسى مثل التصريح الاميريكانى ميثاقا قوميا ، وطبق مبدئيا بقساوة على الاوضاع السياسية الفرنسية ولكنها لم تحط بالامبراطورية الفرنسية التى ازدهرت خلال القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين . واصبحت الحقوق الانسانية فى كل من امريكا وفرنسا علما للتطور وعندما تحقق الهدف ، حفض العلم بدون المباهاة او التفاخر ، وحلت محله المرافق المكتسبة المتحصنة فى انكار الحقوق الاساسية لطبقات كبيرة من المواطنين والسكان الملونين .

وفى منتصف القرن التاسع عشر جهروا ولاسيما كارل ماركس ان تقدم الرأسمالية والاستعمار يعوق مبادئ الحرية والحقوق الانسانية و

كارل ماركس نظرية النزاع الطبقى بين الملاك والفقراء واهاب بعمال العالم الذين وصفهم الطبقة المضطهدة الى القيام وانتزاع الملكية من الملاك والى القضاء على الطبقات الاخرى من المجتمع سواء تكون بالابادة او تغيير الاوضاع .

واختلق كارل ماركس الفلسفة الديمقراطية فلسفة القلب العنيف ودكتاتورية احدى الطبقات ، ولانتمالك ان نقول ان الفكرة عند ما اخذت تظلل ظلالها من الصين الى بيرو اضطرت الديمقراطية الى ان تسمى بديلا فعالا لهذا الاعلان العسكرى ، واخذت وقتا طويلا فى تنمية ذلك البديل ، ومضى قرن بعد تشكيل كارل ماركس مبدأه القائل بحق الطبقة العاملة للسيطرة على العالم ، حتى ادركت الشعوب الديمقراطية ما لهذا المبدأ من مغزى وبادرت الى اعداد نفسها للتخلص من ولاية الاستعمار والتمييز على اساس الجنس او اللون ، وجملة القول ان مبادى الثورة الفرنسية الملخصة فى المساواة والحرية والاخوة ما زالت خلال القرن التاسع عشر وما تلاه مصدر الالهام والوعى لحركات التحرير الوطنية وفى البلدان الخاضعة للحكم الاستعمارى ، ولاخفاء فى ان الاعتراف بالعدالة وبضرورة تصريح شامل للحقوق الانسانية ووضع ميثاق دولى خطوة كبيرة نحو العالم الموحد والانسانية الموحدة ويشهد التصريح بان حقيقة واحدة تتغلب على النقائص ووجدت بشائر تبشر بان القوانين الدولية للحكومات وسلوكها الدولى ستشكل تشكيلا جديدا بتقدم مسرع .

(للمقال بقية)

تاريخ أكبرى

عدد صفحاته ٤١٨ من القطع المتوسط
تأليف : حاجى محمد عارف قندهارى
نقحه ورتبه : الاستاذ امتياز على عرشى

« أكبر » من الاسماء البارزة فى تاريخ الهند ، وعهده من أهم الحقب التاريخية التى مرت على الشعب الهندى ، وهو عهد جدير بالدراسة والتحقيق . فضلا عن شخصية أكبر والعبقرية الواضحة فيه ، والافكار التى نادى بها ، فان هناك كثيرا من الاحداث السياسية والتيارات الفكرية والمذاهب الفلسفية والعقلية ازدهرت ازدهارا واضحا فى ذلك العهد بجانب الفنون ومختلف جوانب الحياة فى رقعة الدولة التى كان يحكمها من مرتفعات افغانستان الى جزيرة سيلان . ولا شك ان كثيرا من المؤرخين نقبوا وفتشوا عن الجوانب المختلفة لذلك العصر ، ولكن « ليس راء كمن سمع » كما يقول المثل العربى . فان هناك مؤرخا عاش فى بلاط أكبر وعاصر مجده وعظمته فلا شك ان الحديث منه امتع والحقيقة فى جانبه أوضح ونعنى بذلك المؤرخ : « حاجى محمد عارف قندهارى » صاحب كتاب « تاريخ قندهارى » أو « تاريخ أكبرى » .

وقندهار من أعمال أفغانستان وكان حاجى محمد عارف [illegible] من سكانها الذين ثقفوا الادب والحديث والتفسير وكثيرا من معارف [illegible] وقد قربه « بيرم خان » خان خانان (حاكم قندهار) وظل [illegible]

الى أن رجع بيرم خان الى الهند وقتل فى كجرات . فاتصل حاجى محمد عارف بعد ذلك بمظفر خان، والمعروف ان «محمد عارف» رحل الى الحجاز لاداء فريضة الحج ولذا سمى «حاجى محمد عارف» ثم رجع الى الهند وعاش فى بلاط أكبر . ويعلم انه صنف كتابه هذا «تاريخ أكبرى» أو «تاريخ قندهارى» بعد ١٥٨٠ م وسماه أولا «مظفر نامه» انتسابا الى «مظفر خان»، ولكن لم يقدر لهذا العمل الجليل ان ينشر ويطبع فى عهد مظفرخان. فعند ما تبناه اكبر وطبع فى عهده سمى باسم «تاريخ أكبرى».

والكتاب كان مخطوطا فى مكتبة برامبور (Rampur) من اعمال ولاية يوبى بشمال الهند تسمى «رضا لائبريرى»، ولا يوجد منه الا مخطوطة اخرى فى «كيمبرج» ونظرا لان الهند تحرص على نشر وتحقيق النادر من الكتب، فقد كان من حسن حظ الشغوفين بتاريخ عهد أكبر ان طبع هذا الكتاب، ووراء قصة طبعه ونشره جهود كبيرة يستحق من أجلها الشكر كل من أسهم فى اعداده وطبعه، وقد وكل أمر نشره أولا الى سيد معين الدين ندوى المرحوم ودكتور سيد اطهر على المرحوم وبعد ان رتباه وقبل طبعه ابتليت الهند بحوادث عام ١٩٤٧، ثم قدر للكتاب ان يرى النور من جديد. فأشرف على طباعته وتحقيقه والتعليق عليه مولانا امتياز على عرشى مدير مكتبة رضا برامبور، وهو عالم جيد من كبار الشخصيات فى الهند التى اشتهرت بعكوفها على العلم والادب وتحقيق النوادر والمخطوطات الموجودة فى مكتبات أوروبا والشرق، وقد طبع [illegible] الفارسية على ورق جيد.

[illegible] الكتاب بجانب انه وثيقة تاريخية هامة يمتاز ببعض الميزات التى [illegible]، فهو مكتوب بأسلوب علمى متأدب يظهر منه الملم المصنف

بعلوم الحديث والتفسير والادب وقد حوى كثيرا من الاشعار الرائعة التى أكثر من الاستشهاد بها عند سوق بعض الحوادث وهو كذلك مملوء بالدعوات والأمنيات لاكبر، الامر الذى يكشف عن ولاء يعمر قلب المصنف لاكبر.

ومن الحق ان هذا الكتاب هو الحادى عشر من سلسلة النوادر التى تحقق وتنشر، وهذا امر يبشر بالخير فهى خطوات موفقة لتوثيق عرى الصداقة بين الشعب الهندى العظيم وكثير من الشعوب الاخرى بجانب انها إثراء فى الذخيرة العلمية لكل الراغبين فى الدراسة والبحث.

لمولانا القاضى سجاد حسين

التعريف والنقد :

رسائل عمر بن الخطاب رضى الله عنه

عدد صفحاته ٢٢٤ من القطع الكبير
تأليف : الدكتور خورشيد احمد فارق
الناشر : مكتبة ندوة المصنفين دلهى
الثمن : خمس روبيات

شخصية امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حافلة بالمآثر وشاملة للمفاخر التى لا تعد ولا تحصى . ومن أسمى مناقبه انه كان مطلوبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال فى دعوته « اللهم أعز الاسلام باحد الرجلين عمر بن الخطاب او عمرو بن هشام » (ابى جهل) ، فاستجاب الله تعالى دعوته وهدى عمر بن الخطاب الى دين الحق . وحينئذ كان المسلمون يختفون فى صلاتهم عن قريش ، فتقدم عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ قال بلى : قال عمر : ففيم الاختفاء ؟ والله لنخرجن والمصلين فى الكعبة ، فخرج النبى صلى الله عليه وسلم باصحابه فى صفين فى مقدمتهم عمر بن الخطاب وصلى المسلمون فى الكعبة .

وفى ذلك اليوم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم « الفاروق » لانه فرق بين الحق والباطل واظهر الاسلام على الكفر ، واصبح عمر رضى الله عنه منذ ذلك اليوم سيفا قاطعا لاعداء الاسلام وحصنا منيعا لضعفاء المسلمين .

ولما تولى الخلافة وتقلد زمام الامور سنة ١٣ من الهجرة امتدت رقعة الاسلام من المدينة المنورة الى حدود آسيا الصغرى فى الغرب

وادخال افريقيا فى الشمال. ويرجع فضل ذلك الى ما اتسمت به الفذة من عبقرية، وشجاعة وحماس وذكاء ودهاء، انه رضى الله عنه كان دائما يتفقد سيرة عماله، ويتجسس عن احوال رعيته، كان يدور حيث دار الحق ولايخاف فى الله لومة لائم.

كان رضى الله عنه، وهو جالس على سرير الحصى فى صحن المسجد النبوى الشريف، يرشد قادة الجيش ويعطيهم التعليمات فى معضلات الحروب ويهدى عماله فى مهمات الامور. يطوف على الناس بالليل لتفقد احوال الضعفاء والمساكين من رعيته بنفسه، حتى لاتخفى عليه خافية من شئون العامة، وخير دليل على ذلك الرسائل التى بعث بها الى قادة الجيوش وامراء المقاطعات وولاة الامر فى مختلف انحاء الدولة الاسلامية.

ولكن كانت تلك الرسائل منتشرة فى كتب التاريخ ومبعثرة هنا وهناك وكان عسيرا على باحثى التاريخ الاسلامى ان يستفيدوا منها إلا بتقليب آلاف الصفحات، فلله در مؤلف هذا الكتاب اللطيف الاستاذ خورشيد احمد فارق، رئيس القسم العربى بجامعة دلهى، حيث جمعها وصححها ورتبها فجاء الكتاب بفضل الله كما تشتهيه الانفس.

جمع الاستاذ المؤلف فيها بين الروايات المختلفة ثم ذكر مرجع كل رواية مع الاهتمام بذكر رقم الصفحة، ليتمكن القارئ من مراجعة مصادر الرسائل ومعرفة قيمتها اذا اراد البحث والتحقيق. ثم حل الالفاظ الصعبة وذكر مراجع الضمائر المبهمة فى بعض الرسائل، كما علق على بعض تعليقات مفيدة تلقى الضوء على ما اشتملت عليه من الوصايا والا

، ولكشف القناع عن الظروف والملابسات التى كتبت فيها ولو توسع المؤلف فى هذه الناحية لوسع نطاق افادة الكتاب .

ويجدر هنا بالذكر ان الكتاب يخلو عن المقدمة كما لا يوجد فهرس المحتويات ، وذلك مما لابد منه فى مثل هذا الكتاب القيم الذى هو بمثابة مصدر هام للدراسة والبحث عن التاريخ الاسلامى القديم ، ونرجو ان يرعى القائمون على شئون المكتبة هذا الامر فى الطبعة الثانية ويتداركوه . وبجانب ذلك الطباعة ايضا بطريقة قديمة ، طريقة الحجر (Lithograph) ولو كانت بالحروف الحديدية لكان احسن .

على كل حال ، فالكتاب مفيد للغاية لمن اراد ان يعرف فضائل الخليفة الراشد ، والحاكم العادل ، أميرالمؤمنين عمر بن الخطاب ، لكى يعرف عبقرية شخصيته عن طريق الوثائق التاريخية . ان الكتاب يليق لان يوصى به فى مقررات الدراسة فى المدارس الاسلامية والجامعات العصرية .

فشكرا للاستاذ المؤلف على ما بدله من الجهد العظيم فى تأليف هدا الكتاب واخراج الرسائل من بطون امهات الكتب ، وترتيبها ترتيبا انيقا كما نشكر مكتبة ندوة المصنفين بدلهى على تواليها طباعة هدا السفر الجليل .

الاستاذ القاضى زين‌العابدين سجاد
استاذ الدراسات الاسلامية بالجامعة الملية الاسلامية

الانباء الثقافية

ابلغت ٢٦ دولة اللجنة الهندية المتعاونة مع هيئة اليونسكو أنها ستحتفل بالعيد المئوى لميلاد غاندى خلال الفترة ١٩٦٨ - ١٩٦٩ . ومن هذه الدول ، الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى والمانيا الغربية .

ابلغ ذلك مستر و . ر . ديواكر السكرتير الفخرى للجنة القومية لاحتفالات العيد المئوى لميلاد غاندى لرجال الصحافة وعبر عن امله فى ن ينضم عدد اكبر من الدول . لقد ناشدت هيئة اليونسكو جميع الدول لاحتفال بهذه الذكرى . وكونت لجنة فرعية اجنبية لمساعدة الدول الاخرى إرشادها لتنظيم برامج حول حياة غاندى . ويرأس هذه اللجنة الفرعية المستر ، ر . بهاجت وقال مستر ى . ن . دهبار الرئيس السابق لحزب المؤتمر رئيس اللجنة الدولية لمعرض غاندى ان أحد معالم الاحتفال العالمى للعيد ؛وى هو إقامة معرض فى نيو دلهى عن حياة المهاتما غاندى واعماله وآرائه اثره .

وصرح الرئيس أيضا أن مساحة الموقع الذى سيقام عليه الاحتفال غ ٧٠ فدانا فى راج غات (وهو محرق غاندى) ، ويتوقع أن يستمر المعرض و ١٤٤ يوما إبتداء من أكتوبر ١٩٦٩ (الذكرى المئوية لميلاد غاندى) ى ٢٢ فبراير ١٩٧٠ وهو ذكرى تاريخ اغتيال المهاتما غاندى . وسيطلق المعرض إسم غاندى درشن أو « الرويا الكاملة لغاندى » .

وسيتكون المعرض من خمسة أجنحة كبرى تقام حول منصة عالية تنظم الاجنحة بحيث تظهر حياة غاندى وأعماله وآرائه ، وأثره بطريقة قة وتاريخية .

دعت اللجنة الاجنبية لتذكار غاندى المئوى ، الاجانب بارسال مقالاتهم حول « غاندى وتحرير البشر » خلال احتفالات العيد المئوى لميلاد غاندى سنة ١٩٦٩ ، وآخر الموعد المحدد لوصول المقالات ٣١ يناير سنة ١٩٦٩ م وستمنح أربعة جوائز على المقالات الناجحة ، وخصص منها جائزتان للطلاب تعم الجائزتان الاخريان لعامة الناس . سواءا كانوا طلبة أم لا ، والمراد من الطلاب من يتراوح أعمارهم بين ١٦ - ٢٤ سنة ، وأما من تزيد أعمارهم من ٢٤ سنة فهم من عامة للشعب سواء اكانوا طلابا أم لا ، وتشمل الجائزة على تذكرة السفر إيابا وذهابا بالدرجة الاقتصادية لزيارة الهند لمدة شهر كامل فى أكتوبر سنة ١٩٦٩ وتتحمل اللجنة جميع نفقات القيام والسكن وما إلى ذالك .

* * * *

وقعت الهند وتشيكوسلوفاكيا برنامجا للتبادل الثقافى الشامل لفترة من ١٩٦٨ - ١٩٧٠ ، وقد تم توقيع البرنامج وفقا للاتفاقية الثقافية ألتى ابرمت بين البلدين عام ١٩٥٩ .

وصرح مستر باهوس شوباك نائب وزير الثقافة ألذى وقع المعاهدة عن تشيكوسلوفاكية بان هذه المعاهدة هى أكبر من حيث الحجم والمجال من أية معاهدة أخرى عقدتها تشيكوسلوفاكيا مع أية دوله أخرى تخالفها من حيث النظام الاجتماعى .

وقد تحدث مستر بهابوات جها آزاد الوزير الهندى الزائر ألذى كان [illegible] الثقافية عن بعض الاوجه الخاصة التى تضمنتها الاتفاقية التي شملت التبادل .

طابع تذكارى جديد

يتوقع أن تصدر مصلحة البريد فى الهند طابعا تذكاريا تخليدا للثورة التى رفعت إنتاج القمح إلى رقم قياسى يقدر بنحو ١٧ مليونا من الاطنان فى ١٩٦٧-١٩٦٨، مقابل ١٢ مليونا من الاطنان حصلت عليها البلاد فى أحسن موسم سابق للحصاد فى عام ١٩٦٤-١٩٦٥ .

المسرح

دخل المسرح الوطنى الهند فى شهر مايو فى يوبيله الفضى، وأقيمت بهذه المناسبة احتفالات دامت ليومين، وتولى الشريمتى كملاديوى الاحتفالات وهى أول رئيسة للمسرح الوطنى الهندى .

الفيلم

نظم مكتب الاستعلامات بكلكتا عرض الافلام للصغار من جميع أنحاء العالم، عرضت فى الحفلة أفلام عن قصص قصيرة تسر الاطفال والشباب .

طاغور

أقيمت حفلات واجتماعات عديدة فى ولاية البنغال وغيرها بمناسبة لمولد ١٠٧ للشاعر الشهير رابندراناتم طاغور، وفى كلكتا ذهب ألوف من الناس إلى بيته اعرابا عن تقديراتهم العميقة للشاعر الفقيد، وتحدث المتحدثون وحاضر المحاضرون فى الاجتماعات عن روعة حياته وأعماله، تغنى المتغنون أشعاره وقصائده، ومثل الممثلون مسرحياته .

أنباء المجلس

المعسكر الدولى للطلاب

نظم المجلس معسكرين صيفيين للطلاب الاجانب احدهما فى كاشمير وثانيهما فى جنوبى الهند، واستمر كلاهما لمدة ٤ اسابيع، واشترك فيهما نحو ١١٠ طالبا من ٣٠ بلدا.

حلقة الدراسة الشرقية

نظم المجلس مع تعاون المساعدة الولايات المتحدة للتطور الدولى حلقتين لتدريس الموظفين والفنيين الهنود الراحلين الى الولايات المتحدة، واستمرت كل منهما لخمسة ايام اعنى من ١٧ الى ٢١ ومن ٢٤ الى ٢٨ من شهر يونيو سنة ١٩٦٨، وافاد منهما ٩١ موظفا هنديا.

رفاه الطلاب الاجانب

وقدم المجلس كالمعتاد بالنيابة عن حكومة الهند المبالغ السلفية من المنح الدراسية للباحثين المنتخبين تحت برنامج المنح الهندية.

و بجانب المساعدات وتوفير التسهيلات الاخرى، اصدر المجلس نحو ٢٧٥ شهادة لتخفيض اجرة القطار، للطلاب القاصدين الى زيارة المعالم الاثرية فى الهند.

المنحة الدراسية

اعطى المجلس منحة دراسية للمستر جيوارتهن تيرو ونجادم احد فنانى موريشس لتعلم الموسيقى الكلاسيكى السائد فى جنوبى الهند.

الاهداء

ارسل المجلس كتبا لاهدائها فى مختلف المعاهد فى المراكز وتشيكو
سلوفاكية .

المعارض

نظم المجلس عدة معارض منها معرض الكتب عن تركيا الذى اقيم فى مستقر المجلس بآزاد بهون من ٢٠ مايو الى ٢٥ مايو سنة ١٩٦٨ .

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

AZAD BHAVAN, NEW DELHI I

President Dr. J N Khosla

The objects of the Indian Council, as laid down in its constitution, are to establish, revive and strengthen cultural relations between India and other countries by means of

(I) Promoting a wider knowledge and appreciation of their language, literature and art,

(II) Establishing close contacts between the universities and cultural institutions,

(III) Adopting all other measures to promote cultural relations.

THAQAFAT-UL-HIND

Vol. XIX | October 1968 | No. 4

Editor:
S. Taiyebali Lokhandwalla

CONTENTS

THAQĀFAT'UL HIND

(INDIAN CULTURE)

PUBLISHED QUARTERLY

(JANUARY, APRIL, JULY and OCTOBER)

Rates of Subscription, Post Free

INLAND			FOREIGN	
Single Copy	Rs. 2.50		Single Copy	5 Sh.
Annual	Rs. 10.00		Annual	20 Sh.

Copies are sent only on prepayment and not by V.P.P.

All remittances and requests for supply of copies are to be addressed to the Secretary, I.C.C.R. and not to the Editor.

Books for reviews and journals in exchange etc are to be addressed to the Editor.

Printed and published by
INAM RAHMAN,
SECRETARY, INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS,
Azad Bhavan, New Delhi-1

Printed at the Nasi Press Limited, Madras—13.



THAQAFAT-UL-HIND

VOL. XIX

OCTOBER 19[illegible]

INDIAN COUNCIL
CULTURAL RELAT
AZAD BHAVAN NEW